ابن منير الطرابلسي

حياته وشعره

من شعراء عصور الدول المتتابعة

الدكتور
محمد صبحي أبو حسين

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار محمد دنديس للنشر والتوزيع

ابن منير
الطرابلسي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٧/٣/٦٥٨)

٩٢٨,١
ابو حسين ، محمد
ابن منير الطرابلسي : حياته وشعره / محمد صبحي ابو حسين.__ عمان: المؤلف ، ٢٠٠٧.
( ) ص.
ر.أ: (٢٠٠٧/٣/٦٥٨).
الواصفات : / الشعر العربي // التراجم // الأدب العربي

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
٦٥٦ / ٣ / ٢٠٠٧

ابن منير الطرابلسي

حياته وشعره

أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي
٤٧٣ — ٥٤٨هـ

من شعراء عصور الدول المتتابعة

الدكتور
محمد صبحي أبو حسين

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار محمد دنديس للنشر والتوزيع

الإهـــــداء

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

- إلى والديَّ الحبيبين، ثمرة من ثمار غرسهما.
- إلى إخوتي الأعزاء.
- إلى من أعانتني وأنا في أوج العمل، ومدت يدها تصافح يدي حين تكلل العمل بالنجاح... إلى الوفية المخلصة زوجتي العزيزة.
- إلى أبنائي رياحين حياتي «بيان، وحمزة، وحنين، وجعفر، ومزينه، وأندلس وصهيب».

شكـر وتقـدير

بعد أن أنهيت هذا العمل، أجد من واجب الوفاء والاعتراف بالجميل، أن أتوجه بعميق الشكر، ووافر التقدير إلى أستاذي الدكتور عبد الجليل عبد المهدي لما أولاني من رعايته، وما وهب لي من علمه وخبرته ووقته، فقد أحاطني بالإشراف المخلص والتوجيهات السديدة حتى استوى هذا الكتاب على هذه الصورة.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي، وإخواني الذين كان لهم فضل في إتمام هذا البحث، وإلى كل من مدّ لي يد العون في مرحلة من مراحل البحث. وأخص بالذكر السادة. المرحوم الدكتور محمود إبراهيم والدكتورة عصمت غوشة والدكتور عمر الأسعد، والدكتور شفيق الرَّقب، والدكتور محمد الدروبي، والدكتور عمر الفجاوي، والشيخ حسان عبد المنان، وإلى كل ذي عون في إنجاز هذا الكتاب.

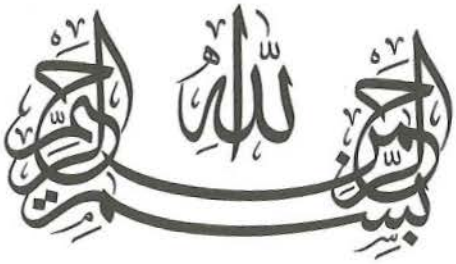
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٤
شكر وتقدير	٥
فهرست الموضوعات	٧
الملخص باللغة العربية	٩
المقدمة	١٥
التمهيد	١٩
الفصل الأول: حياة ابن منير الطرابلسي	٣٩
سيرته: اسمه ونسبه وكنيته	٤١
أسرته	٤٦
مولده	٤٩
مراحل حياته	٥٠
ثقافته	٦٤
شيوخه	٦٨
تلاميذه ورواة شعره	٦٩
مذهبه	٧١
ابن منير وشعراء عصره	٧٧
وفاته	٨٧
الفصل الثاني: الديوان، موضوعات شعره	٩٣
الديوان	٩٥
الشعر دراسة موضوعية	١٠٦
شعر الجهاد	١٠٧

أغراض شعرية أخرى ١٤٥
الهجاء ١٤٥
الغزل ١٥٥
المديح ١٦٣
الوصف ١٦٨
الرثاء والتعزية ١٧٢
فنون شعرية ثانوية ١٧٥
الشكوى والعتاب ١٧٥
الحكمة ١٧٧
الفخر ١٧٨
التهنئة ١٨٠
الإخوانيات ١٨٣
الفصل الثالث: التقويم الفني ١٨٧
التجربة الشعرية ١٨٩
بناء القصيدة ١٩٣
اللغة والأسلوب ٢١١
الفنون البديعة ٢٢٧
الصورة الشعرية ٢٣٣
الموسيقى الشعرية ٢٣٨
ثناء العلماء عليه ٢٤١
الخاتمة ٢٤٥
ملحق ما لم يرد في طبعتي الديوان من أشعار ابن منير ٢٤٩
ملحق الخرائط ٢٦٣
ثبت المصادر والمراجع ٢٦٩

الملخص
باللغة العربية

الملخص باللغة العربية

ابن منير الطرابلسي حياته وشعره

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إبرازها فيما يلي:

- دراسة الفترة التي عاشها الشاعر منذ ولادته «٤٧٣هـ» وحتى وفاته «٥٥٨هـ» ومدى تأثره بها وأحداثها.
- محاولة تبين أهم الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر من شعر جهاد، وهجاء، وغزل، ومديح، ووصف، ورثاء، وفنون شعرية أخرى، ودراستها دراسة تحليلية نقدية.

وقد قامت خطة هذه الدراسة على دراسة النصوص من الداخل، مع محاولة تطبيق المنهج التكاملي، بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج المناسبة، كما قامت منهجية هذه الدراسة على استقراء شعر ابن منير الذي وصل إلينا، وتبين الموضوعات والأساليب الفنية التي اتسم بها شعره، ومحاولة دراسة حياته من شعره، ومن مصادر ترجمته المختلفة.

وتتكون الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول، حاولت في التمهيد أن أتعرف الأوضاع العامة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وذلك فيما يخص الأحداث الكبرى وبعض المظاهر الاجتماعية والثقافية، إذ إن هذه الجوانب تعرف القارىء الظروف الكلية التي مرّت بها المنطقة، ومدى تأثر الشاعر بها.

وتناولت في الفصل الأول الحديث عن سيرة الشاعر، فتحدثت عن اسمه ونسبه وكنيته، وأسرته ومولده، ورحلاته، وثقافته، ومذهبه، وعلاقة ابن منير بأدباء عصره، وختمت الفصل الأول بالحديث عن وفاته.

أما **الفصل الثاني**، فقد تناول الحديث عن ديوان ابن منير المفقود ثم ذكرت أول محاولة لجمع شعره، وهي المحاولة التي قام بها الدكتور «سعود محمود عبد الجابر» سنة ١٩٨٢م في كتاب بعنوان «شعر ابن منير الطرابلسي» ثم ما قام به الدكتور «عمر عبد السلام تدميري» من جمع ديوان الشاعر سنة ١٩٨٦م، واستدرك فيه كثيراً على كتاب الدكتور «سعود محمود». كما تحدثت في هذا الفصل عن الفنون الشعرية التي نظم بها الشاعر، من الشعر الجهادي، والشعر الوجداني، وشعر الهجاء، وشعر المديح وغيرها.

وكان **الفصل الثالث** محاولة لدراسة شعر ابن منير دراسة فنية، فتحدثت عن التجربة الشعرية ودورها في إثراء الشعر وبناء القصيدة عند شاعرنا، ثم وقفت عند الحديث عن لغته الشعرية وأسلوبه الشعري، واستعمال الألوان المتعددة من الأساليب التعبيرية والموسيقى الشعرية.

وفي النهاية، اختتمت الدراسة بإضافة غير مسبوقة لمجموعة من أشعار الشاعر خلت منها طبعتا الديوان، وبلغت عدة هذه الأشعار قرابة مئتي بيت، وهي في الحقيقة إضافة جديرة بالتنويه والذكر إذا ما ذكرنا أن مجموع أشعار الشاعر في الديوان ألف وثمانمائة بيت.

وتمخضت الدراسة عن مجموعة من النتائج لعل أهمها أنّها:

١- استطاعت تجلية جوانب سيرة الشاعر، وعرَّفته، وألقت الضوء على شعره الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث تاريخية جسام، كما كشفت الدراسة عن أن الشاعر كان متزوجاً ولم يعقب، خلافاً لما ذهب إليه من ترجم له.

٢- استطاعت بإحصائها ما وصل إلينا من شعر ابن منير، أن تبين أن شعر الجهاد عند شاعرنا يمتد في أكثر من نصف الديوان وأن ابن منير قد واكب في شعره انتصارات عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي وسجل أحداثها.

٣- كشفت عن وجود شعر هجاء للشاعر يصل إلى ضعف ما ذكرته المصادر التي ترجمت له.

٤- أظهرت تمسك ابن منير بنهج القصيدة العربية منذ القديم متمثلاً في عناصر عديدة هي: الابتداء، والتخلص، والخواتيم، وما يتصل بذلك من حديث عن وحدة القصيدة.

٥- أكدت سعة ثقافة الشاعر ومقدرته اللغوية من استخدامه حصيلة واسعة من مفردات اللغة، وتعدد الأساليب التعبيرية التي استخدمها في التعبير عن تجربته الشعرية، ونقل أحاسيسه ومشاعره.

مقدِّمَة

أحمد الله على نعمائه، وأشكره على عطائه، وأصلي وأسلم على رسوله، وبعد،

فقد تعرضت بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري، لغزو صليبي استهدف مركزها الديني، وخيراتها، وموقعها الاستراتيجي، ونتج عنه احتلال بيت المقدس وأجزاء متفرقة من بلاد الشام. وظلت البلاد الشامية زهاء قرنين من الزمان وهي تكابد حرباً داميةً لم يخب لها أوار.

وتخلل هذه الفترة مرحلة الجهاد للذود عن حمى الأرض، والدفاع عن المقدسات، ولحماية قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبينا محمد ﷺ، وهيأ الله لأمة الإسلام في بلاد الشام قادة مؤمنين، من أمثال: «عماد الدين زنكي» وابنه «نور الدين زنكي»، فاستطاعوا -بالتزامهم منهج الإسلام في التحرير- أن ينتصروا على الأعداء، وأن يخلصوا الأمة الإسلامية من الكارثة، وأن يكتبوا في التاريخ لوحات النصر المبارك، تفخر به الأجيال المؤمنة على كرّ الأيام ومدى العصور.

وكانت ألسنة الشعراء صدى للمصيبة العظيمة، فتألموا، وبكوا، واستنجدوا وحثوا، وحرضوا قادة المسلمين على تحرير أرضهم المحتلة، وتطهير مقدساتهم.

وظل الشعراء يثيرون الحماس في النفوس، ويمجدون القوة، والوحدة الإسلامية، ويشيدون بالأبطال، ويحقرون شأن الأعداء المحتلين، إلى أن بدد وهج الجهاد الإسلامي ظلام الاحتلال الصليبي الحالك، فعادت البلاد التي بارك الله فيها طاهرة، زكية، آمنة وادعة. وبذلك يكون الشعراء قد قاموا بواجبهم، وأدوا دورهم.

ومن أولئك الشعراء الذين عاشوا في صميم ذلك الصراع، وشاركوا في المعركة التي تخوضها أمتهم: شاعرنا «أحمد بن منير الطرابلسي» الذي ساهم بما يزيد على ثلثي شعره -الذي وصل إلينا- في الجهاد، محرضاً، ومستنهضاً الهمم، وواصفاً القتال وأدواته، ومفتخراً بالبطل، ومبشراً بالفتح، ومهنئاً بالنصر، ومستهزئاً بالأعداء.

لمع شاعرنا أديباً، وصرف معظم وقته في البلاط النوري حتى توفاه الله،

ومزاياه، هي التي دفعتني إلى أن أكتب عنه، بخاصة أنه لم يحظ من العناية والدراسة بمثل ما حظي به معاصروه من الشعراء. ومما شجعني على الكتابة أنني لم أجد -فيما وصل إليه علمي- دراسة متخصصة تناولت هذا الشاعر، لذلك، فإنني رأيت سد تلك الثغرة، والنهوض بتلك المهمة، فعقدت العزم على الكتابة بعد أن وجدت أنّ الأمر قد لاقى قبولاً واستحساناً، وتشجيعاً من شيخي وأستاذي الدكتور «عبد الجليل عبد المهدي» الذي كنت أختلف إليه في أثناء إعطاء ندوات في مادتي «موضوع في الأدب العباسي» و«موضوع في الأدب الأيوبي والمملوكي» في أثناء مرحلة الماجستير في الجامعة الأردنية.

ومن الأهداف التي وضعتها نصب عينيّ وأنا بصدد هذه الدراسة ما يلي:

- دراسة الفترة التي عاشها الشاعر منذ ولادته «٤٧٣هـ» وحتى وفاته «٥٤٨هـ» ومدى تأثره إيّاها وأحداثها.
- محاولة تبين أهم الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر من رثاء، وهجاء، ومديح، وشعر مذهبي، وشعر جهاد وغزل، ودراستها دراسة تحليلية نقدية.

وقد قامت خطة هذه الدراسة، على دراسة النصوص من الداخل مع محاولة تطبيق المنهج التكاملي؛ بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج. كما قامت منهجية هذه الدراسة على استقراء شعر ابن منير الذي وصل إلينا، وتبين الموضوعات، والأساليب الفنية التي قام عليها شعره، ومحاولة دراسة حياته من شعره، ومن مصادر ترجمته المختلفة.

وجاء هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول، فقد حاولت في التمهيد أن أتعرف الأوضاع العامة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وذلك فيما يخص الأحداث الكبرى، وبعض المظاهر الاجتماعية والثقافية، إذ إن هذه الجوانب تعرّف القارىء الظروف الكلية التي مرّت بها المنطقة، ومدى تأثر الشاعر إيّاها.

وتحدثت في الفصل الأول عن حياة الشاعر، فتناولت الحديث عن اسمه ونسبه، وكنيته، وأسرته، ومولده، ورحلاته، إضافة إلى ثقافته ومذهبه، وعلاقة الشاعر

بأدباء عصره، وختمت الفصل الأول بالحديث عن وفاته.

وتناولت في الفصل الثاني موضوعات شعر ابن منير، فتحدثت عن ديوان شعره المفقود، ذاكراً أول محاولة لجمع شعر ابن منير، وهي المحاولة التي قام بها الدكتور «سعود محمود عبد الجابر» سنة ١٩٨٢م، في كتابه الموسوم بـ «شعر ابن منير الطرابلسي» ثم ما قام به الدكتور «عمر عبد السلام تدمري» من جمع ديوان الشاعر سنة ١٩٨٦م، واستدرك فيه كثيراً على كتاب الدكتور «سعود»، ومن أجل ذلك اعتمدت على جمع الدكتور «تدمري» في هذا البحث، كما تناولت في هذا الفصل الحديث عن الفنون الشعرية التي نظم بها الشاعر من الشعر الحماسي، والشعر الوجداني، وشعر الهجاء وشعر المديح.

وكان الفصل الثالث محاولة لدراسة شعر الشاعر دراسة فنيّة، فتحدثت عن التجربة الشعرية ودورها في إغناء الشعر، وبناء القصيدة عند شاعرنا، ثم وقفت عند الحديث عن لغته الشعرية، وأسلوبه الشعري، واستعماله الألوان المتعددة من الأساليب التعبيرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني قمت بالاتصال مع الدكتور «عمر عبد السلام تدمري» أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية بطرابلس، فطلبت منه تزويدي بأية معلومات جدّت لديه عن ابن منير زيادة على التي تضمنها ديوانه، وقد تفضل الأستاذ تدمري مشكوراً بالرد على رسالتي، وأشار إلى أنه لا جديد لديه عما دوّن في الديوان.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدتها هذه الدراسة، فقد تنوعت بين قديمة وحديثة ومخطوطة ومطبوعة، على أنني اعتمدت في المقام الأول على ما وصلنا من شعر ابن منير. ومن المصادر القديمة المخطوطة التي اتكأت عليها: جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام -لابن رسلان الشيزري-، ومخطوط مسالك الأبصار في ممالك الأمصار -لابن فضل الله العمري-. وأما المصادر المطبوعة فهي: تاريخ أبي يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق -لابن القلانسي-، وتأتي أهمية هذا المصدر من أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي عاشها الشاعر وقريباً منها بحكم سكناه في بلاد الشام، ويضاف إلى هذا المصدر ثلاثة مصادر أساسية هي: خريدة القصر وجريدة

العصر قسم شعراء الشام للعماد الأصفهاني، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية لأبي شامة المقدسي، ومما يزيد من أهمية هذه المصادر أن عدداً كبيراً من الشعراء الذين ورد شعرهم فيها، ليس لهم دواوين مطبوعة، أو ليس لهم دواوين على الإطلاق. فضلاً عن معاصرة بعضهم لابن منير مثل العماد الأصفهاني.

ويضاف إلى هذه المصادر عدد من المصادر التي تجمع بين التاريخ والأدب، وأهمها: الكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي.

ومن المراجع الحديثة التي أفدت منها:

كتاب الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام للدكتور أحمد بدوي، والحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام لمحمد سيد كيلاني، والحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى للدكتور سعيد عاشور، وصدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني للدكتور محمود إبراهيم، والأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك للدكتور عمر موسى باشا، ومجموعة من كتب الدكتور عبد الجليل عبد المهدي المتخصصة في شعر هذا العصر وشعرائه مثل: الحياة الأدبية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري، وبيت المقدس في أدب الحروب الصليبية وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، وكتاب شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام للدكتور محمد علي الهرفي.

والله تعالى أسأله أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه، فإن أصبت فبنعمة من الله وفضل، وإلا فحسبي نصيب المجتهد وأجره، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الدكتور

محمد صبحي أسعد أبو حسين

التمهيد

تمهيد

عاش ابن منير في عصر كانت عوامل الضعف والانحلال فيه تنخر جسم الأمة الإسلامية بسبب حكام المسلمين، وتفرق كلمتهم، فقد أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة إلى عدم استقرار البلاد، وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبي، فجزئّت البلاد إلى إمارات وممالك، فالخلافة العباسية في بغداد لا يتعدى سلطانها بغداد، إذ كان الحكم الفعلي في يد السلاطين من السلاجقة الأتراك، وبلاد الشام منقسمة على نفسها، تشكل كل مدينة وحدة سياسية مستقلة لا علاقة لها بالأخرى، ويتجاذب هذه الوحدات ولاء وانتماء للسلاجقة أو للفاطميين: فالموصل وديار بكر وديار ربيعة وحلب في يد أمير يحكمها في طاعة السلطان السلجوقي، والقدس ومعظم الساحل الشامي في أيدي ولاة في طاعة الخلافة الفاطمية. وأما دمشق، فظل يتناوبها الولاة من السلاطين السلاجقة حيناً، والولاة من الفاطميين حيناً آخر، وهناك حصون استقلت بها عائلات امتد حكمها عليها زمناً، كحصن «شيزر»[1] الذي كان في يد «بني منقذ»[2]، وحصن «جعبر»[3] الذي كان في يد

---

(١) شيزر: وهو حصن قريب من حماة، وهو من أمنع القلاع وأحصنها، على حجرٍ عالٍ، له طريق منقورة في طرف الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب، وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه. انظر معجم البلدان -شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ. دار صادر - بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م. المجلد الثالث مادة شيزر، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تأليف شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة ت «٦٦٥هـ» تحقيق د. محمد حلمي أحمد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م ج١ ق١ ٢٧٩.

(٢) بنو منقذ استلم بنو منقذ حكم حصن شيزر في أيام «صالح بن مرداس» صاحب حلب سنة «٤٢٠هـ» وحتى وقوع الزلزال المدمر الذي أطاح بأهل شيزر وبالأسرة الحاكمة باستثناء من كان منهم خارجها. انظر «ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر «تاريخ ابن خلدون» -عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت «٨٠٨هـ ١٣٩١م/ ١٩٧١م ج٥ / ١٢.

(٣) حصن جعبر: جعبر: بالفتح ثم بالسكون، وباء موجودة مفتوحة، وراء. والجعبر في اللغة الغليظ القصير، قلعة على الفرات بين بالس والرقة، وكانت قديماً تسمى دوسر. انظر معجم البلدان «مادة جعبر».

«بني عقيل»[1]، وأما طرابلس، فقد كانت بيد «بني عمار»[2]، وقد ظل الولاة والأمراء في صراع مستمر، لا يحدد مفهوم الصداقة والعداوة بينهم إلا مقدار ما في الأمر من كسب يحرزونه.

ولعل اكبر حدث في عصر ابن منير هو: الزحف الصليبي على بلاد الشام، الذي أعقبه سقوط أجزاء كبيرة في قبضة الصليبيين، وفي مقدمتها بيت المقدس.

وبعد أن ألقى أوربان الثاني خطبته، وهو من أسرة يهودية إيطالية تظاهر بالمسيحية[3]، سارت الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م[4] وتبعتها حملات أخرى.

وفي سنة «٤٩٠هـ» أخذ الفرنج نيقية[5]، وهي أول بلد أخذوها من المسلمين،

(١) بنو عقيل: أسرة حكمت قلعة جعبر بن جُعبر بن مالك، وكان أول أمرائها، وإليهم ينسبونه. أخذها نور الدين زنكي من آخر حكامهم «سالم بن مالك العقيلي» ثم انتقلت إلى بني أيوب انظر معجم البلدان، مادة عقيل.

(٢) بنو عمار: ينحدر بنو عمار في الأصل من قبيلة كتّامه المغربية الإفريقية، وقد اعتنقت المذهب الشيعي وعندما قامت الدولة الفاطمية في المغرب. تولى شيخ هذه القبيلة «أمين الدولة» أبو محمد الحسن بن عمار بن أبي الحسين». وهو الذي فتح الطريق لأبناء قبيلته لينقلوا إلى الشام ويُعد «أبو طالب عبد الله بن حمد بن عمار» أول حكام بني عمار في طرابلس وظل بنو عمار في الحكم من سنة ٤٤٠هـ - وحتى سقوطها بيد الفرنج «٥٢٥هـ» انظر: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور د. عمر عبد السلام تدمري. الإيمان للنشر والتوزيع طرابلس، الطبعة الثانية ١٩٨٤م ج١/ ٣٣٧-٣٥٣.

(٣) انظر «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين. محمد بن علي المغربي الحريري تحقيق د. سهيل زكار، مكتبة دار الملاح سوريا ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ٢٧.

(٤) انظر البداية والنهاية -لأبي الفداء بن كثير ت «٧٧٤هـ» دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم د. علي نجيب عطوي، الأستاذ فؤاد السيد، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ علي عبد الساتر. دار الكتب العلمية، بيروت ج ١٢/ ص ١٦٦، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت «٨٧٤هـ». نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية ج ٥/ ١٤٦.

(٥) نِيقية: بكسر أوله وسكون ثانيه، وكسر القاف وياء خفيفة، مدينة من أعمال اسطنبول على البر الشرقي. انظر معجم البلدان ج ٥/ ٣٣٣.

ثم حصن الدروب والبارة[١]، وجبل السماق[٢]، وأفامية[٣]، وكفر طاب[٤]، ونواحيها. وفي سنة «٤٩١هـ» سقطت أنطاكية[٥] بأيديهم بعد حصار دام تسعة أشهر، ثم تلتها معرّة النعمان[٦]، وقد قتلوا من أهلها مائة ألف إنسان وسبوا مثلهم[٧].

ثم توجه الصليبيون سنة «٤٩٢هـ» إلى هدفهم الأكبر «بيت المقدس» فحصروا المدينة المقدسة أربعين يوماً إلى أن تمكنوا من احتلالها في الثالث والعشرين من شعبان، وأعملوا فيها القتل، والسلب، ونهبوا الكثير من النفائس من الصخرة المشرفة[٨].

وقد حفظت لنا كتب التاريخ هول المذبحة التي اقترفها الصليبيون عند احتلال «بيت المقدس» قال ابن الأثير ت «٦٣٠هـ»: «وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين.. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم، وزهادهم..»[٩] وذكر صاحب كتاب «أعمال الفرنجة» في وصف المذبحة، وهو

(١) البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، وهي ذات بابين ويسمونها زاوية البارة. انظر معجم البلدان مادة «بارين».

(٢) جبل السماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة، وقرى وقلاع انظر معجم البلدان «مادة جبل».

(٣) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام، وكورة من كور حمص. انظر معجم البلدان مادة (أفامية).

(٤) كفر طاب: بلدة بين المعرة، ومدينة حلب. انظر معجم البلدان مادة «كفر طاب».

(٥) انظر: الكامل في التاريخ -لأبي الحسن بن أبي المكارم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد راجعه وصححه د. محمد يوسف نجم دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ج ٩/ ١٣.

(٦) معرّة النعمان: هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة، من أعمال حمص، بين حلب وحماه. انظر معجم البلدان مادة «معرّة».

(٧) انظر: الكامل في التاريخ ج ٩/ ١٦.

(٨) انظر: البداية والنهاية. ج ٢١٢/ ١٦٦، النجوم الزاهرة ج ٥/ ١٤٦.

(٩) انظر الكامل في التاريخ ٩/ ١٨.

شاهد عيان، وممن شارك في الأحداث يقول: «تقدم واحد من فرساننا واسمه «ليتو» واعتلى سور المدينة، وما كاد يرتقيه حتى هرب جميع المدافعين عنها من الأسوار إلى داخلها فتعقبهم رجالنا، وأخذوا في مطاردتهم معملين فيهم القتل والتذبيح حتى بلغوا هيكل «سليمان» حيث جرت مذبحة هائلة، فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى... فلما ولج حجاجنا المدينة جدوا في قتل المسلمين ومطاردتهم حتى قبة عمر حيث تجمعوا، واستسلموا لرجالنا الذين أعملوا فيهم أعظم القتل طيلة اليوم بأكمله، حتى لقد فاض المعبد كله بدمائهم... وفي صباح اليوم التالي، تسلق رجالنا سطح الهيكل، وهجموا على المسلمين رجالًا ونساءً، واستلوا سيوفهم، وراحوا يعملون فيهم القتل... وصدر الأمر بطرح كافة موتى المسلمين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جيفهم، ولأن المدينة كادت أن تكون بأجمعها مملوءة بجثثهم، فقام المسلمون الذين قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس... وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعاً، وما تأتى لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي ألمت بالشعب المسلم...»[1].

ثم استولى الصليبيون على عكا وطرابلس، وصيدا ثم على صور سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، فظلت البلاد تئن لما أصابها من ذلة وهوان على أيدي الصليبيين، إلى أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية، وهي مرحلة المقاومة والتصدي وقد قاد هذه المرحلة «عماد الدين زنكي» الذي أدرك أن الداء الذي استشرى في الأمة: إنما هو تفرق البلدان الإسلامية المجاورة لحملة الصليب شيعاً ودولًا. فصمم على أن يجمع قوتها وكلمتها تحت لوائه، فأخذ يقارع الصليبيين وينازلهم، إلى أن دانت له الموصل، والجزيرة، وحلب، حتى أصبح خطراً يهدد الصليبيين في

(١) انظر أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس - مؤلف مجهول، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور: حسن حبش. دار الفكر العربي ١٩٥٨ مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ص ١١٨-١٢٠، «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين» محمد بن علي المغربي الحريري. تحقيق د. سهيل زكار -مكتبة دار الملاح سوريا ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص ٢٧.

مملتلكاتهم، وكان استيلاؤه على الرّها سنة «٥٣٩هـ / ١١٤٤م»[١] بمثابة ضربة أصابت الصليبيين. ثم حمل اللواء بعده ابنه «نور الدين زنكي» سنة «٥٤١هـ».

وقدمت الحملة الصليبية الثانية سنة «٥٤٢هـ» ١١٤٧م بقيادة الإمبراطور «كونراد الثالث» «إمبراطور ألمانيا» و«لويس السابع» ملك فرنسا[٢]، وكان هدف هذه الحملة استرداد الرها، إلا أن الفشل كان حليفها.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة الصليبية الثانية هي: وحدة المسلمين وقوّة الصف الإسلامي، فقد قيض الله لأمة الإسلام في بلاد الشام «عماد الدين زنكي» الذي عمل على وحدة الصف الإسلامي، وأحيا في الأمة روح الجهاد، وحال دون تحقيق مخططات الصليبيين في النيل من ديار الإسلام إلى أن توفاه الله، وفي ذلك قال ابن منير الطرابلسي يمدح عماد الدين زنكي بُعَيْد فتح الرها.

أَيـا مَلكـاً أَلْقَـى عَلـى الشِّـرْكِ كَلْكَـلاً أنـاخَ عَلـى أَمَّـاتِـهِ كَلْكَـلَ الثكْـلِ
جَمَعْـتَ إلـى فتـح الـرُّهـا سَـدَّ بـابِـه بَجمْعِك بين النَّهْبِ والأَسْرِ والقَتْلِ[٣]

وجاء ابنه «نور الدين زنكي» من بعده، فسار على طريقة أبيه، إلى أن علت هيبته، وامتد سلطانه، فهابته الفرنج. وظل يجاهد ويحرر القلاع والحصون، وكلما انتهى من موقعة انطلق إلى أخرى، وشغله الشاغل هو استعادة بيت المقدس، إلى أن أتاه أمر الله الذي لا يُرد. وهكذا، فإن الأحداث الجارية في هذا العصر كان لها أثرها في الشعر، وقد اشترك شاعرنا في هذه المرحلة مجاهداً بسيفه وقلمه، فنظم قصائد في الجهاد تعد من روائع شعر الجهاد في ذلك العصر[٤].

* * *

---

(١) انظر: تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذيل تارخ دمشق. مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م، ص ٢٧٩، الكامل في التاريخ ج ٩/ ٣٣١.

(٢) انظر: الحركة الصليبية ج٢/ ٦٠٦-٦٠٩.

(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي صححه وقدم له الدكتور «عمر عبد السلام تدمري» دار الجيل بيروت مكتبة السائح طرابلس الطبعة الأولى ١٩٨٦ ص ١٩٧.

(٤) نظم ابن منير الطرابلس ما يزيد على (١٢٠٠) بيت من الشعر في الجهاد. انظر الديوان ص ١٨٧-٢٧١.

وتتأثر الحياة الاجتماعية لأي مجتمع بالحالة السياسية لذلك المجتمع، فكلما كان الوضع السياسي مستقراً كان الوضع الاجتماعي لأفراد المجتمع مزدهراً، تكتنفه وشائج المحبة والإخاء، ومن العرض الآنف للحياة السياسية في عصر ابن منير، وما اعتورها من اضطراب وخلل، فقد تعددت الصور الاجتماعية في بلاد الشام بتعدد أنظمة الحكم التي تسيطر على المدن والأقاليم الشامية، فمن المدن ما كان تحت سيطرة السلاجقة الأتراك، أصحاب المذهب السني، ومن المدن ما كان تحت سيطرة الفاطميين أصحاب المذهب الشيعي، ومنها ما كان تحت سيطرة بعض العائلات العربية من أهل البلاد الأصلاء. ومن المدن ما كان تحت سيطرة الفرنجة، كل ذلك ساعد على تلون الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، إلا أن هنالك قواسم مشتركة رسمت لنا الصورة العامة للحالة الاجتماعية في ذلك العصر.

وشهد عصر ابن منير تنوعاً في المذاهب الدينية للأنظمة السياسية الحاكمة في بلاد الشام، فمن ذلك:

أ- **المذهب السُّنّيّ**: «وهم أهل السنة والجماعة» من السلاجقة الأتراك والعرب من أهل البلاد، فقد تمكن السلاجقة من دخول بغداد سنة «٤٤٩هـ»[1] بقيادة السلطان «طغرلبك»، وأصبح الخليفة العباسي تحت سيطرتهم، ثم امتد سلطانهم ليصل بلاد الشام، فسار السلطان «ألب أرسلان» بعساكره إلى الشام سنة «٤٦٣هـ» متجهاً إلى حلب، ثم تسلم دمشق سنة «٤٦٨هـ» وظلت البلاد الشامية بأيديهم زهاء عشرين سنة، وانتهت بمقتل تاج الدولة تُتُش» سنة «٤٨٨هـ» في أثناء الحرب التي دارت بينه وبين أخيه السلطان «بروكياروق» فضعفت دولتهم، وتنازعا فيما بينهم، وغلب على أمورهم الأتابكة والأمراء، وظل النزاع قائماً بينم وبين

(١) انظر مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. شمس الدين المظفر يوسف قزاوعلي التركي، المشهور بـ «سبط ابن الجوزي». ت «٦٥٤هـ» مطبعة حمص. دائرة المعارف العثمانية -حيدر أباد الدكن الهند الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ج٨/ ١٦-١٨.

الفاطميين، مما أضعف الجبهة الإسلامية في بلاد الشام أمام الزحف الصليبي، ولا بد من القول إن السلاجقة دافعوا عن بلاد الشام قرابة عشرين عاماً، بل إنهم طردوا الروم البيزنطيين الذين استولوا على أنطاكية وحكموها من «٣٥٨هـ» إلى «٤٧٧هـ»، إذ شرع «سليمان بن قتلمش السلجوقي» صاحب قونية[١] في المسير من بلاد الروم إلى بلاد الشام، فاستولى على أنطاكية سنة «٤٧٧هـ» - ١٠٨٥م[٢]، وظل السلاجقة في بلاد الشام بمنزلة الشوكة في حلق الفرنج، فلم يتيحوا لهم تحقيق أطماعهم في احتلالها، إلا أن الصليبيين تمكنوا من أخذ أجزاء متفرقة من بلاد الشام إلى أن تصدى لهم آل زَنكي الذين جددوا عهد الفتوحات، وأحيوا في الناس روح الجهاد، وحب الاستشهاد، فكان عصرهم عصر حروب وانتصارات.

ومن صور العدل أن «نور الدين زنكي» بنى دار العدل بدمشق، وسماها «دار الكشف»، وسببه أن الأمراء لما قدموا دمشق اقتنوا الأملاك، واستطالوا على الناس خصوصاً «أسد الدين شيركوه»[٣] فكثرت الشكاوى إلى القاضي، فأخبر القاضي الملك العادل نور الدين، وكان يجلس في الدار في كل أسبوع أربعة أيام أو خمسة، ويحضر عنده العلماء والفقهاء، ويأمر بإزالة الحُجَّاب والبَّوابينَ، ويوصل إليه الشيخ الضعيف، والعجوز الكبيرة، ويسأل الفقهاء عما أشكل عليه. فأحضر أسد الدين شيركوه أصحابه وديوانه، وقال: «إن نور الدين ما بنى هذه الدار إلا بسببي وحدي،

---

(١) قونيّة: بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثنّاه من تحت خفيفة. من أعظم مدن الإسلام بالروم. انظر معجم البلدان مادة «قونيّة».

(٢) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ١١٧، زبدة الحلب في تاريخ حلب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت «٦٣٠هـ». راجعه وصححه د. سامي الدهان. المعهد الفرنسي بدمشق المطبعة الكاثوليكية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ج ٢/ ٨٦، ٨٧.

(٣) «أسد الدين شيركوه»: أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب بالملك المنصور. عم السلطان صلاح الدين. كان مقرباً من الملك العادل نور الدين زنكي. توفي سنة «٥٦٤هـ» ودفن بالقاهرة، ثم نقل إلى المدينة المنورة انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان -لأبي العباس محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صدر - بيروت ١٩٧٠م ج٢/ ٤٧٩، ٤٨٠.

والله لئن أُحضرت لدار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه، فإن كان بينكم وبين أحد منازعة، فأرضوه بمهما أمكن، ولو أتى على جميع ما في يدي، فإن خروج أملاكي من يدي أهون عليَّ من أن يراني نور الدين بعين ظالم، ويسوي بيني وبين آحاد العوام، ففعلوا، وأرضوا الخصوم، فجلس نور الدين في دار العدل، وقال للقاضي ما أرى أحداً يشكو من شيركوه، فأخبره الخبر، فسجد وقال: الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من نفوسهم قبل حضورهم عندنا»[1].

ولدى استعراض ما قاله ابن منير من شعر في نور الدين زنكي، نلاحظ أن شاعرنا قد ركز على العدل، وعرض له في غير موضع، فمن ذلك قوله مخاطباً نور الدين:

أَوَلَسْتَ مَنْ مَلأ البَسِيطَةَ عَدْلُهُ ... واجْتَبَّ بالْمَعْرُوفِ أنْفَ المُنْكَرِ[2]

ويقول:

غدَا الدِّينُ بِاسْمِكَ سَامي العَلَم ... أمِين العمادِ مَكِينَ القَدَمْ

لِذَلِكَ لُقِّبْتَ نوراً لَهُ ... وَقَدْ أغْطَشَ الظُّلْمُ مِنْهُ الظُّلَمْ

أَضَاءَتْ بِعَدْلِكَ آفَاقُهُ ... وفُضَّتْ عُرَى الدّينِ لمّا ادْلَهَمّ[3]

ب- **المذهب الشيعي**: سيطر الفاطميون أصحاب المذهب الشيعي على بلاد الشام نحو قرن من الزمان[4]، وخلفوا وراءهم صوراً قاتمة للحياة الاجتماعية بسبب فساد المذهب وسوء المعتقد[5]، وبسبب الخلاف مع السلاجقة أصحاب المذهب السنيّ، لذلك، وقف الفاطميون من الحملة الصليبية على بلاد الشام موقف

(١) «كتاب» الروضتين ج١ ق١ / ١٧-١٩، انظر مرآة الزمان ج ٨/ ٣٠٩.

(٢) الديوان: ٢٢٩.

(٣) نفسه: ٢٥٨.

(٤) كان استيلاء الفاطميين على الشام سنة ٣٥٩هـ ثم أخرجوا منها سنة ٤٦٨هـ في عهد السلطان ملك شاه. انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٠٨، ١٠٩، تاريخ ابن خلدون ج ٥/ ٥.

(٥) انظر: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية. د. محب الدين الخطيب. مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٨٠هـ من صفحة ٨-٣٨.

المتخاذل غير المكترث، بل إنهم رحبوا بها لأنهم وجدوا فيها عوناً على السلاجقة، فقد قيل: إنهم بعثوا رسلهم إلى زعماء الصليبيين وقادتهم في أنطاكية. ظناً منهم أنه بعدم التصدي للصليبيين، إنما يصرفون نظرهم عن الدخول إلى مصر[١]، ولم تكن وحدة المذهب عندهم عاملاً في التقريب بينهم وبين بعض أنظمة الحكم في بلاد الشام آنذاك، وإنما كانت المصالح الذاتية هي التي تُملي الاتجاه السياسي في دولتهم. وخير شاهد على ذلك، تقاعسهم عن نجدة طرابلس عندما حاصرها الصليبيون، رغم أن نظام الحكم آنذاك شيعي يقوده بنو عمار، وظل أهل طرابلس يستغيثون الديار المصرية، ويستنجدون خليفتها والخليفة في سبات عميق، إلى أن داهمتم خيول الفرنج، وأخذوا أموال المدينة وذخائرها[٢]، وكان ذلك سنة «٥٠٢هـ»[٣].

ومما تحسن الإشارة إليه أن الشيعة أحيوا بعض الأعياد والمناسبات التي وجدت لدى الفرس ولم يقرها الإسلام، فمن ذلك عيد الغدير، وعيد المهرجان، وعيد النوروز، وعيد السذق أو الصدق[٤].

---

(١) انظر: خطط الشام -محمد كرد علي. المجمع العلمي العربي السوري ١٩٢٦ ج١/ ٣٠٧.

(٢) انظر: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. لابن شداد عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي ت «٦٨٤» تحقيق د. سامي الدهان. قسم تاريخ لبنان والأزدن وفلسطين طبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية/ دمشق ١٩٦٢م. ١١١، النجوم الزاهرة ج٥/ ١٨٠، ٤٩٦.

(٣) ذكر ابن الأثير في الكامل: أن سقوط طرابلس كان سنة «٥٠٣هـ» انظر ج ٩/ ١٣٦.

(٤) عيد المهرجان: يصادف في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول، وبحلوله يكون إيذاناً ببدء الانقلاب الشتوي، وقالوا هو بداية النهاية للكون، فيه تقوم القيامة. وعيد النيروز: معناه اليوم الجديد، يحل عند الانقلاب الصيفي، وذلك مع بدء الربيع من كل سنة جديدة، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار. قالوا فيه يوزع الله السماوات على أهل الأرض. يوم السذق: «الصدق» وهو من أعياد الفرس القديمة ويسمى بـ «لية الوقود» ويصادف ليلة الميلاد. وهو يوم الخير، ويوم الصدق فيه تزال الأمراض والعلل -هذا حسب زعمهم-. انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية -لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. دار صادر ص ٣١٥-٣٧٥، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ «خطط المقريزية» -تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ت «٨٤٥هـ» مكتبة المثنى بغداد ج١/ ٤٩٠-٤٩٤. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري د. آدم ميتز ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريده. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م/ ج٢/ ٢٧٦-٢٩٦.

فعيد الغدير عندهم بمنزلة إحياء ذكرى الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ في الثامن عشر من ذي الحجة سنة «١١هـ» في الموضع المسمى «غدير خُمّ» بين مكة والمدينة في أثناء عودته من حجة الوداع، التي ذكر أنه قال فيها بعد أن أخذ بيد علي بن أبي طالب «رضي الله عنه»: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» لذلك، كانوا يحيون ليلته بالصلاة، ويشعلون النيران، ويلبسون الملابس الجديدة وينصبون القباب، وينحرون الذبائح، ويعتقون الرّقاب، ويزورون مقابر الأولياء[١].

ويحسن بي أن أُشير إلى أن عدداً ممن كان يقيم في البلاد الشامية قبل الزحف الصليبي على بلاد الشام كان نصرانياً، وبالإضافة إلى ذلك من استوطن من النصارى بعد الزحف والاحتلال، وقد كان لهؤلاء النصارى عادات، وطباع، وأعياد، ومناسبات دينية صبغت الحياة الاجتماعية في جزء من بلاد الشام بلون خاص، فمن أعيادهم «أعياد الصوم الكبير»[٢]، وغالباً ما تقام هذه الأعياد في الأديرة أو باحات الأديرة، ويدعى لها الناس من النصارى والمسلمين. ومن الصور الاجتماعية عن الفرنج ما كان غريباً ومستهجناً عند المسلمين، فقد أفرد «أسامة بن منقذ» فصلاً للحديث عن طبائع الفرنج وأخلاقهم في كتابه «الاعتبار»، ومما جاء فيه «وليس عندهم شيء من النخوة، والعزة. يكون الرجل يمشي هو وامرأته، يلقاه رجل آخر، يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طوّلت عليه خلاها مع المتحدث ومضى»[٣] ثم يقول: «ومما شاهدت

(١) انظر: النجوم الزاهرة ج٤/ ٢٥.

(٢) الصوم الكبير: يسمونه السعانين أو الشعانين، ويقع في ثمانية وأربعين يوماً، ويتبعه عيد القيامة أو العيد الكبير. انظر الآثار الباقية للبيروني ص ٣٠٣.

(٣) الاعتبار أسامة بن منقذ مؤيد الدولة أبو المظفر ت «٥٨٤هـ». فيليب حتى. الدار المتحدة للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١. ص ١٧٤.

من ذلك أني كنت إذا جئت إلى نابلس، أنزل في دار رجل يقال له: «معز» داره عمارة المسلمين، لها طاقات تفتح إلى الطريق، ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار رجل إفرنجي، يبيع الخمر للتجار، ويأخذ في قنينته من النبيذ، وينادي عليه ويقول: فلان التاجر قد فتح بتيّة من هذا الخمر، من أراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا، وأجرته عند ندائه النبيذ الذي في تلك القنينة، فجاء يوماً، ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش، فقال له: أي شيء، أدخلك عند امرأتي؟ قال: كنت تعبان، دخلت أستريح. قال: فكيف دخلت إلى فراشي، قال: وجدت فراشاً مفروشاً، نمت فيه. قال: والمرأة نائمة معك؟ قال: الفراش لها، كنت أقدر أمنعها من فراشها.

قال: وحق ديني إن عُدْت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت، فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته»[1].

- **وسائل التسلية**: من المظاهر الاجتماعية ما يلي:

أ- الصيد: وهو وسيلة من وسائل التسلية، وقد كان عند الخاصة أكثر منه عند العامة. وقد أفرد له أسامة بن منقذ فصلاً في كتاب «الاعتبار»، ومما جاء فيه: «ورأيته -يعني عماد الدين زنكي- وهو في صيد الوحش دفعات، إذا اجتمعت الحلقة، واجتمع فيها الوحش لا يقدر أحد يدخل الحلقة، وإذا خرج من الوحش شيء رموه، وكان من أرمى الناس، فكان إذا دنا منه الغزال رماه، فنراه كأنه قد عثر فيقع ويذبح»[2].

ب- الغناء، والموسيقى، والخمر: كان للغناء وما يصاحبه من آلات العزف والطرب في عصر ابن منير شيوع، وذيوع، وغالباً ما كان يرافقه تعاطي الخمر، واقتراف الفسق، إلى أن جاء الملك العادل «نور الدين» فمنع ذلك كله. قال «أبو شامة المقدسي» في معرض حديثه عن الملك العادل «نور

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ، ص ١٧٤.

(٢) الاعتبار، ص ٢٤٨. ثم انظر: الحضارة الإسلامية -آدم متيز ج٢/ ٢٥٧-٢٥٩.

الدين» «ومنع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده، ومن إدخالها إلى بلد ما، وكان يحد شاربها الحد الشرعي، كل الناس عنده فيه سواء»[١].

ج- الألعاب الرياضية: منها ما كان رياضة للبدن كلعبة «الكرة» وهي ما تعرف بـ«الصولجة» وفي زماننا بلعبة «البولو» وقد كان نور الدين زنكي مغرماً بها، وفي ذلك يقول أبو شامة المقدسي: «واستخص نور الدين، صلاح الدين، وألحقه بخواصه، فكان لا يفارقه في سفر، ولا حضر وكان يفوق الناس جميعاً في لعب الكرة، وكان نور الدين يحب لعب الكرة»[٢] ومن الألعاب الرياضية ما كان رياضة للذهن كلعبة «الشطرنج» حيث كانت منتشرة على نطاق واسع آنذاك[٣].

- ومن المظاهر الاجتماعية اللافتة «الشذوذ الجنسي» وهو ما يعرف بالغزل بالغلمان، فقد شهد هذا العصر انتشاراً كبيراً لهذه الظاهرة، ولهذا البلاء العظيم[٤].

ويكاد الغزل الغلامي في هذه المرحلة، وقبلها يطغى على الغزل بالمؤنث، ولم يقتصر الخلعاء من الشعراء على هذا اللون من الشعر، أو الممارسة الخسيسة، بل إننا كثيراً ما نطالع في هذه الفترة: قال الشيخ... في غلام له وللفقيه... أبيات يتغزل فيها بغلام له، وما قاله الوزير... في غلامه.

وقد عدّ الإسلام هذه الفعلة من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة والدنيا، ناهيك عن الأضرار الصحية التي تخلفها على طرفي الجريمة، لذلك عاقب الإسلام عليها بأقصى العقوبة.

---

(١) الروضتين ج١ ق١/ ١١.

(٢) نفسه ج ١ ق١/ ٢٥٢. انظر البداية والنهاية ج ١٢/ ٢٣٣، مرآة الزمان ج ٨/ ٣٠٩.

(٣) انظر: رحلة ابن جبير -لأبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ت ٦١٤هـ. دار صادر ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩ ٢٢٤، الحضارة الإسلامية ج ٢/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٤) انظر: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام. محمد سيد كيلاني. دار الكتب المصرية ١٩٤٩، ٣٩.

وقد تصدى كثير من الكتاب آنذاك لمحاربة هذا الشذوذ، وشنوا الحملة على أنصاره، والداعين إليه، ومن هؤلاء الكتاب ابن قيم الجوزية الذي أعلنها حرباً ضارية على عشاق الغلمان. يقول: «. . . . وقد آل الأمر بكثير من هؤلاء إلى ترجيح وطء، المردان على نكاح النسوان. . .» ثم يقول: «. . . فإن جرمه عنده -يعني أبا حنيفة- وعند جميع أهل الإسلام أعظم من جرم الزنا، ولهذا عاقب الله -سبحانه- أهله بما لم يعاقب به أمة من الأمم، وجمع عليهم أنواع العذاب، ما لم يجمعه على غيرهم»[1] وقد ورد عن رسول الله ﷺ «أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[2].

ولعل السبب في انتشار هذا اللون من الشعر في عصر الحروب الصليبية، يعود لأسباب ذكر بعضها من كتب في أدب هذا العصر[3]، ولا بأس من ذكر بعضها، فمن ذلك:

* كثرة الغلمان والسقاة، وبخاصة من أبناء غير العرب من الترك والأكراد، والرومان والفرس الذين امتازوا بجمال مفرط.
* التأثر ببعض المسلمين ممن هم حديثو عهد بإسلام، الذين ينحدرون من أصول غير عربية، كالفارسية مثلاً، فقد كان هذا اللون من الشعر منتشراً لديهم، ونقلوا ذلك إلى غيرهم، إلى أن تجرأ الخاصة والعامة على ذلك.

هذه هي صور اجتماعية للمحيط القلق الذي نجم عن السياسة المضطربة، وهي البيئة التي عاش فيها.

* * *

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان -لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ت «٧٥١هـ» مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده -مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م. تحقيق محمد حامد الفقي ج ٢/ ١٤٢-١٤٩.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠، وأبو داود «٤٤٦٢، ٤٤٦٤»، والترمذي ١٤٥٦، وابن ماجه «٢٥٦١، ٢٥٦٤» من حديث ابن عباس.

(٣) انظر: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي. محمد سيد كيلاني ص ٣٩-٤١، حول الأدب في العصر السلجوقي. د. محمد التونجي مكتبة قورينا، بنغازي، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ص ٢١٥-٢٢١.

وبالرغم من الاضطراب السياسي الذي شهده عصر ابن منير، وما واكبه من أحداث جسام أسفرت عن سقوط دول، ونهوض أخرى على أثرها، وزوال ملك عن قوم ليحل في آخرين، وانهيار سيطرة مذاهب دينية ليقوم سلطان مذاهب أخرى تأخذ مكانها، فإن الحركة الأدبية ظلّت قوية متماسكة، تنهل من معين العصر الذهبي، وترتسم خطاه، ولعل هذا الاضطراب السياسي، وهذه الأحداث العنيفة قد ساهمت بشكل أو بآخر في دفع عجلة الأدب نحو الرقي والازدهار، حيث شكلت الأحداث السياسية مادة خصبة للأدباء والشعراء، وأثارت انفعالاتهم، وعواطفهم، فأجادوا القول، وأسهبوا فيه.

وقد تعددت المراكز الأدبية في ذلك العصر، بتعدد مراكز الحكم، ضمن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، مما أدى إلى تنافس الأمراء والسلاطين من أجل اجتلاب مشاهير الأدباء والشعراء كل إلى بلاطه. يقول «أحمد أمين» في معرض حديثه عن أثر استقلال الدول والإمارات عن الخلافة الإسلامية، على الأدب العربي: «. . . فلما استقلت الأقطار، أصبحت عاصمة كل قطر مركزاً هاماً لحركة علمية، وأدبية، فأمراء القطر يعطون عطاء خلفاء بغداد، ويُحَلُّونَ عاصمتهم بالعلماء والأدباء، ويفاخرون أمراء الأقطار الأخرى في الثروة العلمية، والأدبية، كما يتفاخرون بعظمة الجند، وعظمة المباني، فبدل أن كان للعلم والآداب مركز واحد هام، أصبح له مراكز هامة متعددة»[1] فظهرت الحواضر الأدبية والعلمية[2]، يؤمها الشعراء والأدباء والعلماء، ويختلف إليها طلبة العلم من أرجاء المعمورة للدراسة، والبحث.

وقد نشطت الحركة الأدبية في عهد الدولة الأتابكية، وزخر بلاطها بالعلماء، والشعراء والأدباء، كما نشطت حركة التأليف في هذه الفترة، واتخذ العلماء والأدباء

(١) ظهر الإسلام «أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. الطبع الثالثة ١٩٦٢، ص ٩٤-٩٥.

(٢) انظر: الحياة الأدبية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري. د. عبد الجليل عبد المهدي. مكتبة الأقصى/ عمان انظر الصفحات من ١٤ إلى ١٩.

أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية، والعلمية، والأدبية، وغيرها[١] ولعل وجود المسجد الجامع[٢] وما يزخر به من حلقات العلم والدرس، بحيث وجد عند كل سارية من سواريه معلّم يعلّم الصبيان[٣] -كان سبباً في إغناء الحركة الأدبية، والعلمية في دمشق آنذاك.

ومن الحواضر العلمية والأدبية، مدينة طرابلس، التي غدت حاضرة الشام على عهد أسرة بني عمار. فقد أقام «أمين الدولة ابن عمار»[٤] فيها دار علم جمع في مكتبتها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً[٥] وقد ذهب «محمد كرد علي» إلى أن دار الحكمة التي وجدت في طرابلس كانت قبل بني عمار، يدلل على ذلك بقوله: «إن بني عمار لم يستولوا على طرابلس إلا بعد الأربعين وأربعماية»[٦]. وقد أسهم مصنع الورق الموجود في المدينة في إثراء المكتبات بما تحتاجه من كميات الورق الوفيرة، فكان لذلك أثر على حركة التأليف والكتابة والترجمة والنسخ، التي نشطت في طرابلس خلال هذه الفترة. فكثر فيها الوراقون، والنّساخة، والكُتّاب، والمؤلفون، والمجلدون[٧]. ومما يجدر الإشارة إليه: أنه في سنة «٤٧٢هـ» قام جلال الملك بن

---

(١) انظر: الروضتين ج ١ ق١/ ٢٠٠. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٥ ج ٤/ ٤٣٢.

(٢) المسجد الجامع: هو المسجد الأموي، بناه عبد الملك بن مروان، ويقال إن أول من وضع جداره القبلي النبي هود عليه السلام. انظر: رحلة ابن جبير ص ٢٣٦. تاريخ دمشق للإمام الحفظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت «٥٧١هـ» تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي/ دمشق ج ٢ ص ٨١.

(٣) انظر: رحلة ابن جبير ص ٢٤٤.

(٤) أمين الدولة: هو أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار. أول من حكم من بني عمار وقد تولى الحكم من سنة «٤٤٠-٤٦٤هـ» انظر تاريخ طرابلس السياسي د. تدمري ص ٣٤٥-٣٥٢.

(٥) انظر: الأعلاق الخطيرة ج ٢/ ١٠٧ «قسم الأردن ولبنان وفلسطين». انظر تاريخ طرابلس السياسي ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٦) خطط الشام -محمد كرد علي ج ٦/ ١٩٧.

(٧) انظر نفسه ج ٦/ ١٩٢. الحياة الثقافية في طرابلس ص ٢٥.

عمار[١] بإعادة بناء وتجديد دار العلم، أي قبل عام واحد من ولادة شاعرنا ابن منير الطرابلسي[٢].

ومن الحواضر العلمية والأدبية مدينة حلب، فقد ذكر ابن جبير «أن بها نحو أربع مدارس أو خمس»[٣] ساهمت في تنشيط الحركة الأدبية آنذاك. ويوجد بها خزانة كتب عُدَّت من أشهر خزائن الملوك والأمراء في القرن السادس والسابع الهجريين، وهي الخزانة التي وقفها «نور الدين محمود زنكي» على مدرسته[٤]، كما كان بها خزانة كتب مهمة اسمها «خزانة الصوفية» ظلت عامرة إلى القرن السابع يؤمها طلبة العلم[٥].

ومن الحواضر العلمية والأدبية مدينة القدس إذ كانت القدس قبل الاحتلال الصليبي تتبع الخلافة الفاطمية في مصر، وقد عمد الفاطميون إلى إنشاء المعاهد، ودور العلم، بغية نشر مذهبهم، فقد أنشأوا فيها داراً للعلم على غرار دار العلم الموجودة بالقاهرة، وكانت تعقد فيها المجالس الكثيرة إلى أن غدت مركزاً يعج بالنشاط الفكري[٦]. ومن المدارس العلمية في بيت المقدس «المدرسة أو الزاوية النصرية» أو «الغزالية» وتنسب إلى الشيخ «أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي» كما تُنسب إلى الإمام «أبي حامد الغزالي، وظلت القدس محط الأنظار، وقبلة الزائرين، والعلماء، فقد أمَّها خلق كثير من العلماء، والأدباء قبل الاحتلال

---

(١) جلال الملك بن عمار: هو علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمار، أبو الحسن، ت ٤٩٢هـ. حكم ما بين ٤٦٤ - ٤٩٢هـ. استلم الحكم من أمين الدولة ابن عمار. انظر تاريخ طرابلس السياسي ص٣٤٩.

(٢) انظر ديوان ابن منير الطرابلسي ص ١١.

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٨٨.

(٤) انظر: خطط الشام ج ٦/ ١٩٢.

(٥) انظر: خطط الشام ج ٦/ ١٩١.

(٦) انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي والمملوكي، د. عبد الجليل عبد المهدي. مكتبة الأقصى عمان الطبعة الأولى ١٩٨٠م ص ١٤.

الصليبي لها ثم ركدت الحركة الفكرية والأدبية في بيت المقدس في ظل الاحتلال الصليبي لها، وعادت إلى الوراء بسب جهل الصليبيين، وعدم اهتمامهم بالعلم، وفي ذلك يقول «أنتوني دبست»، «... وعندما وصل الصليبيون الغلاظ إلى بلاد الشام، وجدوا أنفسهم أمام حضارة إسلامية ذات إشعاع عظيم فبهرهم هذا الإشعاع، ولمسوا التفوق السياسي والتنظيم الاجتماعي عند العرب، فقد كانت الحروب الصليبية كما يصفها مؤرخ معاصر، تمثل هجوم جماعات جاهلة على عالم متحضر متمدن»[١]. ولم يقتصر الأمر على الدّمار والخراب، والقتل والتشريد الذي أحدثه الصليبيون في بيت المقدس فحسب، بل امتدت إلى المكتبات ودور العلم فأعملوا فيها الحرق والإتلاف، فأحرقوا دار العلم وما يتصل بها من مدارس ومعاهد ومكتبات. ومن المكتبات اللائي أُحرقت مكتبة دار العلم في طرابلس، ومكتبة أسامة بن منقذ[٢].

ولقد ساهم المسجد الأقصى في إغناء الحركة العلمية، والأدبية في القدس، فقد تحول إلى جامعة إسلامية، ومركز علم وعبادة[٣]. فعاد بعد تحريره من الأسر الصليبي ليكون منارة العلم والإيمان، كما كان شأنه قبل الاحتلال[٤].

وخلاصة القول: إن وضع الأدب آنذاك لم يتبع وضع السياسة في اضطرابه وانشقاقه، بل ظل رائجاً ومتداولاً ومنتشراً، إلا أنه تراجع قليلاً بسبب حالة الذعر التي أصابت المنطقة عند دخول الفرنج، وبسبب انشغال المسلمين بالجهاد وطرد الغزاة الصليبيين.

---

(١) الحروب الصليبية - أنتوني دبست ترجمة شكري محمود نديم. شركة النبراس للنشر والتوزيع/ القاهرة الطبقة السابعة ١٩٦٥م. ١٧٧.

(٢) انظر: خطط الشام ج ٦/ ١٩٦، ١٩٧.

(٣) انظر: المدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي دورها في الحركة الفكرية د. عبد الجليل عبد المهدي. مكتبة الأقصى عمان ١٩٨١ ج ١/ ١٢ وما بعدها.

(٤) انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، د. عبد الجليل عبد المهدي ص ٥٥.

الفصل الأول

حياة ابن منير الطرابلسي

اسمه، ونسبه، وكنيته:

ليس ثمة خلاف بين المصادر التي ترجمت لابن منير في اسمه، واسم أبيه واسم جد أبيه، إلا أن هنالك اختلافاً بين المصادر التي ذكرت عدد أفراد سلسلة النسب، فمن المصادر ما ذكرت اثنين، ومنها ما ذكرت ثلاثة، ومنها ما ذكرت أربعة، ولا يوجد مصدر ذكر أكثر من ذلك. فهو:

«أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي»[1]، وهذه السلسلة هي الأكثر شيوعاً في كتب التراجم، والأطول نسباً، ولا زيادة عليها في المصادر، وهي الأقوى رواية بسبب كثرة عدد الرواة، ووجود نفر منهم يتصف بالثقة والضبط في النقل والترجمة.

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت «٥٧١هـ» دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الثالثة، ج ٢/ ١٠٠، تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران، تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» لأبي البركات بن أحمد اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفى ت «٦٣٧هـ» حققه وعلق عليه سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، القسم الثاني ورقة ١٣٦ أ.

بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة ت «٦٦٠هـ» تحقيق د. سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨/ ج٣/ ١١٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت «٦٨١هـ» تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ج ١/ ١٥٦.

مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت «٧١١هـ» تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٤، ج ٣/ ٣٠٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت «٧٤٨هـ» تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى «١٤٠٥هـ» ج ٢/ ٢٢٣. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ت «٧٦٤هـ» باعتناء محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٧١م، ج ٦ ق٨/ ١٩٣. عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، ت «٧٦٤هـ»، تحقيق فيصل السامر، منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٧م، ج ١٢/ ٤٦٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ت «١٠٨٩هـ» دار المسيرة بيروت ١٩٧٧، الطبعة الثانية دار الإنصاف بيروت ١٩٦١، الطبعة الثانية ج ١٠/ ١٤٥. الغدير في الكتاب والسنة والآداب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٧، ج ٤/ ٣٣١. ديوان ابن منير الطرابلسي، جمعه وقدم له د. عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ١٣.

ويتحدث العديد من المؤرخين عن ابن منير: اسمه ونسبه، فيذكر بعضهم[1] أنه: «أحمد بن منير» وهم بذلك يسقطون من سلسلة نسب ابن منير «أحمد بن مفلح الطرابلسي»، ولعلهم أسقطوا ذلك اختصاراً.

وورد عند آخرين[2] أنه: «أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي» وهم بذلك يكونون قد أسقطوا من سلسلة النسب «أحمد».

وجاء عند نفر[3] منهم أنه: «أحمد بن منير بن أحمد الطرابلسي» ويكونون بذلك قد أسقطوا من سلسلة النسب «مفلح».

وكان يلقب بـ «مهذَّب الدين»[4] و«المهذَّب»[5] و«الشيخ مهذَّب الدنيا والدين»[6]

---

(١) منهم: تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، أبي يعلى حمزة بن القلانسي ت «٥٥٥هـ» طبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م ص ٣٢٢. البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ت «٧٧٤هـ» دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم، د. علي عطوي، الأستاذ فؤاد السيد، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٢/ ٢٤٨، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

(٢) انظر: الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منظور السمعاني ت «٥٦٢هـ» تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠، ج ١/ ٣٠٢، تتمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن الوردي ت «٧٤٩هـ» إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ج ٢/ ٨٥.

(٣) انظر: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، يوسف بن قزاوغلي المشهور بسبط بن الجوزي، حيدر آباد، الدكن، الهند ١٩٥١، الطبعة الأولى، ج ٨ ق ١/ ٢١٧. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت «٧٤٨هـ» حيدر أباد، الدكن، الهند ١٩٥٧، ج ٤/ ١٣١٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٣٥، ج٥/ ٣٢٩.

(٤) انظر: وفيات الأعيان ج١/ ١٥٦، سير أعلام النبلاء ج ٢/ ٢٢٣، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ داود عمر الأنطاكي ت «١٠٠٨هـ» الطبعة الثالثة ١٣٢٨هـ، المطبعة الأزهرية، مصر، ص١٧٤. الغدير ج٤/ ٣٣١. أمل الآمل ق١/ ٣٥. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤/ ٢٢٠. أعيان الشيعة ج١/ ١٤٥. ديوان ابن منير ص ١٣.

(٥) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ص٧٩.

(٦) انظر: روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات، الميرزا أحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، تحقيق أسد الله إسماعيليان، دار الكتاب العربي، بيروت ج١/ ٢٦١.

و«مهذَّب الملك»[١] و«عين الزمان»[٢] و«عين النهار»[٣].

ونلاحظ من اقتران اسمه بهذه الألقاب، وما تضفيه على صاحبها من ظلال، أن ابن منير كان على درجة من الثقافة، والدراية بالعلوم الشرعية، ومن إيحاءات هذه الألقاب أنه كان يتبوأ مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية والسياسية على حدٍ سواء.

وأما شهرته: فقد اشتهر «بالرّفاء»[٤] مثل أبيه، فقد كان أبوه يرفو الثياب.

يذكر «ابن عساكر»[٥]، وقد تعلم ابنه هذه الحرفة في بدايات حياته فاشتهر بها، وذلك قبل اشتهار أمره، وذيوع شعره.

وقد كان لهذه المهنة أثر في شعره، قال يمدح نور الدين زنكي:

مُظَفَّرُ العَزمِ مَمدودُ الرَّواقِ عَلَى مَعَالِمِ الدِّينِ يَرْفِيهَا وَيَبْنِيهَا[٦]

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات ج ٦ ق ٨/ ١٩٣، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٦٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبد الله حاجي خليفة، وكالة المعارف الجليلة، طبعة اسطنبول ١٩٢١، ج ١/ ١٣٦٠.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ج١/ ١٥٦، سير أعلام النبلاء ج ٢/ ٢٢٣، الوافي بالوفيات ج ٦ ق ٨/ ١٩٣، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٦٧. أمل الآمل ق١/ ٣٥. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤/ ٢٢٠. روضات الجنان ج١/ ١٦١. أعيان الشيعة ج١٠/ ١٤٥. ديوان ابن منير ص ١٣.

(٣) انظر: شذرات الذهب ج ٤/ ١٤٦.

(٤) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ١٠٠. مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢١٧، مختصر تاريخ دمشق ج٣/ ٣٠٦. تذكرة الحفاظ ج ٤/ ١٣١٣. سير أعلام النبلاء ج٢/ ٢٢٤. العبر في خبر من غبر ج ٤/ ١٣. مرآة الجنان ج٣/ ٢٨٧. النجوم الزاهرة ج٥/ ٢٩٩. شذرات الذهب ج٤/ ١٤٦. أعيان الشيعة ج١٠/ ١٤٥. شعر ابن منير الطرابلس جمعه وحققه د. سعود محمود عبد الجابر، دار القلم، الكويت الطبعة الأولى ١٩٨٢. ص ٧ ديوان ابن منير الطرابلسي ص ١٣.

الرّفاء: والرّفاء: الالتحام والاتفاق، رفوت الثوب أرفوه رفواً. انظر اللسان مادة «رفا».

(٥) انظر تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ٩٧.

(٦) الديوان: ص٢٥٤.

وله فيه أيضاً:

وإنَّـــكَ خَـــارِمُ مَـــا أَحْكَمُـــوهُ وَمِـــنْ دِينِنَـــا رَاقِـــعُ مَـــا انْخَـــرَمْ[1]

***

اتفقت جميع المصادر على أن ابن منير ينسب إلى «طرابلس»[2] وهي مسقط رأسه، فيها نشأ، وفيها ربا وترعرع. وفي كتب الأنساب والتراجم نجد النسبة إلى المدينة طرابلس بلفظ «الطرابلسي» و«الأطرابلسي» والنسبة الثانية هي المشهور لدى المؤرخين.

وقد اختلف في وضع الهمز في بداية الاسم، فمن قائل: إن الهمز للمدينة التي على ساحل الشام[3]، ومن قائل: إنها للمدينة التي بالغرب[4]، ومنهم من أثبت الهمز لكلتا المدينتين[5].

ولعل القول الفاصل في ذلك، وما أميل إليه هو ما ذكره صاحب «الروض المعطار في خبر الأقطار» إذ ذكر أنه تفادياً للخلاف حول اسمي المدينتين المشرقية والمغربية، أضيفت إلى الأولى لفظة الشام فأصبحت طرابلس الشام نسبة لموقعها في

---

(١) الديوان، ص٢٥٩.

(٢) طرابُلُس: أطرابُلُس: بضم الباء الموحدة، واللام، والسين مهملة: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا. انظر معجم البلدان مادة «أطرابلس».

(٣) انظر: معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ودار بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ج ١/ ٢١٦. مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣/ ٢٨٧.

(٤) انظر: الأنساب ج١/ ٣٠٢. اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت «٦٣٠هـ». مصور عن النسخة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ ج١/ ٥٧. لب الألباب في تحرير الأنساب، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت «٩١١هـ» تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ج ٢/ ٦٧.

(٥) انظر: فتوح البلدان، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وشرحه وعلق عليه عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م الصفحات «١٧٣، ١٧٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٥».

إقليم الشام كما أضيفت لفظة «الغرب» إلى الثانية فأصبحت طرابلس الغرب لوقوعها في المغرب العربي[١]. وقد ذكرها ابن الشحنة ت «٨٩٠هـ» بقوله: «مدينة طرابلس مدينة قديمة تعرف بطرابلس الشام، وذلك أنها على شاطىء البحر الشامي»[٢] لذا نجد بعض من ترجموا لابن منير نسبوه إلى طرابلس الشام، بقولهم: «الطرابلسي الشامي»[٣].

وخالف ابن كثير ت «٧٧٤هـ» من سبقه ومن تبعه في نسبة ابن منير، إذ يقول: «أحمد بن منير الجونْي»[٤] ولعل المقصود بـ «الجوني» نسبة إلى «جون عرقة»، وهي ضاحية من ضواحي طرابلس، يقول أبو شامة المقدسي ت «٦٦٥هـ»: «جون عرقة من أعمال طرابلس»[٥]، ويقول الشريف الإدريسي عن «جون عرقة»: «يقع من مدينة أطرابلس على الساحل إلى رأس الحصن، وهو مدينة صغيرة، عامرة آهلة، وهي على طريق جون، وهذا الجون طول رؤوسه خمسة عشرة ميلاً، وتقويراً مع الساحل ثلاثون ميلاً، ويسمى جون عرقة»[٦]، وربما سكن ابن منير هذا الجون فنسبه إليه ابن كثير.

لذلك، وقع الدكتور «سعود عبد الجابر» في وهم عندما فسّر بيت الشعر:

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري ت «٧٢٧هـ» تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥، ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لأبي الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي ت ٨٩٠هـ، علق على حواشيه يوسف بن إلياس سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٠٩م، ص٢٦٢.

(٣) انظر: روضات الجنان ج١/ ٢٦١، أمل الآمل ق١/ ٣٥، الغدير ج٤/ ٣٣١.

(٤) البداية والنهاية ج٢/ ٢٤٨.

(٥) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة ت «٦٦٥هـ» تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م ج١ ق ١/ ٨٤.

(٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الأول / ٣٧٣.

يَـومـاً يَـزيـرُكَ جَـوْفُ عِـرْقَـةَ مَعْلَمـاً جَـوْنٌ لَـهُ خَلـفَ الـدُّرُوبِ أَوَارُ[1]

فقد فسّر الجون: بالخيل، والإبل الأدهم الشديد السواد، في حين أن لفظ الجون هنا لا علاقة له بالأبيض والأسود من الخيل والإبل، بل هو اسم مكان يُعرف بـ«جون عرقة» كما تقدم.

***

وأجمعت المصادر التي ترجمت لابن منير أن كنيته هي «أبو الحسين» إلا أن ابن كثير ذكر أن كنيته هي «أبو الحسن»[2] وهذا وَهْمٌ واضح لسببين:

أولهما: إجماع المصادر التي ترجمت لابن منير كافةً على أن كنيته هي «أبو الحسين»، ومن بين الذين أجمعوا على ذلك مَنْ كان معاصراً لابن منير، وأدركه حياً مثل: عبد الكريم السمعاني إذ يقول: «أبو الحسين أحمد بن مفلح الأطرابلسي شاعر مفلق... أدركته حياً بالشام»[3]، ويقول ابن عساكر: «ولقد رأيته غير مرة ولم أسمع منه»[4].

ثانيهما: أنه يجوز أن يكون قد وقع تصحيف في الكلمة «حسين» من جهة النقل أو النسخ عند ابن كثير، وبخاصة أن بين الكلمتين «حسن وحسين» تشابهاً كبيراً.

***

ومما يلفت الانتباه عند قراءة كتب الترجمة، أن هنالك صمتاً حول إعطاء أية معلومة عن عائلته أو أسرته، لذا درست شعره الذي جمعه الدكتور سعود محمود عبد الجابر سنة ١٩٨٢م، والذي جمعه الدكتور عمر تدمري سنة ١٩٨٦م وأسماه «ديوان شعر ابن منير الطرابلسي» لأن ديوانه الكبير فقد منذ قرون خلت.

---

(١) انظر: شعر ابن منير الطرابلسي، جمعه وحققه د. سعود عبد الجابر، ص ٨٥ الحاشية رقم ٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية ج١٢/ ٢٤٨.

(٣) الأنساب ج١/ ٣٠٣.

(٤) تهذيب تاريخ الشام ج٢/ ١٠٢.

وخلاصة القول: أن كل ما صاغته الرواية، وحفظته المصادر حول شخصية ابن منير وما يتعلق بها، عند المتابعة يجدها الباحث حطاماً يتعثر بأنقاضه، فلم أعرف ما إذا كان الشاعر قد تزوج أم لا؟.

وهل عقب أم لم يعقب...؟

وهل له إخوة، أو أخوات أم لا..؟

وماذا عن أخبار أمه؟ ومن هي؟.

وماذا عن أخبار بني عمومته، وبني خؤولته؟.

وكل ما استطعت أن أجمعه تحت هذا العنوان، هو أن ابن منير كان من بيت علم وأدب، وأن أباه الذي يكنى «أبا أحمد» كان شاعراً ويتمتع بصوت حسن، ينشد أشعار «العوني» ويغني في أسواق طرابلس، وجَدّ أبيه «مفلح» كان شاعراً أيضاً[1]. وكانت حرفة أبيه التي يتكسب منها: رفو الثياب وإصلاحها، فتعلم ابن منير هذه الحرفة واشتهر بها.

نشأ ابن منير في أسرة فقيرة، إلى أن أخذ يقول الشعر، ولكن، إذا كانت المصادر والمراجع قد أغفلت ذكر شيء عن أسرته وعن زواجه، فإنني قد أستطيع أن أقول: إن ابن منير قد تزوج ولم يعقب، وذلك بالاعتماد على الدليلين التاليين:

أولًا: ذكر صاحب «جمهرة الإسلام»[2] أن عددا من حسّاد ابن منير في حلب أشاعوا نبأ وفاة ابن منير وهو في حماة، فدخلت «الحشرية»[3] داره، وأثبتوا ما فيها،

---

(١) انظر: الغدير ج٤/ ٣٣٧.

(٢) انظر: مخطوط «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» للشيزري أبي الغنائم مسلم بن محمود المتوفي بعد سنة ٦٢٢هـ. منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. جامعة فرانكفورت ألمانيا الاتحادية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، مصور عن المخطوطة ذات الرقم ٢٨٧ شرقي مكتبة جامعة ليدن في هولندا، والمحفوظ نسخة منه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ص ١٦٢-١٦٦.

(٣) الحشرية: هم الذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد، انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ت «٨٢١هـ» شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٥٥م ج٣/ ٥٣٢.

وختموا عليها، وقد أرسل ابن منير رسالة إلى رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[1] يُعرِّض بحساده ومنهم ابن القيسراني، ويستنكر ما حدث، ويشكو أمرهم إليه، وذلك في قصيدته «النونية» المشهور التي مطلعها:

يا عَفيفَ الدّينِ الَّذي يَدُهُ صِرْفٌ بِهِ ... أَسْتَكِفُّ صَرْفَ الزَّمانِ

وَالَّذي أَحْسَنَ الوِفَاءَ بِعَهدِي ... فَاتْهَمْتُ الْوَافِينَ مِنْ خِلاّنِي

وَالّذِي فِي هَوَاهُ أَخْلَصْتُ دِينِي ... يَوْمَ تُبلَى سَرائِرُ الأَدْيَانِ[2]

ثانياً: ذكر ابن منير في القصيدة نفسها بيتاً من الشعر يشتمل على ألفاظ تدلل على أنه متزوج يقول:

أَتْرانِي أَكَلْتُ جَذْرَ عِيَالِي ... مِثْلَ مَا كَانَ يَفْعَلُ الْقَيْسَرَانِي[3]

فمثلاً: لفظة عيالي: وهي الأهل أو الزوجة، ولفظة جذر: مال تأخذه القينة لقاء أدائها[4]، وهو ما لم تذكره المعاجم. فهاتان اللفظتان تدلان على أنه كان متزوجاً، وعليه أرجح أنه تزوج ولم يعقب.

وقد عثرت على بيت شعر ضمنه القصيدة التي مدح بها «سلطان بن منقذ» أمير شيزر، يفيد البيت أن ابن منير كان له أخ شقيق، ولكن دون الوصول إلى تفصيلات عن هذا الشقيق يقول ابن منير مخاطباً أمير شيزر:

وَغَدْوتَ أَحْفَى بِي وَأَرْأَفَ مِنْ أَبِي ... وَأَبَرَّ مِنْ أَخِي الشَّقِيقِ وَأَوْصَلا[5]

(١) عفيف الدين المستوفي: لم أعثر له على ترجمة.

(٢) الديوان: ص ١٥٢.

(٣) الديوان: ص ١٥٤.

(٤) انظر: اتجاهات الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري، د. شفيق الرقب ص ١٨٥، رسالة دكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، الجامعة الأردنية.

(٥) الديوان: ص ١٠٦.

هذا كل ما أمكنني التوصل إليه، لفقدان ديوانه الكبير، الذي من دونه يتعذر على الباحث رسم الصورة الحقيقية لسيرة الشاعر.

***

مولده:

تشير معظم المصادر التي ترجمت لابن منير أن مولده كان سنة «ثلاث وسبعين وأربعماية» «٤٧٣هـ» بطرابلس، إلا أننا نفاجأ عند مطالعتنا كتاب «بغية الطلب» لابن العديم ت «٦٦٠هـ» أنه يذكر: أن مولده كان سنة «ثلاث وتسعين وأربعماية ٤٩٣هـ». يقول: «أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا علي بن الحسن قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحميري الكاتب، أن مولد أبي الحسين بن منير سنة ثلاث وتسعين وأربعماية بأطرابلس»[١]. وهذا وهم وقع فيه ابن العديم والصحيح ما اجمع عليه المؤرخون والنُّسّاب، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن المصادر تفيد أن ابن منير قد خرج من طرابلس عندما داهمها الغزو الصليبي سنة ٥٠٢هـ» وكان عمره قد ناهز الثلاثين عاماً، فلو افترضنا أن مولده كما ذكر ابن العديم سنة «٤٩٣هـ» لما استقام ذلك مع ما ورد عند المؤرخين[٢].

ثانياً: أن المصادر تشير أن ابن منير أسبق مولداً من «ابن القيسراني» الشاعر، حيث ولد القيسراني سنة «٤٧٨هـ»[٣]، وأن ابن القيسراني عاش سبعين عاماً[٤]، وكانت وفاته بعد وفاة ابن منير بأيام، وكان ذلك سنة «٥٤٨هـ»[٥] وهذا يعني أن ابن منير قد عاش نيفاً وسبعين عاماً، وإذا أخذنا بمقولة ابن العديم فلا يستقيم ذلك.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ج٣/ ١١٥٥.

(٢) انظر: ديوان ابن منير الطرابلسي: ص ١٤.

(٣) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ج ١ ق١/ ٩٦.

(٤) انظر: الخريدة ج١ ق١/ ٩٦.

(٥) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ٤٩٨.

ثالثاً: ربما وقع خطأ من الناسخ، فبدلاً من أن يكتب «سبعين» كتب تسعين لعدم وجود فرق كبير بين رسم الكلمتين.

مراحل حياته:

عاش ابن منير حياة حافلة بالأحداث والفتن والتقلبات، ولم تسعفنا المعلومات التي بين أيدينا -على كثرة مراجع الترجمة- على تتبع أطوار حياته وأحداثها تتبعاً زمنياً، لذا، قدّرت أن حياته مرت بطورين:

الأول: هو طور الاضطراب والقلق، الذي بدأ منذ ولادة الشاعر سنة «٤٧٣هـ» وحتى سنة «٥٤١هـ» عندما تسلم الملك العادل نور الدين ملك الشام، وهذا طور طويل جداً في حياة الشاعر، يمكن أن نتبينه من الآتي:

في مدينة طرابلس، في سنة «٤٧٣هـ» ولد ابن منير الأديب الشاعر، ونشأ في أسرة فقيرة، يتكسب مع أبيه من حرفة رفو الثياب، وهي حرفة تحتاج إلى ذوق الصنعة كما يحتاج الشاعر إلى ذوق الصنعة في انتقاء الكلمات وتركيبها وصياغتها[1]، فكان في أول أمره، في خشونة من عيش، ورقة من حال، يعوزه كل شيء، يعوزه الناعم من الملابس، والكريم من المطايا، ولكن فقره لم يحل دون تفتح مواهبه.

وقضى الشاعر طفولته في مدينة طرابلس، والمعلومات عن رحلة طفولته نزرة جداً، بل لا تكاد تذكر المصادر الأدبية شيئاً ذا بال عنها، كما أن دراسة شعره، لا تسعفنا بالحديث عن طفولته بخاصة، ومراحل حياته بعامة، وذلك لفقدان ديوانه، ولا أستطيع أن أحدد السنة التي غادر فيها شاعرنا مدينة طرابلس، وذلك لعدم وجود نص، أو خبر يمكن الاتكاء عليه، وإنما هو اجتهاد وتخمين، أميل فيه إلى ما ذكره «عمر تدمري» من أن ابن منير خرج من بلده إبان الحصار الصليبي لها مع جماعة من

(١) انظر: ديوان ابن منير: ص ٣٥.

أهالي المدينة، طلبوا الأمان من الصليبيين قبل سقوط المدينة سنة «٥٠٢هـ»/ ١١٠٩م متجهين إلى دمشق، وكان خروجه من بلده في عنفوان شبابه[١].

ومع رحيله، تبدأ رحلة القلق والعذاب، فيعيش حياته متنقلاً من بلدٍ إلى آخر، كلما نزل في بلد رشقته شآبيب البلاء وسهام الشقاء من كل جانب، فقضى نصيباً كبيراً من حياته في المغامرات، والمنازعات، ومغالبة الأيام.

وتجمع المصادر التي ترجمت للشاعر على أن دمشق هي أول دار مقام له، عبر رحلته الطويلة، فقد هاجر شاعرنا إلى دمشق، ثم اتصل بحاكمها تاج الملوك «بوري ابن طغتكين»[٢]، أتابك دمشق، فتقرب منه ومدحه إلى أن أصبح أثيراً عنده. ومن مديحه له القصيدة التي يصف فيها متنزهات دمشق، وهي من قلائد شعره وأجوده ومطلعها:

حَـيَّ الـدِّيَـارَ عَلَـى عَلْيَـاءِ جَيْـرُونِ مَهْوَى الْهَوَى ومَغَانِي الْخُرَّدِ الْعِينِ[٣]

ولكن شخصية ابن منير، القائمة على استخدام الهجاء الفاحش المقذع، واللسان السليط، الذي لا يسلم منه منعم عليه ولا مسيء إليه، ومجاهرته برافضيته، كلاهما أثار نقمة الناس وأحنقهم عليه، زد على ذلك أن مكانته عند حاكم دمشق جعلت حسّاده من الشعراء يساعدون على الكيد له، فكثر شاكوه عند الحاكم وقلّ حامدوه، إلى أن أمر الحاكم بسجنه، ثم عزم على قطع لسانه، فشفع فيه الحاجب «يوسف بن فيروز»[٤]

(١) انظر: ديوان ابن منير: ص ٣٥.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الديوان: ص ١٧٢، انظر مجلة المجمع العلمي العربي السوري، دمشق تشرين أول سنة ١٩٢٥ الموافق ربيع الأول سنة ١٣٤٤هـ، ص ٤٤٧، المجلد الخامس الجزء العاشر.

(٤) يوسف بن فيروز: هو حاجب بوري طغتكين، وشحنة دمشق، كان صديقاً لابن منير، ثم عمل حاجباً، لشمس الملوك إسماعيل، ثم تركه فاراً إلى تدمر، وعاد في ولاية شهاب الدين محمود بن طغتكين، وقتل من قبل غلمانه المماليك سنة «٥٣٠هـ» انظر: الكامل في التاريخ ج ٩/ ٢٩٠.

شحنة دمشق[1] فأطلقه ونفاه.

وتتفق المصادر على أن ذلك تم في ولاية «بوري طغتكين» إلا أن ابن العديم يورد روايتين، يتفق في الأولى منهما مع المؤرخين، ويخالف عنهم في الثانية، إذ يقول: إن الذي هَمَّ بقطع لسان ابن منير هو طغتكين، أتابك دمشق، والد «بوري» لأنه شبب في قصيدة له ببعض أقارب طغتكين، وكان صبياً أمرد وهو «حسام الدين دلق بن أبق» بقصيدة مطلعها:

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فِي صَدْرِ الرُّدَيْنِيّ ومَوَّهَ السِّحْرَ فِي حَدِّ اليَمَانِيّ[2]

قال: وأركبه الحاجب «يوسف بن فيروز» على خيل البريد فهرب إلى بغداد[3]. هذا ما أخذ به «عمر تدمري» وقال: إن ابن منير قد سجن، ونفي من دمشق في عهد طغتكين، وفي عهد ابنه بوري، وإن الذي شفع فيه في المرتين، الأولى والثانية هو الحاجب «يوسف بن فيروز»[4].

وهذا ما لم يثبت لديّ، إذ لم يرد في كتب المصادر ما يشير إلى أن ابن منير التقى طغتكين أتابك دمشق، أو أن هذا الأخير هم بقطع لسانه. ولست أدري على ماذا اعتمد «تدمري»؟ وهل الأخذ برواية ابن العديم وترك الإجماع لهما ما يُسوِّغهما؟. إذ ربما وهم ابن العديم وذكر «طغتكين» بدلاً من «بوري طغتكين»، أو لربما وقع الناسخ في خطأ.

ثم عاد ابن منير إلى دمشق في ولاية «شمس الملوك» إسماعيل بن بوري طغتكين[5]، وساءت علاقته بإسماعيل أيضاً، وأراد إسماعيل أن يصلبه ففر منه،

---

(١) الشحنة: أشبه ما تكون في زماننا بالحاكم العسكري، إذ يتمتع صاحبها بصلاحيات، أمنية، وإدارية، وهو المسؤول عن إدارة المدينة، وملاحقة الخارجين عن النظام. انظر الكامل في التاريخ ج ٩/ ٢٩٠.

(٢) الديوان: ص ١٧٨.

(٣) انظر: بغية الطلب ج٣/ ١١٥٥، ١١٥٦.

(٤) انظر: الديوان: ص ٣٧، ٣٨.

(٥) شمس الملوك: إسماعيل بن بوري طغتكين، يكنى أبا الفتح، ولي دمشق بعد أبيه بوري، كان ظالماً، =

واختبأ في مسجد الوزير أياماً ثم خرج من دمشق إلى بلاد الشام الشمالية، يتنقل من حماة إلى شيزر، وإلى حلب[1]. وقد تضاربت الأقوال في السبب الذي أحنق شمس الملوك على ابن منير، وهمّ بصلبه، فقد ذكر ابن العديم: أن سبب طلب صاحب دمشق ابن منير، واستتاره منه، وخروجه من دمشق أن ابن منير مدحه بقصيدة فيها بيت أوله:

«منِّي وَمِنْكَ اسْتَفَادَ النَّاسُ مَا كَسَبُوا»

وكان ابن منير كثير الأعداء عنده، فقال له بعضهم، بعد خروج ابن منير: انظر أيها الأمير إلى قول ابن منير لك، يهددك في هذا البيت «مني ومنك» وكان رجلاً تركياً، وقد سمع الناس يقولون عند تهديد بعضهم بعضاً «مني ومنك» فوقع ذلك في نفسه، وغضب، وطلبه، فاختفى وخرج من دمشق»[2]. ويذكر ابن القلانسي أن سبب نقمة إسماعيل على ابن منير، الصلة الحميمة التي كانت تربط الشاعر بالحاجب «سيف الدولة يوسف بن فيروز»، إذ يذكر أكثر المؤرخين الثقات أن شمس الملوك كان متقلب المزاج، حاد الطبع، وكان الحاجب يوسف ذا حظوة عنده في بداية الأمر. وكان إسماعيل قد «قلب للصداقة ظهر المجن» وأسرّ في نفسه مصادرة كفاته من الكتاب، وخواصه من الأمراء والحجّاب، وعزم على الابتداء بالحاجب «يوسف بن فيروز» أحظى من كان عنده، وعند أبيه، مما اضطره للهرب، فكان ابن منير أول من صبّ عليه غضب إسماعيل، للعلاقة الوطيدة بين ابن منير والحاجب يوسف[3].

= بالغ في العقوبات، قتله غلمانه بتدبير من أمه سنة «٥٢٩هـ» ووضعت بدلاً منه ابنها شهاب الدين محمود. انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥، الكامل في التاريخ ج ٩/ ٢٧٨. العبر في خبر من غبر ج٤/ ٧٧.

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج ٢/ ١٠١. مرآة الزمان ج ٨/ ٢١٧. مختصر تاريخ دمشق ج ٣/ ٣٠٦، سير أعلام النبلاء ج ٢٠/ ٢٤. عيون التواريخ ج ١٢/ ٤٦٧. الوافي بالوفيات ج ٦ ق ٨/ ١٥٤.

(٢) بغية الطلب ج ٣/ ١١٥٦.

(٣) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥.

وهناك رواية يذكرها «تدمري» في تعليل غضب إسماعيل على ابن منير، ذلك أن ابن منير هجا قاضي دمشق «الأعز محمد بن هبة الله»[١] بأبيات أولها:

هُـوَ قَـاضٍ كَمَـا يَقُـولُ ولَكِـنْ مَـا عَلَيْـهِ مِـنَ القَضَـاءِ عَـلاَمَـةْ[٢]

ولعل السبب في وجد شمس الملوك على ابن منير، وأمره بصلبه يرجع لسلاطة لسان ابن منير، وهجائه المقذع لأعدائه، من أعيان دمشق، بالإضافة إلى سعي حساده وكيدهم له، وذلك لمكانته عند الأمير، فكان في كل مكان يُقيم فيه ابن منير، يُقيم عليه الناس ويؤلبهم، لتطرفه بآرائه الشيعية، ولشراسة كانت عنده، يحرج الناس ويسيء إليهم فيكرهونه.

ويعود الشاعر إلى دمشق مرة أخرى -إثر مقتل حاكمها شمس الملوك إسماعيل سنة «٥٢٩هـ» في ولاية «شهاب الدين محمود بن تاج الملوك»[٣] الذي خلف أخاه إسماعيل في الحكم، إلا أن الشاعر على الرغم من حرصه الكبير على البقاء في دمشق، فإنه ساءت علاقته مع وزيرها «ابن الصوفي»[٤] فاضطر للهرب مرة ثالثة، ويبدو ان فراره من دمشق في هذه المرة كان بسبب خوفه من رئيسها ابن الصوفي، فأقام الشاعر في شيزر عند أميرها «أبي العساكر بن منقذ»[٥] بسبب هجوه أكابر دمشق

---

(١) هو: أبو الفتح محمد بن هبة الله بن إبراهيم بن خلف التميمي، قاضي صور، كان ذا مروءة، سمع الفقيه نصر المقدسي، تولى قضاء بانياس ثم دمشق توفي بدمشق سنة ٥٣٢هـ، ويذكره صاحب عيون التواريخ بالأعز اللبان ج ١٢/ ٤٦٩. انظر ترجمته في ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦، شذرات الذهب ج٤/ ١٠١.

(٢) الديوان: ص ١٤٥.

(٣) شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري: تسلم ولاية دمشق بعد مقتل أخيه إسماعيل سنة «٥٢٩هـ» وحكم حتى سنة «٥٣٣هـ» ثم قتله غلمانه وخدامه سنة «٥٣٣هـ» وبويع بالإمارة لشقيقه جمال الدين محمد، انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٨.

(٤) ابن الصوفي: هو مؤيد الدولة ابن الصوفي، وزير صاحب دمشق «أبق» كان ظلوماً غشوماً، مات سنة «٥٤٩هـ» وسر الناس بموته، ودفن بداره في دمشق. انظر شذرات الذهب ج ٤/ ١٥٤.

(٥) سلطان بن منقذ «أبو العساكر»: هو سلطان بن علي بن مقلد بن نصر القضاعي أبو العساكر الكناني ولد بأطرابلس سنة «٤٦٤هـ»، وسمع من الفقيه إبراهيم الحنفي بشيزر، وولي إمارتها، توفي سنة «٥٤٣هـ» بشيزر، انظر تهذيب تاريخ دمشق ج ٦/ ١٨٧.

وأعيانها. ويقول العماد الكاتب: «ولقد كان مقيماً بدمشق، إلى أن أحفظ أكابرها، وكدر بهجوه مواردها ومصادرها، فأوى إلى شيزر وأقام بها»[١].

وحضر إليه وهو في شيزر «زين الدين بن حليم» رسول «معين الدين أنر»[٢] أتابك دمشق سنة «٥٣٢هـ» يدعوه للعودة إلى دمشق، ولكن الشاعر آثر عدم العودة وفضل البقاء عند بني منقذ، وقد رفض الشاعر العودة إلى دمشق وهو أشد ما يكون حرصاً عليها. وبعث بكتاب اعتذار إلى صديقه «زين الدين» رسول «معين الدين أنر» وذكر له كثرة أعدائه، وتآمرهم عليه، وأنه لا يمانع في العودة إن ضمن له السلامة من اغتيال عدو، وحمل في رسالته، على أعدائه الكثر الذين كادوا له، وأخرجوه من دمشق[٣].

ثم دخل دمشق زائراً في مهمة رسمية، واستقر في حلب عند «نور الدين زنكي» الذي اختصه بالسفارة إلى «معين الدين أنر» سنة «٥٤١هـ»[٤]، ثم قدم دمشق بصحبة الملك العادل نور الدين، عندما حاصرها الحصر الثاني سنة «٥٤٨هـ»، فلما استقر لنور الدين الصلح مع أهلها، رجع ابن منير مع العسكر إلى حلب، وتوفي بها[٥]. وبهذا يكون ابن منير قد أُخرج من دمشق ثلاث مرات، ولعل السبب في ذلك هو أن ابن منير كان في مجتمع يدين أهله بالمذهب الشيعي في طرابلس، ثم انتقل إلى مجتمع يدين أهله بمذهب أهل السنة والجماعة، ومن المعلوم أن ابن منير لم يكن شيعياً وحسب، بل كان رافضياً، مما أثار حفيظة أعدائه وحساده لهجائه المقذع وشعره الفاحش فرشقوه بسهام الوقيعة، وأوغروا صدر الحاكم حتى كاد الحاكم يقتله

---

(١) الخريدة: ج ١ ق ١/ ٧٧.

(٢) معين الدين أنر الطغتكي: هو مقدم جيش دمشق، ومدير الدولة، كان عاقلاً سائساً، حسن الديانة، ظاهر الشجاعة، توفي سنة «٥٤٣هـ». انظر شذرات الذهب ج ٤/ ١٣٨.

(٣) انظر: الخريدة ج ١ ق ١/ ٩٢ وقد أورد العماد نص الرسالة الطويلة في الصفحات من ٩١-٩٥.

(٤) نفسه ج ١ ق ١/ ٧٨.

(٥) انظر: وفاته «نهاية الفصل الأول من هذا البحث».

أو يصلبه أو يقطع لسانه، لولا هربه من المدينة.

وتشير بعض المصادر التي ترجمت لشاعرنا أن ابن منير قد فرّ من دمشق إلى بغداد على خيل البريد بمساعدة «الحاجب يوسف بن فيروز»، إذ يقول ابن العديم: «وأركبه الحاجب يوسف على خيل البريد فهرب إلى بغداد[1]»، ولا أستطيع أن أحدد السنة التي وصل فيها إلى بغداد، وذلك لشح المصادر التي تحدثت عن نشأته ومراحل حياته، إلا أن المصادر التاريخية ذكرت أن سجن ابن منير ونفيه إلى بغداد كانا في عهد «بوري طغتكين» ومن المعلوم أن «بوري» قد حكم من سنة «٥٢٢هـ» وحتى «٥٢٦هـ» وهذا يعني أن ابن منير قد دخل بغداد في هذه الفترة.

وفي بغداد، التقى بعدد من رجالاتها وأعيانها، وكوّن مع بعضهم صداقة مثل: «الشريف المرتضى الموسوي» ببغداد الذي قال فيه القصيدة التترية التي أولها:

عَـذَّبْـتَ طَـرْفِـي بِـالسَّهَـرْ وَأَذَبْـتَ قَلْبِـي بِـالفِكَـرْ[2]

وقد ورد في عدد غير قليل من المصادر أن ابن منير هادى الشريف المرتضى وبعث إليه القصيدة التترية ببغداد.

وفي بغداد أيضاً، التقى ابن منير «نقيب الأشراف»[3] من خلال حكاية يوردها صاحب «نفحات الأزهار» يقول: «ونقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاماً اسمه «صدقة» أخذه ابن منير الطرابلسي يوماً وأضافه إلى غلمانه وجلسا في طبقة، وإذا بالشريف أتى إليهم مستخفياً. وقال:

يَـا مَـن هُـمْ فِـي الطَّبَقَـهْ هَـلْ عِنْـدَكُـم مِـن شَفَقَـهْ

قَـدْ جَـاءَكُـمْ مُتَيَّـمٌ يَطْلُـبُ مِنْكُـمْ صَـدَقَـهْ

(١) بغية الطلب ج ٣/ ١١٥٦.

(٢) الديوان: ص ١٦٠، وقد أفردت للقصيدة حديثاً مطولاً في الفصل الأول ص ٥٩ وما بعدها.

(٣) لم تحد الرواية ما إذا كان هو نفسه النقيب المرتضى، ولا نستطيع الفصل في القول لعدم ورود الرواية في غير هذا المصدر.

فأجابه ابن منير في الحال:

يَـــا مَـــن أَتَـــانَـــا سَـــرِقَـــهْ بِمُهْجَـــــةٍ مُحْتَـــــرِقَـــــهْ

جَـــدُّكَ يَـــا ذَا لَـــمْ يُـجِـــزْ أَخْـــذَكَ مِنَّـــا صَـــدَقَـــهْ

فخجل النقيب وذهب[1].

والتقى ابن منير «بجلال الدين بن صدقة»[2] وزير الخليفة العباسي المسترشد، فتقرب منه ابن منير ومدحه بقصيدة أولها:

أَهُتُـوفُ أَيْـكٍ فِـي سَـرَارِ الـوَادِي هَـلْ كُنْـتَ مِـن بَيْـنٍ عَلَـى مِيعَـادِ

وَأَرَاكَ يَـا غُصْـنَ الأَرَاكِ مُـرَنَّحَـاً أَلِـزَمِّ عِيـرٍ أَمْ تَـرَنُّـحُ حَـادِ

سَمْـحٌ إِذَا ضَـنَّ الصَّبِيـرُ بِقَطْـرِهِ هَـادٍ إِذَا سِـدِرَ البَصِيـرُ الهَـادِي[3]

ويرتبط ابن منير بابن الحنبلي بعلاقة حميمة، فقد مدحه وأهل بيته بقصيدة منها:

وَلَعَمْـرِي لَـوْلا بَقِيَّـةُ عَبْـدِ الـ ـوَاحِـدِ الحَنْبَلِـيِّ أُعْضِـلَ دَاؤُهُ[4]

ويمضي العمر بابن منير فيعيش حياة مغمورة بألوان الشقاء، بعد أن ثقلت وطأته في دمشق على أهل الأدب وغيرهم، فنجحوا في تأليب الحاكم عليه وطرده وملاحقته، فاختفى عن الأنظار، واتجه صوب البلاد الشمالية يتنقل من حماة إلى شيزر إلى حلب خائفاً يترقب وهو على شرّ حال.

ويشير سبط بن الجوزي إلى أن أول ما نزل ابن منير من البلاد الشمالية حلب،

---

(١) نفحات الأزهار على نسخات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزريّة بالعقود الجوهرية -عبد الغني النابلسي- عالم الكتب بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ١٩٤.

(٢) جلال الدين بن صدقة: هو الحسن بن علي بن صدقة أبو علي بن أبي العز الوزير الملقب بجلال الدين وزير المسترشد بالله، كان أديباً شاعراً، ولد سنة ٤٥٩هـ، وتوفي سنة ٥٢٢هـ، كان حسن السيرة، محمود الطريقة، انظر: الكامل في التاريخ ج ١٠/ ٦٥٢. مرآة الزمان ج ٨/ ١٢٧، العبر في خبر من غبر ج ٤/ ٥١، عيون التواريخ ج ١٢/ ٢٠٠، البداية والنهاية ج ١٢/ ١٩٩، النجوم الزاهرة ج ٥/ ٢٣٣.

(٣) الديوان: ١٣٥، ١٣٦.

(٤) نفسه: ١٤٤.

فيقول: «فلما مات «بوري» عاد -يعني ابن منير- إلى دمشق فطلبه «إسماعيل بن بوري» فهرب واختفى بمسجد الوزير ظاهر دمشق ثم هرب إلى حلب»[١]، وفي حلب، التقى بمعارضه ومنافسه ابن القيسراني، وبملك النحاة[٢]، ويحتمل أن يكون قفل عائداً إلى دمشق بعد وصوله إلى حلب عندما علم بمقتل «إسماعيل بن بوري». ويدخل ابن منير حلب عدة مرات بصحبة الملك العادل نور الدين بعد أن صحبه في معاركه، إلى أن توفي بها سنة «٥٤٨هـ».

ثم رحل الشاعر إلى شيزر بعد أن خرج من دمشق للمرة الثالثة. وهو يتوجس خيفة من وزيرها «ابن الصوفي». يقول العماد الكاتب: «واتفق انتزاح ابن منير من دمشق بسبب خوفه من رئيسها ابن الصوفي، ومقامه بشيزر عند بني منقذ»[٣]، وفي موضع آخر يقول فآوى إلى شيزر فأقام بها»[٤].

وفي شيزر عظمت منزلته، وطارت في الآفاق شهرته، فقد أقام عند اميرها أبي العساكر «سلطان بن منقذ» فتقرب منه وصادقه، إلى أن أصبح مسموع الكلمة عند الأمراء في شيزر، ومما يدل على ذلك: أن الشاعر الأديب «أبا الحكم المغربي»[٥] كان له صديق شاعر يُدعى أبا الوحش سبع بن خلف بن محمد بن هبة الله الفقسي» فعزم أبو الوحش أن يتوجه إلى شيزر ليمدح بني منقذ، ويسترفدهم، فالتمس من أبي الحكم المذكور كتاباً يطلب منه أن يكتب لابن منير في حقه بوصية لكي يُحسن استقباله وتقديمه للقوم من أمراء بني منقذ، فكتب «أبو الحكم» إلى ابن منير أبياتاً منها:

أَبَـا الحَسَـنِ اسْتَمِـعْ مَقَـالَ فَتـىً عُـوجِـل فِيمَـا يَقُـولُ فَـارْتَجَـلاَ

(١) مرآة الزمان ج ٨/ ٢١٧.

(٢) انظر ترجمته نهاية الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

(٣) الخريدة ج ١ ق ١/ ٩١.

(٤) نفسه ج ١ ق ١/ ٧٧.

(٥) انظر ترجمته نهاية الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

هَـذَا أَبُـو الْـوَحـشِ جَـاءَ مُمْتَـدِحَـاً لِلْقَـــومِ نَـــوْهِ بِـــهِ إِذَا وَصَـــلاَ

ومنها:

وَاسْقِـــهِ المُـــرَّ إِنْ ظَفِـــرْتَ بِـــهِ وَاخـرجْ لَـهُ مِـنْ لِسَـانِـكَ العْسَـلاَ[1]

ومن غرر شعره الذي قاله في شيزر، ما يرويه الأمير «أبو الفضل إسماعيل بن الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ» قال أنشدني ابن منير لنفسه:

أَخْلَى فَصَدَّ عَنِ الحَمِيمِ ومَمَا اخْتَلاَ وَرَأَى الحِمَـامَ يَعُضُّـهُ فَتَـوَسَّـلاَ

مَـا كَـانَ وَادِيـهِ بِـأَوَّلِ مَـرْتَـعٍ ذَكَـرَنْ طَـلاَوَتُـهُ طَـلاَهُ فَـأَجْفَـلاَ

وإِذَا الكَـرِيـمُ رَأَى الخمُـولَ نَـزِيلَـهُ فِـي بَلْـدَةٍ فَـالْحَـزْمُ أَنْ يَتَـرَحَّـلاَ

ومنها:

أنـا مـن إذا مـا الـدهـر هـمّ بخضـه سـامتـه همتـه السمـاك الأعـزلا[2]

وفي شيزر يقف الشاعر لينظر خلفه، ويستجمع ما جرى معه من أحداث في دمشق وما لاقاه من مرارة العيش فيها، فينظم أبياتاً في الشكوى يقول فيها:

عَـدمْـتُ دَهْـرَاً وُلِـدْتُ فِيـهِ كَـمْ أَشْـرَبُ المُـرَّ مِـنْ بَنِيـهِ

مَـا تَعْتَـرِينِـي الهُمُـومُ إِلَّا مِـنْ صَـاحِـبٍ كُنْـتُ أَصْطَفِيـهِ

فَهَـلْ مِـنْ صَـدِيـقٍ يُبَـاعُ حَتَّـى بِمِهْجَتِـي كُنْـتُ أَشْتَـرِيـهِ

ومنها:

وكَـمْ صَـدِيـقٍ رَغِبْـتُ عَنـهُ قَـدْ عِشْـتُ حَتى رَغِبْـتُ فِيـهِ[3]

وقال الأمير أبو الفضل «إسماعيل بن أبي العساكر»: «عمل والدي طستاً من فضة فعمل ابن منير أبياتاً كتب عليه من جملتها:

---

(١) الديوان: ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) الديوان: ص ١٠٢-١٠٤.

(٣) نفسه: ص ٢١٧.

أَيَـا صِنْـوَ مَـائِـدَةٍ لأَكْـرَمِ مُطْعِـمٍ مَـأْهُـولَـةِ الأَرْجَـاءِ بِـالأَضْيَـافِ

جُمِعَـتْ أَيَـادِيـهِ إِلَـيّ أَيَـادِي الأُفِ بَعْـــــدَ البَـــــذْلِ لِـــــلآلافِ

وَمِـنَ العَجَـائِـبِ رَاحَتِـي مِـنْ رَاحَـةٍ مَعْـرُوفَـةِ المَعْـرُوفِ بـالإِتْـلاَفِ[1]

وقد وصل الأمر بابن منير في شيزر أنه شتم الأمير ابن عساكر سلطان بن منقذ ذات يوم بينما كانا في الحمّام، فاحتمل الأمير الشتم ولم يبد له ما يكره. يقول ابن العديم: «كان ابن منير مقيماً بشيزر في جوار صاحبها أبي العساكر سلطان بن منقذ فخلع عليه ابنه يوماً ثوباً فاخراً، واتفق أنه دخل عليه حاجبه وقال له: الأمير فلان، ولدك يطلب منك الثوب الفلاني، وشار إلى ثوب فاخر له، فقال: أعطه وقل له: لا تعطه لنحس آخر، ثم ارتأى على نفسه ورأى ابن منير، فاعتذر إليه وقال له: والله ما خطر لي أنك ها هنا، فرمى رجله وقال: والله إنك أمير نحس، فاحتملها ابن منقذ ولم يبد له ما يكره»[2].

وبالإشارة إلى ما ذكر من أن ابن منير كان يتنقل في البلاد الشمالية من حماة إلى شيزر إلى حلب، ثم إلى إقامته في حماة بسبب مرض أقعده، ومنعه الخروج لمرافقة نور الدين في معاركه، فقد ظل شاعرنا على صلة بالملك العادل نور الدين، والتغني ببطولاته.

وعند مطالعة شعر ابن منير، نجد إشارات واضحة تبين أن شاعرنا قد حلّ بحماة، وأقام بها مدة، فمن ذلك: أنه أنشد نور الدين مادحاً من حماة سنة «٥٤٦هـ» في أثناء حصاره دمشق، ويحرض نور الدين على أخذ دمشق من صاحبها «مجير الدين أبق» وينال منه في شعره، حيث يقول:

أَبـوُكَ أَبٌ لَـوْ كَـانَ لِلنَّـاسِ كُلِّهِـمُ أبــاً ورضــوا وطء النجــوم لفنــدوا

(١) الديوان: ص ١٢٧.

(٢) بغية الطلب ج ٣/ ١١٦٢.

ومنها:

وَقُلْ لِـ «مُبيرِ الدِّينِ» وَهْوَ مُجِيرُهُ بِزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ[1]

وفي السنة نفسها كتب ابن منير من حماة لنور الدين قصيدة يهنئه بوصول الخلع من الخليفة العباسي ببغداد «المقتفي لأمر الله»[2] ومطلعها:

لِعَلائِكَ التَّأْبِيدُ والتَّأْمِيلُ ولِمُلْكِكَ التَّأْيِيدَ وَالتَّكْمِيلُ[3]

وفي حماة أيضاً كتب قصيدة بعث بها إلى الشيخ «تقي الدين سلامة بن يحيي البققي» طلب منه أن يقرأها على الأشهاد في حماة ليخبرهم أنه أصبح على مذهب أهل السنة والجماعة، وتخلى عن علويته، وما هو بفاعل، وإنما ليتقرب من أهل حماة ويتودد إليهم[4].

وفي أثناء إقامته في حماة، يشيع خصومه وحساده في حلب نبأ وفاته، فكتب ابن منير رسالة إلى رئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي وهو في المرض بحماة، قصيدة سبق ذكرها[5].

ولعل مدينة حمص هي آخر مدينة نزل بها ابن منير، قبل أن يتجه صوب حلب حيث بلغ به المرض مبلغاً عظيماً، إلى أن توفاه الله هناك. وقد نظم ابن منير بحمص قصائد في مدح الملك العادل نور الدين، ومنها ما ذكره صاحب الروضتين. يقول:

---

(١) الديوان: ص ٢٣٠.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن المستظهر، بويع له بالخلافة بعد وفاة ابن اخيه الخليفة العباسي الراشد بالله سنة ثلاثين وخمسماية. كان من أفاضل الخلفاء، توفي وهو ساجد إثر مرض البلغم سنة ستين وخمسماية ثم ملك بعده ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف. انظر تاريخ الدول الإسلامية المعروف بالفخري في الآداب السلطانية، محمد بن علي بن الطقطقي ت «٧٠٩هـ» دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص٣١٠.

(٣) الديوان: ص ٢٣٨.

(٤) انظر الفصل الأول من هذا البحث «مذهبه» ص ٥٨.

(٥) انظر الفصل الأول من هذا البحث «أسرته».

«وقد مدح ابن منير نور الدين بظاهر حمص سنة «٥٤٥هـ» في قصيدة مطلعها:

هيهـاتَ يُعصَـمُ مـن أرْدتَ حَـذارِ أنّـى ومـن أوهَـاقِـكَ الأقـدارُ

ومنها:

يَـقْظَـانَ يَخْشَـى اللَّـهَ فِـي خَلَـوَاتِـهِ لَا مُتْـرَفٌ لَاهٍ وَلَا جبَّـار[1]

وذكر «أبو شامة المقدسي» في أحداث سنة «٥٤٤هـ» أن نور الدين تسلم قلعة حمص من رئيسها «ينال بن حسان المنبجي»[2] فأنشده ابن منير في القلعة قصيدة أولها:

أَرِحْهَـا فَهِـيَ أَزْلَامُ المَعَـالِـي لَهُـنَّ إلَـى الـوَغَـى تَـوْقُ المَغَـالِي[3]

وفي سنة «٥٤٦هـ» قال ابن منير قصيدة بحمص في مدح نور الدين ومطلعها:

الـدَّهْـرُ أَنْـتَ ودَارُكَ الـدُّنيَـا ومَـنْ فِـي العَـدِّ بعـدَ مُـؤَمِّـلٌ وَحَسُـودُ[4]

وفي سنة «٥٤٦هـ» ولد لنور الدين مولود بحمص سماه «أحمد» فهنأه به ابن منير بقصيدة أولها:

يَـا مُحْيِـيَ العَـدل ويَـا مُنْشِـرَهْ مِـن بَيْـنِ أَطْبَـاقِ البْلَـى وَقَـدْ هَمَـدْ[5]

ومنها:

الفِطْـرُ والمِيـلَادُ والمَـوْلُـودُ لَـوْ قَـابَلَـهُ بَـدْرُ التَّمَـامِ لَسَجَـدْ[6]

ثم يعود ابن منير بعدها مع نور الدين المتجه بعسكره إلى دمشق، ولكن

---

(١) انظر الروضتين ج ١ ق ١/ ١٩٠. انظر الديوان: ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) ينال بن حسان المنبجي الملقب «قطب الدين» كان عادلاً خيراً، محسناً للرعية، وكان موجوداً حتى سنة «٥٧٨هـ». انظر الكامل في التاريخ ج ٩/ ٣٢٩، ٤٨٤.

(٣) الديوان: ص ٢٢٠.

(٤) نفسه: ص ٢٤١.

(٥) نفسه: ص ١٨٧.

(٦) الديوان: ٢٥٠.

نور الدين عاد بالجيش إلى حمص، فقرر ابن منير الذهاب إلى حلب حيث عاوده المرض إلى أن توفي هناك سنة «٥٤٨هـ».

وأشار ابن الفوطي ت «٧٢٧هـ» إلى أن ابن منير قد دخل الموصل، ومدح أمير الأكراد فيها «شمس الدولة أبا الفوارس محمد بن داود بن مهران البشنوي»[١] ويقول في ترجمته لـ «فخر الدين شمس الدولة أمير الأكراد»: «مدحه المهذب ابن منير سنة أربع وثلاثين وخمسماية»[٢] ولم أعثر له على بيت من الشعر في هذا المقام.

كما أورد أبو شامة في الروضتين أن ابن منير مدح وزير الموصل «جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي بن أبي منصور»[٣] بأبيات منها:

كَسَا الحَرَمَيْنِ لُبْسَةَ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ غُرَّتْي نَسْلُ الخَلِيلِ

ومنها:

وَكَمْ لِلْمُوصِلِ الحَدْبَاءِ مِمَّا تُنِيلُ يَدَاهُ مِنْ رِيفٍ وَنَيْلِ[٤]

(١) هو فخر الدين شمس الدولة «محمد بن داود بن مهران البشنوي» أمير الأكراد، قال ابن الفوطي مدحه ابن منير سنة أربع وثلاثين وخمسماية، انظر: تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني الحنبلي ت ٧٢٣هـ، تحقيق مصطفى جواد من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مديرية إحياء التراث ج ٤ ق٣/ ٣٢٤.

(٢) تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني ت «٧٢٣هـ»، تحقيق مصطفى جواد من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مديرية إحياء التراث ج ٤ ق٣/ ٣٢٤.

(٣) جمال الدين: توفي سنة ٥٥٥هـ عمل رئيساً لديوان الدولة في عهد عماد الدين، ثم وزيراً في عهد الأمير غازي بن زنكي، قال عنه أبو شامة: «عاش بنلاه الجود، وعشا إلى ناديه الوفود، وعادت به الموصل قبلة الإقبال وكعبة الآمال». انظر كتاب الروضتين ج ١ ق ١/ ١٣٤، «نسخة طبعة دار الجيل»، ونسخة طبعة لجنة التأليف/ القاهرة ج١/ ٢١٧. وفيات الأعيان ج١/ ١٥٦، مختصر تاريخ دمشق ج٣/ ٣٠٦، تتمة المختصر ج ٢/ ٨٥. عيون التواريخ ج١٢/ ٤٦٧. الوافي بالوفيات ج ٦ ق٦/ ١٩٣، شذرات الذهب ج ٤/ ١٤٦، الغدير ج ٤/ ٣٣١. أمل الآمال ج١/ ٣٥. روضات الجنان ج١/ ٢٦١.

(٤) الديوان: ٢٦٨، ٢٦٩.

وأما الطور الثاني من حياة ابن منير فهو طور الاستقرار والاطمئنان في ظل آل زنكي، فقد لازم شاعرنا في أخريات حياته منذ سنة «٥٤١هـ» نور الدين زنكي، وخلد بشعره انتصاراته، فبلغت عدة الأشعار التي نظمها ابن منير في جهاد عماد الدين زنكي ونور الدين قرابة (١٢٠٠) ألف ومئتي بيت، ثم استأذن نور الدين في العودة إلى حلب لمرض ألمّ به فكان سبباً في وفاته.

ثقافته:

في مدينة طرابلس نشأَ شاعرنا، وتلقى علومه هناك، وتردد على مكتبة «دار العلم» وحفظ القرآن الكريم، وقرأ اللغة والنحو والعروض والقوافي وما يلزم للشاعر[١] مما مكنّه من نظم الشعر يافعاً، وقد ساعده على ذلك أسرته التي دفعته إلى اكتساب المعارف الأولية التي تسعفه على فهم عصره، والإطلاع على الثقافات المختلفة للعصر، الأمر الذي ساعد على صقل مواهبه الأدبية.

وقد كان أبوه «منير» منشداً، ينشد أشعار العوني في أسواق طرابلس، فهو قد نشأ في بيت علم وأدب.

وكان الشعر في عائلته منذ زمن طويل، فقد أشار الأميني «إلى أن جد والد ابن منير «مفلح الطرابلسي» كان شاعراً أيضاً»[٢].

وقد أشادت المصادر، والمراجع بسعة ثقافة شاعرنا، وتعدد معارفه، وجعلته إماماً، ويظهر ذلك مما خُلع عليه من ألقاب لا يوصف بها إلا العلماء.

وقد بلغ ابن منير من العلم درجة رفيعة، فقد كان يعقد مجالس لتدريس الأدب

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ١٠٠. مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢١٧. وفيات الأعيان ج ١/ ١٥٦. مختصر تاريخ دمشق ج٣/ ٣٠٦. تتمة المختصر ج ٢/ ٨٥. عيون التواريخ ج ١٢/ ٤٦٧. الوافي بالوفيات ج ٦ ق٨/ ١٩٣. شذرات الذهب ج ٤/ ١٤٦. الغدير ج ٤/ ٣٣١. أمل الآمل ج١/ ٣٥. روضات الجنان ج١/ ٢٦١.

(٢) انظر: الغدير ج ٤/ ٣٣٧.

واللغة في مدينة حلب، وفي ذلك قال أبو البقاء علي بن هدّاب العلثي[1] «كنت أغشى مجلس أبي الحسين للقراءة عليه مع الجماعة بحلب، فقرأ عليه إنسان «كِلِيني لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ» فصحفه وقال: «كُلَيْبَتِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ بَاضَتْ» فقال له ابن منير: ويحك! أما علمت أن كل سكَّاء[2] تبيض، وكل ذات أذنين تحيض؟ فقال بعض من حضر، والله لقد انتفعنا بتصحيفه أكثر مما انتفعنا بصحيحه»[3].

ومن تتبع شعر ابن منير، أستطيع القول بأن **مصادر ثقافته هي:**

أولاً: بيئة طرابلس العلمية، وما احتوته هذه المدينة من العلماء، والأدباء، والأساتذة ومنهم:

القاضي ابن أبي روح[4]. والأديب الأستاذ «الطليطلي»[5]، الذي كان أستاذاً لشاعر ابن الخياط، والشاعر أسامة بن منقذ، وقد تتلمذ له عدد غير قليل من الشعراء والأدباء الذين كانوا من طلبة «دار العلم»، وأرجح أن يكون ابن منير واحداً منهم.

ثانياً: المذهب الديني، فما من شك أن للمذهب والمعتقد أثراً كبيراً في فكر الشاعر ونتاجه الأدبي، وهذا ما لمسناه من شعر ابن منير، فقد كان الشاعر شيعي المذهب، وسأعرض لذلك في الصفحات التالية.

---

(١) أبو البقاء علي بن هداب العلثي: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

(٢) سكّاء: صغيرة الأذن. انظر تاريخ إربل ق ١/ ٢٩١.

(٣) تاريخ إربل ق ١/ ٢٩١.

(٤) القاضي بن أبي روح: هو أسعد بن أحمد بن أبي روح، أبو الفضل القاضي الطرابلسي، من أكابر قضاة طرابلس وعلمائها، كان رأساً للشيعة في الشام، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى من الفتح العربي، حتى سقوط الإمارة الصليبية ٢٥/ ٦٦٨هـ/ ٦٤٦-١٢٨٩م، د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة فلسطين للتأليف والترجمة، ١٩٧٢، ص ٩٢، ٩٣.

(٥) الطليطلي: هو أحمد بن محمد أبو عبد الله الطليطلي النحوي، توفي سنة ٥١٢هـ. انظر الحياة الثقافية في طرابلس ص ٩٩.

ثالثاً: اطلاعه على الموروث الشعري القديم الذي تمثل بمحاكاة بعض الشعراء ممن سبقوه مثل أبي العتاهية، فقد مدح ابن منير عماد الدين زنكي سنة «٥٣٤هـ» عندما فتح حصن «بارين» وهزم ملوك الفرنج فقال:

فَـدَتْـكَ الْمُلُـوكُ وَأَيَّـامُهـا ... وَدَامَ لِنَقْضِـكَ إِبْـرَامَهَـا

وَزَلَّـتْ لِعَيْنِـكَ أَقْـدَامُهـا ... وَزَالَ لِبَطْشِـكَ إِقْـدَامَهَـا[١]

وقد تأثر ابن منير في هذه القصية بقصيدة أبي العتاهية في مدح المهدي التي مطلعها:

أَلَا مَـا لِسَيِّـدَتِـي مَـالَهَـا ... أَدَلَّـتْ فَـأَجْمَـلَ إِدلَالَهَـا

وإِلَّا فَفِيـمَ تَجَنَّـتْ وَمَـا ... جَنَيتَ وسَقَى اللّهُ أَطْلاَلَهَا[٢]

ومن المحاكاة قول ابن منير:

وَلَـو لَـمْ تُسْلِـمْ إِلَيْـكَ القُلُـوبُ ... هَـوَاهَـا لَمَـا صَـحَّ إِسْـلاَمَهَـا[٣]

وهذا مأخوذ من قول أبي العتاهية:

وَلَـوَ لَـمْ تُطِعْـه بَنَـاتُ القُلُـوبِ ... لَمَـا قَبِـلَ اللَّـهُ أَعْمَـالَهَـا[٤]

ومن اطلاعه على الموروث القديم، حفظه لبعض كتب الأدب مثل كتاب «الجمهرة» لأبي بكر بن دريد[٥].

رابعاً: علاقات الشاعر بمختلف جوانبها، سواء أكانت السياسية مع الحكام والأمراء أم الأدبية مع الأدباء والشعراء، فقد كانت له علاقات ودٍ وصداقة مع الأمراء

---

(١) الديوان: ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) ديوان أبي العتاهية «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية» عني بطبعة الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٤. الطبعة الرابعة ج٢/ ١.

(٣) الديوان: ١٩٥.

(٤) ديوان أبي العتاهية ج٢/ ١.

(٥) انظر: بغية الطلب ج٣/ ١١٥٤.

والوزراء ومدح عدداً غير قليل منهم من أمثال: «بوري طغتكين»[١]. وعدداً من أمراء شيزر وعماد الدين زنكي، و «جلال الدين بن صدقة»[٢] وزير الخليفة المسترشد بالله، والفقيه الحنبلي[٣] الواعظ شرف الإسلام، والملك العادل نور الدين زنكي، وأمير الأكراد البشنوي[٤]، ورئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي[٥]، ووزير الموصل «جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور»[٦].

ولعل العيش في ظل قصور السلاطين، وملازمة الأمراء، وكثرة التردد على الوزراء، والكبراء، والأعيان أمور تُكسب صاحبها وعياً سياسياً وثقافياً ينعكس أثره على أدبه وفكره. فمن ذلك قول ابن منير في مدح نور الدين زنكي:

يَـا مُحْيِـيَ العَـدْلِ وَيَـا مُنْشِـرَهُ مِـنْ بَيْـنِ أَطْبَـاقِ البلَـى وَقَـدْ هَمَـدْ[٧]

ومنها:

مَحَـوْتَ مَـا أَثْبَتَـهُ الجـوْدُ مَضَـى عَلَيْـهِ إِخْـلاَدُ اللَّيَـالِـي فَخَلَـدْ

---

(١) بوري طغتكين: هو ابن طغتكين أتابك دمشق، ولد سنة «٤٧٨هـ» كانت سيرته سيرة جميلة قتل سنة «٥٢٦هـ» وأوصى بالولاية لابنه شمس الملوك إسماعيل. انظر الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ. راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ج٩/ ٢٦٥، مرآة الزمان ج٨/ ١٤٣.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ابن الحنبلي: هو شرف الإسلام عبد الوهاب عبد الواحد أحمد بن محمد بن علي الشيرازي الدمشقي المعروف بابن الحنبلي. توفي سنة ٥٣٦هـ يكنى أبا القاسم، كان على الطريقة المرضية، والخلال الرضيّة. انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٥، شذرات الذهب ج ٤/ ١١٣، الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنابلي عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ت ٧٩٥هـ، دار المعرفة بيروت ج١/ ١٩٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) الديوان: ١٨٧.

مِـنْ كُـلِّ مَكَّـاسٍ يَظَـلُّ قَـاعِـداً لِمَـا يَسُـوءُ المُسْلِمِيـنَ بـالـرَّصَـدْ

كَـانَـتْ لأَرْجَـاسِ اليَهُـودِ دَوْلَـة أَزَالَهَـا مِنْـكَ الهَصُـورُ ذُو اللَّبَـدْ[1]

ففي هذه الأبيات نلاحظ وجود ثقافة سياسية لدى الشاعر تتمثل في استخدام بعض الألفاظ المجتزأة من المعجم السياسي، مثل العدل، الجور، المكّاس، الرصد، أرجاس، دولة، وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها بخاصة في شعره الحماسي الذي قيل في الجهاد[2].

وأما علاقة الشاعر ببعض الأدباء والشعراء من أبناء عصره، فقد كان لابن منير مع بعض الشعراء مكاتبات ومساجلات، ووقع بينه وبين بعضهم معارضة ومهاجاة، ظهر ذلك جلياً في الشعر[3].

ومما تقدم، نلاحظ أن هذه المصادر وغيرها قد ساعدت على تشكيل شخصية ابن منير الثقافية ورسمت معالمها على النحو الذي رأيناه في شعره.

وقد ظهرت ثقافة ابن منير في شعره من لغته وأسلوبه الشعري، فبالإضافة إلى استخدامه لغة سهلة واضحة، لجأ إلى استخدام الغريب من اللغة والمهجور منها لإثبات المقدرة اللغوية والثقافة العامة، وكذلك، فقد تلونت أساليب التعبير وكثرت لتدل على سعة ثقافة الشاعر، وتملكه لناصية الأدب[4].

شيوخه:

لم تذكر لنا الكتب التي ترجمت لابن منير اسم شيخ من شيوخه الذين درس عليهم، وإذا كانت الكتب القديمة قد أغفلت ذكر أحد من شيوخه، فإنني قد أستطيع

---

(١) الديوان: ص ١٨٧.

(٢) نفسه: ص ١٨٧-٢٧١.

(٣) انظر: الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

(٤) انظر: الفصل الثالث «اللغة والأسلوب».

الإشارة إلى بعضهم وذلك بجمع الإشارات الواردة في بطون الكتب من هنا وهناك.

وأول شيوخه هو والده «منير بن أحمد الطرابلسي» هذا ما أشارت إليه معظم الكتب التي ترجمت لابن منير، فقد ذكرت أن أباه كان شاعراً يتمتع بصوت حسن، ويغني في أسواق طرابلس، ذاكراً آل البيت، ومادحاً إيّاهم، ومنشداً قصائد العوني، وبالتالي من الطبيعي أن يسمع الفتى الناشيء من أبيه.

ومن شيوخه القاضي أسعد بن أحمد بن أبي روح «أبو الفضل الطرابلسي»[١] أحد العلماء الذين أشرفوا على دار العلم، ودرسوا بها قبيل الغزو الصليبي للمدينة سنة ٥٠٢هـ، ثم الشيخ أحمد بن محمد بن أبي عبد الله الطليطلي[٢] النحوي، الذي تسلم إدارة دار العلم أيضاً، وممن درّس بها في أثناء اختلاف ابن منير إليها.

تلاميذه ورواة شعره:

ذكر ابن العديم طائفة منهم، هم: الأمير أبو الفضل إسماعيل بن سلطان بن منقذ ت «٥٦١هـ»[٣]، وأبو عبد الله الحسن بن علي بن أبي جراده ت «٥٥٥هـ»[٤]، والخطيب أبو طاهر هاشم بن أحمد بن هاشم[٥]، وأبو القاسم عيسى بن أحمد المعروف بـ «الحنيك»[٦]، ويحيى بن سعد بن ثابت الحلبي المعروف بابن المراوي[٧]، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي ت «٥٩٩هـ»[٨]، ومجد

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) انظر: ترجمته الأنساب ج١/ ٣٠٠، بغية الطلب ج٢/ ٧٥، النجوم الزاهرة ج٥/ ٣٣١.

(٥) انظر ترجمته: بغية الطلب ج٢/ ٧٥.

(٦) انظر ترجمته: نفسه ج٢/ ٧٥.

(٧) انظر: نفسه ج ٢/ ٧٥.

(٨) هو الواعظ زين الدين الحنبلي المعروف بابن نجيّة، ولد سنة ٥٠٨هـ بدمشق وتوفي بمصر سنة ٥٩٩هـ، انظر ترجمته: مرآة الزمان ج ٨/ ٥١٥، بغية الطلب ج ٢/ ٧٥، وفيات الأعيان ج٢/ ٥٣٠، =

العرب العامري[1] ت «٥٧٣هـ» و«الحكيم بن نافع بن أبي الفرج الحلبي»[2] وأبو محمد عبد الله بن أحمد الحميري الكاتب[3] وقاضي العسكر بحلب محمد بن يوسف بن الخضر[4] ويحيى بن سعيد الحريري[5] و«أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد الخشاب الحلبي»[6] وعبد الوهاب بن سالم بن أبي الحسن أبو المكارم[7] الذي ذكره ابن العديم وقال: إنه نسخ ديوان ابن منير بخط يده نقلها عن الأصل، ونقل منها ابن العديم.

وذكر ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت «٧٧٥هـ» في ترجمته لعبد الوهاب الحنفي الدمشقي: «أنه كان راوية لشعر ابن منير في بغداد، ومن رواة شعره أبو البقاء علي بن هداب العلثي[8].

وقد أورد صاحب الخريدة من رواة شعره:

الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ[9]، والشيخ بدر الدين يونس بن حمد بن محمد الفارض[10]، وإبراهيم بن محمد القيسي الذي كان صديقاً لابن منير، وعنده اختفى لما اختبأ في مسجد الوزير بظاهر دمشق[11]. والحسين بن عبد الله العباسي

= البداية والنهاية ج١٢/ ٣٤، النجوم الزاهرة ج٦/ ١٨٣.

(١) انظر: خريدة القصر ج١ ق١/ ٧٩، بغية الطلب ج٢/ ٧٥، معجم الأدباء ج ٥/ ٢٢٧.

(٢) انظر: بغية الطلب ج٢/ ٧٥.

(٣) انظر: نفسه ج٢/ ٧٥.

(٤) انظر: نفسه ج٢/ ٧٥.

(٥) انظر: نفسه ج٢/ ٧٧.

(٦) انظر: نفسه ج٢/ ٧٦.

(٧) انظر: نفسه ج٢/ ٨٠.

(٨) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٩) انظر: الخريدة ج١ ق١/ ٧٦، انظر الفصل الأول من هذا البحث «ابن منير وشعراء عصره».

(١٠) انظر الخريدة ج ١ ق١/ ٨١.

(١١) انظر: نفسه ج ١ ق١/ ٨٠، مرآة الزمان ج ٨ ق١/ ٢١٨.

الحلبي[١] وقاضي السويداء أبا المجد[٢]، والشريف فخر الدين أبا البركات العباس ابن عبد الله العباس الحلبي[٣] وأبا العباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي المقرىء العراقي الذي ذكره ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، قائلاً: «لقي المهذب ابن منير الشاعر بحلب وروى عنه»[٤]، وقد ذكره أيضاً صاحب أعيان الشيعة[٥].

مذهبه:

كان ابن منير شيعي المذهب، مغالياً في علويته، متطرفاً في رافضيته، فكان ذلك سبباً في شقائه واضطهاده، وعدم استقراره، وقد حاول أن يتخلى عن مذهبه ظاهرياً، ليصبح حموياً، أموياً، وليهنأ في العيش وسط قوم ينكرون عليه تطرفه في اعتقاده، بل إن تشيعه قد سبب له خلافات خطيرة، كادت تقضي عليه، وتودي به إلى قطع لسانه، وصلبه، فنظم القصيدة التي تعد شاهداً كبيراً واعترافاً صريحاً على أنه شيعي المذهب، نظم هذه القصيدة في أثناء إقامته في حماة ودفع بها إلى الشيخ تقي الدين أبي الخير أمين الملك «سلامة بن يحيى البققي»[٦]، يقول فيها:

قُلْ لابْنِ يَحْيَى مَقَالَ غَيرِ غَوِ ... اشْهَدْ مِنَ الآن أَنَّنِي حَمَوِيْ
لَا رَافِضِيٌّ غَثٌّ أُقِيمُ عَلَى الـ ... ـشَّيْخَيْنِ سُوقَ البُهْتَانِ بَلْ أُمَوِيْ
لَمْ أَنْتَفِعْ مُذْ أَقَمْتُ فِي حَلَبٍ ... طُرفَةَ عَيْنٍ بِأَنَّنِي عَلَوِيْ

(١) انظر: الأنساب ج١/ ٣٠٣، الخريدة ج ١ ق١/ ٧٩.
(٢) انظر: الخريدة ج ١ ق١/ ٨٢، وفيات الأعيان ج ١/ ١٥٨.
(٣) انظر: الخريدة ج ١ ق١/ ٧٦، بدائع البدائة، علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٧٠م. ص ١٥٢.
(٤) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ت ٧٩٥هـ. دار المعرفة بيروت ج١/ ٣٧٦.
(٥) أعيان الشيعة، ج ١/ ١٤٨.
(٦) سلامة بن يحيى البققي: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

وَأَنَّ قَلْبِـــي جَـــوٍ لأَيَّـــامِ صِفِّـ ـيـــنَ وَدَائِـــي مِـــنْ كَـــرْبـــلاَءَ دَوِ
يَصْنَـــعُ بِـــي كَهْلُهَـــا وَيَـــافِعُهَـــا مَـــا يَصْنَـــعُ الحَنْبَلِـــيُّ بـــالثَّنَـــوِيْ
كَـــأَنَّمَـــا عَـــايَنُـــوا مُعَـــاوِيَـــةَ يَلُـــوحُ مِـــنْ نَقْـــشِ فَصِّـــيَ الغَـــرَوِيْ
لَا أَدَبٌ عَـــاطِـــفٌ عَلَـــى أَدَبِـــي بَـــلْ كُـــلَّ وَجْـــهٍ دَنَـــوْتُ مِنْـــهُ زَوِ
فَـــالـــرِّزْقُ لَا مُصْقَـــبٌ وَلَا أُمَـــمٌ حَتَّـى كَـأَنِّـي خُلُـقْـتُ غَـيْـرَ سَـوِ[1]

تؤكد هذه القصيدة أن ابن منير شيعي رافضي، وأنه لقي في سبيل تشيعه السوء والأذى من معاصريه، وها هو ذا يتقرب من ابن يحيى كبير شيوخ حماة، في عصره، ويشهده على نفسه ليعلن أمام الناس أنه غدا حموي المذهب، أي سنياً، لأن أهل حماة كانوا كلهم من أصحاب المذهب السني، وليبعد عن نفسه أذى المعاصرين، ويتخلص من هذا الإعراض وهذه العزلة.

وغنيّ عن البيان أن الإشارات والمصطلحات الدالة على تشيعه في هذه القصيدة، كثيرة تُوّجت باعترافه بما كان عليه مذهبه، وتراجعه عنه.

ومن تتبع شعر ابن منير، نجد إشارات، وتصريحات كثيرة لابن منير، تبين أنه من دعاة هذا المذهب، ولعل أدلّ مثالٍ يؤكد رافضيته، وغلوه في علويته، القصيدة «التترية» المشهورة، التي أرسلها لنقيب الأشراف بالعراق «السيد المرتضى الموسوي» والتي يطلب إليه فيها إعادة المملوك «تتر» ويهدده بالعدول عن التشيع والالتحاق بالركب السنّي.

قال صاحب كتاب «أمل الآمل» عن القصيدة «التترية»[2]: «أذكر منها أباتاً دالة

(١) الديوان: ص ١٥٢.

(٢) ما قيل في مناسبة هذه القصيدة: أن ابن منير هاجر إلى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي، نقيب الأشراف بها، وكان الشريف من كبار الشيعة، فلما دخل بغداد جهز إلى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه «تتر» الذي سارت الركبان بغرامه فيه، فأخذ الشريف الهدية، واستحسن المملوك، فأبقاه، وقصد أن يعوضه عن ذلك بأضعافه، فلما شعر ابن منير بذلك التهب على مملوكه، وكتب إلى الشريف=

على تشيعه منها قوله»[1]:

بـــالْمَشْعـــريـــنِ وبـــالصَّفَـــا ... والبَيـــتِ أُقْســـمُ والحَجَـــرْ
وبِمَـــنْ سَعـــىَ فِيـــهِ وطَـــافَ ... وَلَبَّـــــى واعْتَمَـــــرْ
لَئِـــن الشَّـــريـــفُ المُـــوسَـــوِيّ ... ابـــنُ الشَّـــرِيـــفِ أَبِـــي مُضَـــرْ
أَبـــدَى الجُحُـــودَ وَلَـــمْ يَـــرُدَّ ... إِلـــيَّ مَمْلـــوكِـــي تَتَـــرْ
وَآليـــــتُ آلَ أُمَيَّـــــةَ الـ ... ـطُّهـــرِ المَيَـــامِيـــنِ الغُـــرَرْ
وجَحَـــــدتُ بَيعـــــةَ حَيْـــدَر ... وَعَـــدَلْـــتُ عَنْـــهُ إِلَـــى عُمَـــرْ
وأُكَـــذِّبُ الـــرَّاوِي وَأَطعـــنُ ... فِـــي ظُهـــورِ المنْتَظَـــرْ
وإِذَا رَوَا خَبَـــر «الغَـــدِيـــرِ» ... أَقُـــولُ: مَـــا صَـــحَّ الخَبَـــرْ
وإِذَا جَـــرَى ذِكْـــرُ الصَّحَـــابَـــةِ ... بَيـــن قَـــومٍ واشْتَهَـــرْ
قُلـــتُ: المُقَـــدَّمُ شَيـــخُ تَيِّـ ... ـــمَ ثُـــمَّ صَـــاحِبُـــهُ عُمَـــرْ
مَـــا سَـــلَّ قَـــطُّ ظُبـــاً عَلَـــى ... آلِ النَّبِـــيِّ وَلَا شَهَـــرْ
كَـــلَّا وَلَا صَـــدَّ البَتُـــو ... لَ عَـــنِ التُّـــراثِ وَلَا زَجَـــرْ
وَأَثَـــابَهَـــا الحُسْنَـــى وَمَـــا ... شَـــقَّ الكِتَـــابَ وَلَا بَقَـــرْ
وَأَقُـــولُ أُمُّ المُـــؤمنِـ ... ـيـــنَ عُقـــوقُهـــا إِحْـــدى الكُبَـــرْ
رَكِبَـــتْ عَلَـــى جَمَـــلٍ وَسَـــا ... رَتْ بَينَهَـــا فِـــي زَحَـــر
وَأَتَـــتْ لِتُصْلِـــحَ بَيـــنَ جَيْـ ... ـــشِ المُسلِميـــنَ عَلـــى غُـــرَرْ
فَـــأَتَـــا أَبُـــو حَســـنٍ وَسَـ ... ـــلَّ حُسَـــامَـــه وسَطَـــا وَكَسَـــرْ

= هذه القصيدة. انظر: ثمرات الأوراق في المحاضرات ص ٢١٦، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ص ١٧٦، أعيان الشيعة ج١٠/ ١٥٣، الغدير ج ٤/ ٣٢٧، أمل الآمل ق١/ ٣٧، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ج٢/ ٦٠٨، الديوان من ص ١٥٨-١٧١.

(١) أمل الآمل، الحر العاملي ق١/ ٣٧.

وأَذَاقَ إِخْـــوَتَـــهُ الـــرَّدَى ... وَبَعِيـــرَ أُمِّهِـــم عَقَـــرْ

وَأَقُـــولُ إِنَّ إِمَـــامَكُـــمْ ... وَلَّـــى بِصِفِّيـــنٍ وَفَـــرْ

وَأَقُـــولُ إِنْ أَخْطَـــا مُعـــا ... ويَـــةٌ فمـــا أخطـــا القـــدر

هـــذا ولـــم يَـغـــدُرْ معـــا ... ويـــةُ وَلَا عَمَـــرو مَكَـــرْ

وَأَقُـــولُ ذَنْـــبُ الخَـــارِجِـ ... ـيـــنَ عَلَـــى عَلـــيّ مُغْتَفَـــرْ

وَحَلقْـــتُ فِـــي عَشْـــرِ المُحَـــرَّ ... مِ مَـــا اسْتَطَـــال مِـــنَ الشَّعَـــرْ

وَنَـــوَيْـــتُ صَـــوْمَ نَهَـــارِهِ ... وصِيـــامَ أَيَّـــامٍ أُخَـــرْ

وَغَسَلْـــتُ رِجْلِـــي حَـــاضِـــراً ... وَمَسَحْـــتُ خُفّـــي فِـــي السَّفَـــرْ

آمِيـــنَ أَجْهَـــرُ فِـــي الصَّـــلا ... ةِ كَمَـــنْ بِهِـــا قَبْلِـــي جَهَـــرْ[1]

وهذه القصيدة دليل ثانٍ على تشيع ابن منير، فمن القرائن الدالة على ذلك:

- قسمه بالمشعرين وبالبيت الحرام، وبالحجر الأسود وبالحجاج والمعتمرين.
- قوله «وآليت آل أمية» وجحدت بيعة حيدر و «عدلت عنه إلى عمر».
- أنه كان يصدق الراوي ويصدق ظهور الإمام المنتظر ويصدق خبر الغدير.
- أنه كان يسب الصحابيين الحليلين «أبا بكر وعمر» رضي الله عهما.
- الإشارة إلى قضية اتهام عثمان بن عفان باغتصاب الخلافة.
- القدح في سيرة عثمان وعائشة رضي الله عنهما.
- ذكر حادثة صفين وما حدث بالشيعة.
- اتهام معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بالخيانة والغدر.
- اتهام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بالفسق وأنه فاجر مسرف في شرب الخمور.
- هنالك إشارات كثيرة حول الفقه الشيعي في الطهارة والصلاة، ولا مجال لذكرها.

---

(١) الديوان: ص ١٦١-١٦٩.

وتجدر الإشارة إلى أن صاحب أمل الآمل قد علق في نهاية هذه الأبيات بقوله: والعجيب أن بعض العامة، ذكر أن هذا الرجل كان شيعياً، فرجع عن مذهبه، إلى التسنن، واستدل بهذه القصيدة، وغفل عن الشرط، والجزاء وما عقب عليه»[1].

والشرط قول ابن منير:

لَئِنِ الشَّرِيفُ المُوسَوِيُّ ابنُ الشَّرِيفِ أَبِي مُضَرْ
أَبْدَى الجُحُودَ ولَمْ يَرُدَّ إِلَيَّ مَمْلُوكِي تَتَرْ[2]

وأما الجزاء فقول ابن منير:

وإِلَى الشَّرِيفِ بَعَثْتُهَا لَمَّا قَرَاهَا فَانْبَهَرْ
رَدَّ الغُلاَمَ ومَا استَمـ ـرّ علَى الجُحودِ ولَا أَصَرْ
وَأَثَابَنِي وَجَزَيْتُهُ شُكراً وقَالَ لَقَدْ صَبَرْ
وَأَظْفُرُ مِنهُ بِالمُنَى والصَّبْرُ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ[3]

وأما ما عقب الجزاء: أنه عندما وصلت هذه القصيدة إلى الشريف، ضحك وقال: قد أبطأنا عليه، فهو معذور، وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه ابن منير بقوله:

إِلَى المُرْتَضَى حثّ المَطَايَا فَإِنَّهُ إِمَامٌ عَلَى كُلِّ البَرِيَّةِ قَدْ سَمَا
تَرَى النَّاسَ أَرْضَاً فِي الفَضَائِلِ عِنْدَه وَنَجْلُ الزَّكِيَّ الهَاشِمِيّ هُوَ السَّمَا[4]

ولدى النظر في شعر ابن منير نجد أن هنالك إشارات متفرقة تبين تشيع ابن منير فمن ذلك:

---

(١) الديوان: ص ١٦٢.
(٢) الديوان: ص ١٦٩.
(٣) الديوان: ص ١٦٩.
(٤) الديوان: ص ١٧١.

* هجومه على بني أمية وتجريدهم من إسلامهم ونعتهم بالنفاق إذ يقول:

نَفَـرٌ مِـنْ أُمَيَّـةَ نَفَـرِ الإِسْـ ـلاَمَ نُفُـورَ إِبَـاقْ

أَنْفَقُـوا فِـي النِّفَـاقِ مَـا غَصَبُـوهُ فَـاسْتَقَـامَ النِّفَـاقُ بِـالإِتِّفَـاقْ[1]

ومن الأفكار والمعتقدات الشيعية عدم جواز خروج الخلاقة من آل البيت، وللإمام بيعة في عنق كل فرد من الرعية، ولا يصح إسلامه إلا بها، وهذا ما أشار إليه ابن منير في معرض مديحه لنور الدين زنكي بقوله:

ولَـوْ لَـمْ تُسْلِـم إِلَيْـكَ القُلُـو بُ هَـوَاهَـا لَمَـا صَـحّ إِسْـلاَمَهـا[2]

ومن المعتقدات الشيعيّة المنتشرة في شعره موقفه من الخلفاء الراشدين الذين استلموا الخلافة قبل «علي بن أبي طالب» واتهامهم باغتصاب الخلافة.

وقد دخل شعره كثير من الألفاظ المستخدمة في المذهب الشيعي مثل:

«البيعة، حيدر، آل البيت، العترة، الراوي، الإمام المنتظر، عاشوراء، الخبر المعنعن، الوصي، الولاء، صفين، الهداية والنظر، ضال وضُلاّل، الغدير، الشريف، الخارجين».

ومما يسجل لابن منير في هذا الصدد أنه في أخريات حياته، لازم عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي، وكتب فيهما شعراً يفيض حماسة، وتشوقاً إلى تحرير بلاد المسلمين من الفرنج، ويتسامى في قصائده الحماسية عن الصغائر أو السفاسف من العنعنات المذهبية وغيرها فيكبر في عين تلاميذه ورواة شعره، بل ومن يطلع على نتاجه، وبذلك، يؤكد عظمة هذا الدين، وصدق الانتماء إليه، ويبرهن على ما وصل إليه الشاعر من نضوج ووعي كبيرين.

---

(١) الديوان: ص ١٤٢.

(٢) الديوان: ص ١٩٥.

ابن منير وشعراء عصره:

امتد رواق الأدب في عصر ابن منير ليشمل عدداً كبيراً من الشعراء، فقد غزر إنتاج الشعر في زمن الحروب الصليبية، وكثر قائلوه، منهم البارع المشهور وهناك المقل وغير المعروف.

ومن شعراء العصر من كانت لابن منير معه علاقة ودٍ وصداقة، ومنهم من كانت له علاقة خصومة ومنافسة، ومنهم من التقى به ومنهم من لم يشاهده، ومن الضرورة بمكان أن أشير إلى أن معظم شعراء العصر لم تصلنا دواوينهم بمن في ذلك «ابن منير الطرابلسي»، الذي فُقد ديوانه، وما وصلنا من مختارات وقصائد لشعراء العصر غير كاملة، لا تمثل العصر، وليس بمقدور الباحث أو الدارس الإلمام بجميع جوانب الصورة، فالصورة التي يحاول الدارس رسمها للشعر والشعراء في هذا العصر صورة جزئية.

ويطول بنا القول لو أننا عددنا الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر، مع تعدد نواحيهم، وربما كان أدلهم على عصره، وممن كانت له علاقة بابن منير:

مع ابن القيسراني[1] «٤٧٨هـ - ٥٤٨هـ»:

تجمع المصادر على أن علاقة ابن منير بالقيسراني، كانت علاقة تشوبها المشاحنات والمكاتبات والأجوبة، والمهاجيات، وبعضهم شبهها بعلاقة جرير

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بالقيسراني، الملقب بـ «شرف الدين» ولد في مدينة عكا سنة «٤٧٨هـ» وتوفي في دمشق في الثاني والعشرين من شعبان سنة «٥٤٨هـ».

انظر ترجمته: خريدة القصر. قسم شعراء الشام ج١ ق ١/٩٦-١٦٠، معجم الأدباء ج٨/ ١٩، ٦٤، ١٢٧. معجم البلدان ج١٥/ ١٠٥. الروضتين ج ١ ق ١، مواضع متعددة جداً، وفيات الأعيان ج٢/ ١٦. سير أعلام النبلاء ج ٢٠/ ٢٢٤، ٢٢٥. النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٤/ ٢٩٩، ٣٠٢، ج٦/ ٣٤٧، ج٧/ ٢٠٩.

بالفرزدق[1]. وفي ذلك يقول ابن كثير في حوادث سنة «٥٤٨هـ»: «وفيها كانت وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين في الزمان الأخير بالفرزدق وجرير، وهما أبو الحسين أحمد بن منير الجوني بحلب، وأبو عبد الله محمد بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق»[2].

وقد ساعد على وجود هذه العلاقة من المهاجاة والمعارضة فيما بينهما عوامل عدّة، من أهمها:

أ- أنهما كانا شاعري الشام في زمانهما، وينظر كل واحد منهما للآخر نظرة المنافس، والمنافسة تفرض المعارضة والمهاجاة.

ب- أنهما كانا يختلفان في المذهب، فالقيسراني سنّي[3]، وابن منير رافضي شيعي بإجماع المصادر كافة، والاختلاف في المذاهب قد يولد تضارباً في وجهات النظر، والمخالفة والمعارضة.

ج- علاقة الودّ والصداقة التي كانت تربط ابن منير بكثير من الأمراء، والوزراء والأعيان أثارت مكامن الغيرة والحسد عند ابن القيسراني، فدفعته للوقوع في مباراة ابن منير، ومعارضته، ومهاجاته، في حين أن ابن منير كان يترفع عن الوقوع في معارضة القيسراني، والرتوع في مرعى مناقضته[4].

ولم يثبت الديوان ومجموع شعر ابن القيسراني، سوى هذين البيتين اللذين قالهما ابن القيسراني في ابن منير، وكان قد هجاه:

ابـــنَ مُنيـــرٍ قَـــدْ هَجَـــوْتَ مِنّـــي خَبَـــراً أَفَـــادَ الـــوَرَى صَـــوَابَـــهْ

(١) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ج ١ ق ١/ ٧٦. معجم الأدباء ج ١٩/ ٤٦. العبر في خبر من غبر ج٤/ ١٣٠.

(٢) البداية والنهاية ج ١٢/ ١٤٩.

(٣) انظر: الخريدة ج ١ ق ١/ ٧٦. سير أعلام النبلاء ج ٢٠/ ٢٢٤.

(٤) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٢. الخريدة ج ١ ق ١/ ٧٩. مخطو مسالك الأبصار ج ١٥/ ٥١٨.

وَلَـــمْ تُضَيِّـــقْ بِـــذَاكَ صَـــدْرِي فَـــإِنَّ لِـــي أُسْـــوَةً الصَّحَـــابَـــةْ[1]

وورد في ديوان ابن منير بيتان من الشعر في هجاء ابن القيسراني، ضمن الرسالة التي بعث بها ابن منير إلى رئيس حلب عفيف الذين المستوفي[2] عندما وصل الخبر من حلب إلى ابن منير وهو في حماة في أثناء مرضه، أنه توفي، فبعث ابن منير رسالة إلى رئيس حلب تتضمن تسعة وتسعين بيتاً من الشعر، ينال فيها من خصومه، وأعدائه، وحسّاده، منهم ابن القيسراني وهي قصيدة طويلة، مليئة بالفحش والبذاءة، وقد عرّض ابن منير القيسراني، وسلوكه مع عياله، ووصف جشعه وطمعه وحرصه على الدنيا، من خلال أخذه أموال زوجته وكنزها عند ابنه خالد، في الوقت الذي تكون زوجته وأولاده بأمس الحاجة إلى ما ينفق عليهم، ويصور جشعه، وبخله، ودناءته فيقول:

أَتُـــرَانِـــي أَكَلْـــتُ جَـــذْرَ عِيـــالِـــي مِثْـــلَ مَـــا كَـــانَ يَفْعَـــلُ الْقَيْسَـــرَانِـــي
أَمْ كَنَـزْتُ الفُلُـوسَ فِـي خَـالِـدِ ابْنِـي عَـــامَ قَـــادَتْ عَلَيْـــهِ أُمُّ سِنَـــانِ[3]

ومن قصيدة أخرى غير موجودة في الديوان أثبتها في ملحق هذا البحث[4] هذا مطلعها:

يَـا طُـوَيْـسَ الشُّـؤْمِ هَـذي الحَـرَكَـهْ أَلْحَقَـــتْ جِلَّـــقَ بـــالْمُـــؤتَفِكَـــهْ[5]

تقوم القصيدة على وصف ابن القيسراني بالشؤم بحيث إنه لو وضع رجله تحت كيوان لهدم، وإن شُؤم رجله أشد من سم العقرب، ومن أصابه بعينه فقد هلك،

(١) الديوان ص ٣١، شعر ابن القيسراني تحقيق ودراسة د. عادل جابر صالح، الناشر الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ص ٩٠.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الديوان: ص ١٥٤.

(٤) لقد تفضل الدكتور «شفيق الرقب» بإعطائي عدداً من قصائد ابن منير، لم تنشر في الديوان، كان قد حصل عليها من مكتبة الأمبروتريانا/ ايطاليا. فإليه شكري وتقديري وامتناني.

(٥) ملحق الرسالة ص ٢١٩.

ويدعو في القصيدة حاكم دمشق «مجير الدين» أن يخرجه من دمشق إن كان حريصاً على أهله وملكه من الضياع والهلاك، يقول:

لَـكَ رِجْـلٌ قُطِعَـتْ لـو جُمِعَـتْ تحـتَ كيـوانٍ لَهـدّت فَلَكَـهْ
شُـؤْمُهـا أسْـرى مـن السُّـمِّ فمـا ربّ للمَلْسُـوع إلا أَهلَكَـهْ
يـا مُجيـر الـديـنِ مَـن دَلّ علـى رَبْعِـك المـأهـولِ هـذي الهَـلَكَـة
مَـنْ إذا لاحَـقَ شَمـلاً بَـتَّـهُ وإذَا عَـنّ لِـوَصْـلٍ بَـتَّكَـهْ[1]

وفي باقي القصيدة فحش وإقذاع وسباب.

وقد أشار الشاعر «أبو الحكم المغربي» إلى العلاقة بين الشاعرين في قصيدتين، رثى المغربي فيها ابن القيسراني، وجاء على ذكر ابن منير فيهما فيقول:

مُـذْ تُـوفّـي مُحمـد القَيْسَـرَانـي هَجَـرتْ لَـذَّةُ الكَـرَى أَجْفَـانِـي

ومنها: «يقول على لسان ابن القيسراني»:

وَأَرانِـي أَمـوتُ يَـومِـي هَـذَا وَلَئِـن فَـاتَنِـي فَيـومِـي الثَّـانِـي
فَـاكْتُمـوا جَفْـوَتِـي عَـن ابْـنِ مُنيـرٍ وادْفنُـونِـي سِـراً لِكَـيْ لا يَـرَانِـي
فَهـوَ مِـنْ أَشْمَـتِ الأنـامِ إذا مِـتُّ وعِنْـدِي مِـن عَتَبِـهِ مَـا كَفَـانِـي
وَهُـو لَـوْ كَـانَ فِـي الجِنـانِ لأَسْرعْـتُ فِـراراً مِنْـه إلـى النِّيـران[2]

ويقول «أبو الحكم المغربي» في قصيدة أخرى يرثي ابن القيسراني أيضاً:

مُـذْ تُـوفِّـي مُحَمَّـدُ بـنُ صَغِيـر هَمَلَـتْ مُقْلَتِـي بِـدَمْـعٍ غَـزِيـرْ

ومنها:

ثُـمَّ عَهْـدِي بِـهِ وَقَـد أَنـزَلُـوهُ القَبْـرَ مَـا بَيـن مُنكَـر وَنَكِيـرْ

(١) ملحق الرسالة ص ٢١٩-٢٢٠.
(٢) عيون التواريخ ج ١٢/ ٤٨٠.

وَقَـــد اسْتَـــوَلَيَـــا عَليـــهِ فَهـــذَا بِجِـــــرابٍ وذَا بِنَعْـــــلٍ فَطِيـــــرْ
ثُـمَّ لَـم يَكْتَـرِثْ بِـذلـكَ لَـولا مـــا رَأى شَمَـــاتَـــةَ ابْـــنِ مُنيـــرْ
عِنْـدَمـا جَـاءَهُ يُـقَهْقِـهُ ضَحِكـاً وَيُـنَـــادِي هَـــذا مِـــن الـتَّعْثِيـــرْ
فَـتَـلَقَّـاهُ بِـالخُصُـومَـةِ والشَّـتْـمِ وجَـذْبِ اللِّحى ونَـتْـفِ الشُّعُـورْ

إلى قوله:

وغَـدا يَسْتَجيـرُ فِـي القَبْـرِ بِـالْمَـوْتَـى ولَا يَلْتَقِـــي لَـــهُ مِـــنْ مُجِيـــرْ[1]

وذكر ابن خلكان شيئاً من مناكفة الشاعرين لبعضهما فقال: «كان بالشام شاعران، ابن منير وابن القيسراني، وكان ابن منير كثيراً ما يبكِّتُ ابن القيسراني بأنه ما صحب أحداً إلا نكس، فاتفق أن أتابك عماد الدين زنكي، صاحب الشام غناه مغن على قلعة جِعبر -وهو يحاصرها- قول الشاعر:

وَيْلِـي مِـنَ الغَضْبَـانِ إذَا نَقَـلَ الـ واشِـي إليـه حـديثـاً كلـه زور
سَلَّمْتُ فـازور يـزوي قَـوْسَ حَـاجِبِهِ كَـأَنَّنِـي كَـاسُ خَمْـرٍ وَهْـوُ مَخْمُـورُ

فاستحسنها زنكي، وقال: لمن هذه؟ فقيل: لابن منير، وهو بحلب، فكتب إلى والي حلب يسيره إليه سريعاً، فسيره، فليلة وصل ابن منير، قتل أتابك زنكي... فلما دخل ابن منير إلى حلب صحبة العسكر، قال له ابن القيسراني هذه بجميع ما كنت تبكتني به»[2].

ولم يقتصر هجاء الشاعرين على النظم وحسب، بل تعداه إلى النثر، هذا ما أخبرنا إيّاه العماد الكاتب، في الرسالة الوحيدة المنثورة التي وصلتنا من إنشاء ابن منير، جواباً على رسالة زين الدين بن حليم رسول معين الدين أنر عندما طلب منه العودة إلى دمشق، فاعتذر ابن منير، فأرسل له الرسالة التالية، وفيها ينال من

(١) عيون التواريخ ج١٢/ ٤٨١.
(٢) وفيات الأعيان ج١/ ١٥٨، ١٥٩.

خصومه في دمشق، وعلى رأسهم «ابن القيسراني» الذي حظي بالمنزلة عند عطاء بن حفّاظ السلمي الخادم[1] الذي فوض إليه «مجير الدين أبق» ألأمور دمشق، ومما جاء في الرسالة:

«. . . ومن جملة ما أحكيه لتحفظه عني وترويه، أن «عطا» عطّ الله فاه كما عط بالدرة قفاه، وعن قليل فتراه، أفرط في ذمي، بعد أن ولغ أمس في دمي وأخذ يفاضل بيني وبين كلب لو عقرني لأنفت أن أزجره -يقصد ابن القيسراني- ولو عبدني لتعاليت أن أذكره»[2].

مع ابن قسيم الحموي[3] «. . . -٥٤١هـ».

تشير المصادر التي ترجمت لابن قسيم الحموي أن له مع ابن منير علاقة اتسمت بالصداقة حيناً، وبالخصومة حيناً آخر، وكانا يتطارحان الأشعار الإخوانية فمن ذلك:

وَأَيـنَ البِيـضُ مِـنْ لَحَظَـاتِ بِيـضٍ قَطَعْـتُ بِهـا اللَّيَـالِـي غَيْـرَ سُـودِ

وَفِـي الحَـيِّ المُمَنَّـعِ مِـنْ عَقِيـل عَقَـائِـلُ كَـالصَّـوَارِمِ فِـي الغَمـودِ[4]

وقد كان بينهما مراسلات، فمن ذلك قول العماد: «وقال -يعني ابن قسيم- في جواب كتاب ابن منير الشاعر، وشعره على الوزن والقافية»:

بَعَثْـتَ الكِتَـابَ فَـأَهْـلاً بِـهِ تَسـرُّ النَّـواظِـر تَـنْمِيقُـهُ

(١) عطاء بن حفّاظ السلمي الخادم: أحد أمراء دمشق تغلب على الأمور بأمر مجير الدين، وكان متولياً على بعلبك، قتله مجير الدين سنة «٥٤٩هـ» كان ظالماً غاشماً. انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٦. الروضتين ج١/ ٢٢٦. البداية والنهاية ج١٢/ ٢٤٩.

(٢) الخريدة ج ١ ق١/ ٩٥.

(٣) هو أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم الحموي التنوخي الملقب بـ «شرف الدين» لا يُعرف سنة مولده، ويُنسب إلى حماه، توفي سنة ٥٤١هـ.
انظر ترجمته: الخريدة قسم شعراء الشام ج١ ق١/ ٤٣٣-٤٨٠، الروضتين ج١ ق١/ ٢٤، ٣٢، الكامل في التاريخ ج١١/ ٢٤، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٠٨.

(٤) الخريدة ج ١ ق١/ ٤٣٢، ٤٣٣، ديوان ابن منير القصيدة في ٢٢ بيتاً انظر الصفحات (٢٨١-٢٨٣).

لَئِنْ أَخْجَلَ الرَّوْضَ مَوْشِيُّهُ لَقَدْ فَضَحَ الدُّرَّ مَنْوقُهُ
غَرِيبُ الصَّنَاعَةِ تَجْنِيسُهُ نَفِيسُ البِضَاعَةِ تَطْبِيقُهُ[1]

ومن العلاقة المتسمة بالخصومة والحدّة في التعامل بين الشاعرين: ردّ ابن قسيم على كتاب ابن منير الذي أرسله الأخير لشيخ حماد «يحيى البققي»[2] في أثناء إقامته فيها، فيعلن ابن منير تخليه عن مذهبه الشيعي، وتحوله لمذهب أهل السنة والجماعة، فردّ عليه ابن قسيم قائلاً:

يَا شَاعِراً أَوْدَعَتْ أَنَامِلُهُ دُرَّ القَوَافِي كِتَابَهُ النَّبَوِيْ
وَلَوْ كَشَفْنَاكَ لَمْ تَكُنْ حَلَبِيّاً فِي مَذْهَبٍ وَلَا حَمَوِيْ
لَوْ كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ لَاحَ لَهُ آدَم مِنْ نَقْشِ فَصِّكَ الغَرَوِيْ
لَخَرَّ مَا شِئْتَ سَاجِداً وَعَنَا لِلَّهِ طَوْعاً وَكَانَ غَيْرَ غَوِيْ[3]

مع أبي الحكم المغربي[4] «٤٨٧ - ٥٤٩هـ».

كانت بين «أبي الحكم» وبين ابن منير علاقة ود، فأرسل أبو الحكم له كتاباً وهو في شيزر يوصي به شاعراً من أصدقائه واسمه «أبو الوحش» ينوي التوجه إلى شيزر ليمدح بني منقذ، ويسترفدهم، فالتمس من أبي الحكم كتاباً لابن منير فكتب إليه:

(١) الخريدة ج ١ ق١/ ٤٤٢، ديوان ابن منير ص ٢٨٣.
(٢) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.
(٣) الخريدة ج ١ ق١/ ٤٧٩، ديوان ابن منير ص ٢٨١.
(٤) هو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي، الحكيم الأديب المعروف بالمغربي، أصله من أهل المرية بالأندلس، ولد ببلاد اليمن، وقيل بالمرية سنة «٤٨٧هـ» عمل معلماً للصبيان في بغداد، وطبيباً عند السلطان «محمد بن ملكشاه». كان شاعراً خليعاً مطبوعاً. توفي سنة ٥٤٩هـ، انظر ترجمته: الخريدة قسم شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي الجيلاني الحاج بن يحيى. الدار التونسية للنشر ١٩٦٦م. من صفحة ٢٨٩-٣٠٠. وفيات الأعيان ج٣/ ١٢٣-١٢٦، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٨٠-٤٨٤. شذرات الذهب ج٤/ ١٥٣.

أَبَـا الحَسَـنِ اسْتَمِـعْ مَقَـالَ فَتـىً عُـوجِـلَ فِيمَـا يَـقُـولُ فَـارْتَجَـلاَ

ومنها:

واتْـلُ عَلَيْهِـمْ بِحُسـنِ شَـرْحِـكَ مَـا أَتْلُـوهُ مِـنْ حَـدِيثِـهِ جُمَـلاَ

وَخَبِّـرِ القَـوْمَ أَنَّـهُ رَجُـلٌ مَـا أَبْصَـرَ النَّـاسُ مِثْلَـهُ رَجُـلاَ

تَنُـوبُ عَـنْ وَصْفِـهِ شَمَـائِلُـهُ لَا يَبْتَغِـي عَـاقِـلٌ بِـهِ بَـدَلاَ[1]

وعلى الرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت تربطهما، فإنه لم يتورع عن أن يرثي ابن منير بعد موته بأبيات هزلية ساقطة يقول فيها:

لَهَفِي عَلَى ابْنِ مُنيرٍ الشَّاعِرِ اللُّوطِي مُفَضِّلِ السُّرم أَحْيَانَاً عَلَى القُوط

أَتَـوْا بِـهِ فَـوْقَ أَعْـوادٍ تَسِيـرُ بِـهِ وَغَسَّلُـوهُ بِشَـاطِـي نَهْـرِ قَلُـوطِ

وَأَسْخَنُـوا المَـاءَ فِـي قِـدْرٍ مُـرَصَّصَـةٍ وَأَشْعَلُـوا تَحْتَهَـا عِيـدَانَ بَلُّـوطِ

وَغَـادَرُوهُ لَـدَى جَـوْفَـاءَ مُظْلِمَـةٍ بِـالقَـاعِ مَـا بَيْـنَ أَقْـوَامٍ عَضَـارِيـطِ[2]

مع أسامة بن منقذ[3] «٤٨٨ - ٥٨٤هـ».

كان أسامة بن منقذ من حفظة شعر ابن منير ومن رواته ومن المعجبين به[4] وعلى الرغم من أنه كان معاصراً له، فإنه لم يره.

وقد اختلف الأدباء، والمؤرخون في نسبة هذين البيتين من الشعر:

---

(١) وفيات الأعيان ج٣/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) ديوان ابن منير ص ٢٧٩.

(٣) هو الأمير مؤيد الدولة «أبو المظفر» أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن مضر بن منقذ الكناني ولد سنة ٤٨٨هـ بقلعة شيزر وتوفي سنة ٥٨٤هـ بدمشق، أحد الشعراء المشهورين، بلغ من العمر ستاً وتسعين. انظر ترجمته: الخريدة: ج١٤٩٨-٥٤٨، وفيات الأعيان ج١/ ١٩٥-١٩٩، البداية والنهاية ج١٢/ ٣٥٣. شذرات الذهب ج٤/ ٢٧٩، النجوم الزاهرة ج٥/ ١٠٧.

(٤) انظر: الخريدة: ج١/ ٧٦، ٧٧.

وَصَاحِبٍ لَمْ أَمَلَّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ[1]

قال العماد الأصفهاني: «وأنشدني أسامة لنفسه البيتين اللّذيْن سارا له في خلع ضرسه» وذكر البيتين[2]، وقد ذكر أبو شامة المقدسي هذين البيتين وقال: «أنشدني هذين البيتين. . .» وذكرهما ثم قال: «ومن عجيب ما اتفق أني وجدت هذين البيتين مع بيتين آخرين والمجموع أربعة أبيات، في ديوان أبي الحسين أحمد ابن منير الأطرابلسي. ومات ابن منير سنة ثمان وأربعين وخمسماية، وقرأت في ديوانه. وقال في الضرس:

وَصَاحِب لَا أَمَلَّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَسْعَى لِنَفْعِي وَأَجْنِي ضُرَّهُ بِيَدِي
أَدْنَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي وَمِنْ تِلاَدِي وَمِنْ مَالِي وَمِنْ وَلَدِي
أَخْلُو بِبَثِّي مِنْ خَالٍ بِوَجْنَتِهِ مِدَادُهُ زَائِدُ التَّقْصِيرِ لِلْمَدَدِ

ثم قال:

لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ[3]

وقد علق أبو شامة قائلاً:

«فالأشبه أن ابن منير أخذهما، وزاد عليهما، ولهذا غير فيهما كلمات، وقد وجدت هذا البيت الأول على صورة أخرى حسنة»:

«وَصَاحِب نَاصِح لِي فِي مُعَامَلَتِي. . .».

ثم يستأنف أبو شامة قائلاً: «ويجوز أن يكون أسامة أنشدهما متمثلاً فنسبا إليه لما كان مظنّة ذلك، ويجوز أن يكونا اتفقا، والله أعلم»[4].

---

(١) ديوان ابن منير ص ٢٧٢.
(٢) انظر الخريدة: ج١/ ص ٤٩٩.
(٣) الروضتين، طبعة دار الجيل ج١/ ٢٦٤.
(٤) الروضتين، طبعة دار الجيل ج١/ ٢٦٤.

وما أميل إليه هو أنه يجوز أن يكون أسامة قد أنشدهما متمثلاً فنسبا إليه، وذلك لما عهد عن أسامة أنه من المفتونين بشعره.

مع أبي نزار النحوي[1] «٤٨٩ - ٥٦٨هـ».

اتسمت العلاقة بينه وبين ابن منير بالمناكفة والمهاجاة، وكلما التقى به ابن منير كان يقول له:

«ماذا خرى الملك على لسانك اليوم»؟ وقد هجاه ابن منير، فمن ذلك: أن أبا نزار النحوي كتب إلى أحد القضاة، وتَصنّع في الكلام فقال «القاضوي» فاستهجنها ابن منير، وهجاه بهذه الأبيات:

أَيَـا مَلِـكَ النَّحْـوِ والحَـاء مِـنْ ... تَهَجِّيـهِ مِـنْ تَحْـتِ قَـدْ أَعْجَمُـوهَـا
أَتَـانَـا قِيَـاسُـكَ هَـذَا الَّـذِي ... يُعْجِـمُ أَشْيَـاءَ قَـدْ أَعْـرَبُـوهَـا
وَلَمَّـا تَصَنَّعَـتْ فِـي «القَـاضَـوِيّ» ... غَـدَا وَجْـهُ جَهْلِـكَ فِيـهِ وُجُـوهَـا
وَقَـالُـوا قَفَـا الشَّيْـخ إنَّ المُلُـو ... كَ إذَا دَخَلُـوا قَـرْيَـةً أَفْسَـدُوهَـا[2]

فأجابه أبو نزار بقوله:

أَيَـا مَـنْ حَسِبْـتَ الهِجَـاءَ ... رُتْبَـةَ فَخْـرٍ فَبَـالْغَـتِ فِيهَـا
جَمَعْـتَ القَـوَافِـي مِـنْ ذَا ومِـنْ ذَا ... وَأَفْسَـدْتَ أَشْيَـاءَ قَـدْ أَصْلَحُـوهَـا

(١) هو الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي البغدادي المعروف بـ «ملك النحاة» ولد بالجانب الغربي من مدينة السلام سنة ٤٨٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٥٦٨هـ، انظر ترجمته معجم الأدباء ج٢/ ٨٦٦-٨٧٣. وفيات الأعيان ج٢/ ٩٢-٩٤، النجوم الزاهرة ج٦/ ٦٨، إنباه الرواة على إنباه النحاة، تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف القفطي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٥٠ م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج١/ ٣٠٥-٣١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م، ج١/ ٥٠٤، ٥٠٥.

(٢) الديوان: ص ٣٠.

فَقَـالُـوا قَفَـا الشَّيْـخِ إنَّ المُلُـو كَ إذَا أَخْطَـأَتْ سُـوقَـةٌ أَدَّبُـوهَـا[1]

وهجاه ابن منير عندما رآه قد ربط يده بمنديل بعد أن عضَّته قطة. قال:

عَتِبْـتُ عَلَـى قِـطٍّ مَلِـكِ النُّحَـاةِ وَقُلْـتُ أَتَيْـتَ بِغَيْـرِ الصَّـوَابْ
عَضَضْـتَ يَـدَاً خُلِقَـتْ لِلنَّـدَى وَبَـثِّ العُلُـوم وَضَـرْبِ الـرِّقَـابْ
فَـأَعْـرَضَ عَنِّـي وَقَـالَ اتَّئِـدْ أَلَيْـسَ القِطَـطُ أَعَـادِي الكِـلاَبْ[2]

وقيل هذه الأبيات لفتيان الشاغوري[3]، وقيل لأبي الوحش[4].

وصفوة القول أن ابن منير احتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره، حتى غدا شاعراً كبيراً، وعلماً من أعلام الشعر في زمانه، واستطاع أن يخوض غمار ميادين الشعر، وأن يفوز بقصب السبق في كل ميدان، ولولا سلاطة لسانه، وشدة تعلقه بفن الهجاء، لدخل تاريخ الأدب من أوسع أبوابه.

وفاتـه:

تجمع كتب المصادر على أن وفاة ابن منير كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسماية، في يوم الأربعاء، العشرين من الشهر المذكور. إلا أن هنالك قلة من الذين ترجموا له، خالفوا عن الإجماع، فبعضهم قال: «توفي سنة خمسين وخمسماية»[5] وقد علق على ذلك محقق كتاب الخريدة بقوله: «لم أجد في كتب التراجم ما يساعد على هذا التحديد إلا أن يكون وهم أراد قبل، فكتب بعد»[6].

---

(١) الديوان: ص ٣١.
(٢) معجم الأدباء ج٢/ ٨٧٢.
(٣) معجم الأدباء ج٢/ ٨٧٢.
(٤) انظر: ديوان ابن منير ص ١٢٥.
(٥) انظر الخريدة قسم شعراء الشام ج ١ ق١/ ٧٦.
(٦) نفسه: ج١ ق١/ ٧٦.

وأقول رداً على قول المحقق، لو كان العماد يريد كتابة قبل، فكتب بعد، لما كرر قوله بوفاة ابن منير سنة ٥٥٠هـ في موضع آخر. حيث يقول: «وكنت أنا بالعراق أسمع أخبارهما -يعني ابن منير وابن القيسراني- ثم اتفق انحداري إلى واسط سنة اثنتين وخمسين وخمسماية، فانحدر بعض الوعاظ الشاميين إليها... فسألته عنهما، فأخبر بغروب النجمين، وأفول الفرقدين، في أقرب مدة من سنتين، وكانت وفاة القيسراني قبله سنة ثمان وأربعين وخمسماية»[١].

وقد ردّ «سبط بن الجوزي» على صاحب الخريدة قائلاً: «وذكره العماد في الخريدة -يعني ابن منير- وقال كان شاعراً مجيداً هجاءً... إلاّ أنه قال: مات ابن منير بعد سنة خمسين وخمسماية، قلت: وهم، والصحيح ما ذكره ابن عساكر، وابن القلانسي، أن ابن القيسراني مات سنة ٥٤٨هـ»[٢]، وقال ابن القلانسي: «كلاهما مات في سنة ٥٤٨هـ»[٣].

ومن الذين خالفوا: ابن تغري بردي، فقد ذكره في وفيات سنة «٥٤٥هـ» قائلاً: «وفيها توفي أحمد بن منير، الأديب، أبو الحسين الطرابلسي الشاعر»[٤].

وهذا وهم واضح لسببين: أنه ولد للملك العادل نور الدين ولد سنة «٥٤٦هـ بحمص وهنأه ابن منير به»[٥]. وصحب ابن منير نور الدين حين فتح أنطرسوس سنة (٥٤٧هـ) وهنأه بالفتح بالقصيدة التي أولها:

أَبَـداً تُبَـاشِـرُ وَجْـهَ غَـزْوِكَ ضَـاحِكـاً وَتَـؤوبَ فِيـهِ مُـؤَيَّـداً مَنْصُـورَا[٦]

(١) انظر: الخريدة ج١ ق١/ ٧٩. ديوان ابن منير ص ٧٩، ٨٢.
(٢) مرآة الزمان ج٨ ق١/ ٢١٨.
(٣) انظر: ذيل تاريخ دمشق: ص ٤٩٨.
(٤) النجوم الزاهرة ج٥/ ٢٩٩.
(٥) انظر الروضتين ج١ ق١/ ٥٠.
(٦) انظر الروضتين ج١ ق١/ ٢١٦.

وأما الذين قالوا بأنه توفي «في حدود سنة أربعين وخمسماية»[1] فلم يقصدوا بذلك تحديد سنة «٥٤٠هـ» وإنما عنوا عقد الأربعينات، وهذا يدخل ضمن سنة «٥٤٨هـ».

ومما تقدم يحرو بنا أن ألّا نقيم كبير وزن لرواية من قال: إنه توفي سنة «٥٤٧هـ» اعتماداً على ما قرأ في ديوان أبي الحكم المغربي[2]، إذ لربما وقع في الديوان تصحيف أو خطأ في النسخ أو النقل.

وأما مكان وفاته، فقد اتفقت المصادر على أنه توفي بحلب في دار «ابن عسرون» وما ورد عن ابن خلكان، من أن ابن منير كانت وفاته بدمشق كما قرأ في ديوان أبي الحكم المغربي، فهذا وهم، وقد سوّغ ذلك ابن خلكان بعد أن ذكر أن وفاته كانت بحلب ثم قال بدمشق. فقال: «فعساه أن يكون قد مات بدمشق، ثم نقل إلى حلب فدفن فيها»[3].

وأقول: إن ابن منير توفي بحلب، ودفن بها، ولم يدخل دمشق آنذاك لأنه كان مع جيش «نور الدين» الذي قفل عائداً من حصار دمشق سنة «٥٤٨هـ» إلى حمص، ثم ارتأى ابن منير أن يذهب بصحبة العسكر إلى حلب، حيث عاوده المرض إلى أن توفي بها[4].

وأما عن سبب الوفاة فقد روى ابن العديم: «... أنه أكل تيناً أخضر وجلس في الشمس ففصد في الحال، وورم وجهه، وبقي إلى يوم الأربعاء، العشرين من جمادى الآخرة، وتوفي إلى رحمة الله وصُلي عليه بالجامع، ودفن بظاهر باب

---

(١) انظر الأنساب ج١/ ٣٠٣، روضات الجنان الخوانساري ج١/ ٢٦٤.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ج١/ ١٦٠، الغدير ج٢/ ٣٣٦.

(٣) وفيات الأعيان ج١/ ١٦٠.

(٤) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ١٠١. مرآة الزمان ج٨ ق١/ ٢١٨. بغية الطلب ج٣/ ١١٥٦. مختصر تاريخ دمشق ج٣/ ٣٠٦. سير أعلام النبلاء ج٢٠/ ٢٢١. عيون التواريخ ج١٢/ ٤٦٧. الوافي بالوفيات ج٦ ق٨/ ١٩٤. الغدير ج٤/ ٣٣٢.

قنسرين بالقرب من تربة مشرق، قلت يعني مشرق بن عبد الله العابد»[1]. ثم قام الحكيم بن نافع بن أبي الفرج بن نافع بنبش قبره، ونقل عظامه، وحوّل قبره إلى سفح «جبل جوشن»[2]، بالقرب من مشهد الحسين، وقبره الآن ظاهر، هناك. والذي دفع الحكيم لتحويل قبره خوفه أن يسحق القبر أو يُدرس، عندما حرر السلطان الملك الظاهر خنادق حلب ووضع التراب على المقابر القريبة»[3].

وقد ذكر ابن العديم أنه ساعة احتضر ابن منير نظم بيتين من الشعر، وأوصى أن يُكتبا على قبره، فنقشا على أحجار قبره، وهما:

مَنْ زَارَ قَبْرِي فَلْيَكُنْ مُوقِناً ... أَنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ يَلْقَاهُ

فَيَرحَمِ اللَّهُ امرأً زَارَنِي ... وَقَالَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ[4]

وذكر ابن خلكان وابن رجب الحنبلي أنهما زارا قبر ابن منير، ووجدا مكتوباً عليه البيتان الآنفا الذكر[5].

ولم يسلم ابن منير من خصومه، حتى بعد وفاته، فقد رثاه أبو الحكم المغربي بأبيات هزلية سبقت الإشارة إليها.

وعن أحوال ابن منير بعد الموت، كما ورد عند بعض من ترجم له فـ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] ولا يستطيع أحد أن يحكم أو يتكهن بدخول الجنة أو النار لنفسه أو لغيره، إلا خالقهما العزيز الجبار. ومن هذا المنطلق فقد ترددت في الكتابة عن أحوال ابن منير بعد الموت، إلا أن طبيعة البحث العلمي تقتضي أن يكتب الباحث كل ما ذكر عن الموضوع الذي يعالجه.

---

(١) بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣.

(٢) جبل جوشن: جبل في غربي حلب، ومنه كان يُحمل النحاس الأحمر، وفيه مقابر ومشاهد للشيعة. انظر معجم البلدان، مادة «جوشن».

(٣) بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣.

(٤) انظر: بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣، البيت الثاني منكسر الوزن.

(٥) انظر: وفيات الأعيان ج١/ ١٥٩. شذرات الذهب ج٤/ ١٤٧.

ذكر ابن عساكر أنه وجد بخط «إبراهيم بن محمد القيسي» وكان صديقاً لابن منير، وعنده اختفى لما اختبأ في مسجد الوزير، أن أبا محمد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماة قال: «رأيت ابن منير الشاعر بعد موته في النوم، وأنا على قُرنة بستان مرتفعة فسألته عن حاله، وقلت له اصعد إلى عندي، فقال: ما أقدر من رائحتي، فقلت: أتشرب الخمر؟ قال: شراً من الخمر يا خطيب، فقلت ما هو؟ قال: تدري ما جرى عليّ من هذه القصائد التي قتلها في مثالب الناس، فقلت له: ما جرى عليك منها: فقال: لساني قد طال، وثخن، وصار مد البصر، وكلما قُرئت قصيدة منها صارت كلاباً يتعلق بلساني، وأبصرته حافياً، عليه ثياب رثّة إلى غاية، وسمعت قارئاً يقرأ من فوقه ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ثم انتهيت مرعوباً»[1].

وقد أورد ابن العديم ما هو أكثر هولاً، وأعظم فزعاً، فقال: «حكى لي أبو طالب القيم وكان شيخاً مسناً عندنا بحلب، وكان أولاً قيماً بالمسجد الجامع بحلب، قال: لما مات ابن منير، خرجنا جماعة من الأحداث نتفرج بمشهد الخف، فقال بعضنا لبعض قد سمعنا أنه لا يموت من كان يسب أبا بكر، وعمر -رضي الله عنهما- إلا ويمسخه الله في قبره خنزيراً، ولا نشك أن ابن منير كان يسبهما، فأجمع رأينا على أن نمضي إلى قبره تلك الليلة، وننبشه لنشاهده. قال لي: فمضينا جميعاً، ونبشنا قبره، فوجدنا صورته صورة خنزير، ووجهه منحرف عن القبلة إلى جهة الشمال، وكان معنا ضوء فأخرجناه على شفير قبره ليشاهده الناس، ثم بدا لنا فأحرقناه، ووضعناه في القبر، وأعدنا التراب عليه، هذا معنى ما حكاه لي أبو طالب القيم والله أعلم»[2].

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ١٠١، وعنه أخذ سبط بن الجوزي، انظر مرآة الزمان ج٨/ ٢١٨، وابن العديم بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣، وابن خلكان وفيات الأعيان ج١/ ١٥٩، والكتبي، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٧١، والصفدي، الوافي بالوفيات ج٦ ق٨/ ١٩٦.

(٢) بغية الطلب ج٣/ ١١٦٤.

وقد أنكر صاحبا الغدير، وأعيان الشيعة مثل هذه الرؤيا، وما ذكره ابن العديم وعدَّاها مختلفة، بسبب تحاملهم على ابن منير للعداوة الدينية[1].

وقولي في ذلك، أن ابن منير قد نظم في أخريات حياته شعراً في الجهاد وتعبئة الأمة لدحر الغزاة الصليبيين، ما عُدّ من نفائس شعر العصر، وإخال أن ذلك علامة من علامات التوبة، ومظهر من مظاهر حسن الخاتمة، وحسبنا قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

لذا أستبعد مثل هذه الرؤى بعد أن التزم شاعرنا خط الجهاد مع نور الدين زنكي.

---

(١) انظر الغدير ج٤/ ٣٣١، أعيان الشيعة ج١٠/ ١٤٧.

الفصل الثاني

الديوان، موضوعات شعره

الشِّـــعْـر

الديـوان:

أشار الأقدمون من مؤرخي القرنين السادس والسابع الهجريين، إلى وجود ديوان مخطوط لابن منير، فقال ابن العديم (ت ٦٦٠هـ): «ووقع إليّ نسخة من شعر ابن منير بخط أبي المكارم عبد الوهاب بن سالم بن أبي الحسن، وبخطه في آخره وجدت على ظهر الأصل المنقول منه هذا الديوان»(١).

وذكر أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ): أنه قرأ في ديوان ابن منير: «وقرأت في ديوان ابن منير الطرابلسي من قصائد يمدح بها نور الدين»(٢).

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): إن له ديوان شعر(٣). وكذا قال بعض المتأخرين من مؤرخي القرن الثامن والحادي عشر الهجريين، منهم الذهبي (ت ٧٤٨هـ)(٤) واليافعي (ت ٧٦٨هـ)(٥)، والحر العاملي (ت ١٠٠٨هـ)(٦) والخوانساري(٧).

وقد ذكر العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ) وجود ديوان لابن منير، ولكنه لم يتفق له أن رآه. يقول: «ولم يتفق لي ديوانه لأختار مختاره، وأقتار مشتاره، وأجني من روض حسنه، وردهُ وبهاره، ورنده، وعراره»(٨).

---

(١) بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣.
(٢) الروضتين ج١ ق١/ ٥٠.
(٣) انظر وفيات الأعيان ج١/ ١٥٦.
(٤) انظر العبر في أخبار من غبر ج٤/ ٣٠.
(٥) انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٣/ ٢٨٦.
(٦) انظر أمل الآمل ق١/ ٣٥.
(٧) انظر روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات ج١/ ٢٦١.
(٨) خريدة القصر ج١ ق١/ ٧٨.

كما تناقلت المراجع خبر ديوانه، وأكدت وجوده، منها ما ذكره الزركلي: «له ديوان شعر»[١]، ومحمد راغب الطباخ «ابن منير صاحب الديوان المعروف»[٢]، وعمر رضا كحالة: «من آثاره ديوان شعره»[٣]. وعبد الله حبيب نوفل: «له ديوان شعر كبير الحجم غير مطبوع»[٤].

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم التوصل إلى وجود النسخة المخطوطة من ديوان ابن منير في مكتبة الأمبروزيانا في مدينة ميلانو الإيطالية تحت رقم ٢١٠، ولم يتسن لي الحصول على نسخة منه رغم كثرة المحاولات[٥].

وقد طبع شعر ابن منير لأول مرة في الكويت سنة ١٩٨٢م، تحت عنوان «شعر ابن منير الطرابلسي» جمعه وحققه وقدم له الدكتور سعود محمود عبد الجابر في مطبعة دار القلم، الكويت، ولقد كانت لي عليه مجموعة من الملحوظات أوجزها فيما يلي:

*** المنهج:**

- اتبع المحقق المنهج العلمي الصحيح المتبع في جمع الدواوين وتحقيقها، وقد وضح طريقته في تناول شعر ابن منير، وكيفية التعامل معه[٦].

---

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩، ج١/ ٢٦٠.

(٢) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ الحلبي صححه وعلق عليه محمد كمال دار القلم، حلب، ج٤/ ٢٢٠.

(٣) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م، ج١/ ١٨٤.

(٤) تراجم علماء طرابلس وأدبائها. عبد الله حبيب نوفل، مطبعة الحضارة/ طرابلس ١٩٢٩ م، ص ١٦.

(٥) قمت بالاتصال مع مكتبة الأمبروزيانا بالتعاون مع مركز الوثائق والمخطوطات الأردنية. وطلبت منهم المخطوط. وجاء الرد بالسلب ثم اتصلت بهم هاتفياً غير مرّة. ثم أرسلت كتاباً بواسطة الفاكس، وجاء الرد بأن التكلفة باهظة جداً.

(٦) انظر: كتاب «شعر ابن منير الطرابلسي» د. سعود محمود عبد الجابر. الصفحات ٣١، ٣٢، حيث يوضح طريقته في المنهج المتبع في التحقيق مفصلاً.

- كان اعتماد المحقق على المصادر التي ترجمت للشاعر، ولم تتح له فرصة الإطلاع على المخطوط.

*** مصادر التخريج:**

لم يتتبع المحقق مصادر تخريج الأبيات من مظانها المتعددة، فقد كان يكتفي بمصدر واحد غالباً، لذا فقد وجد النقص في المادة الشعرية المجموعة، وذلك لتفرد بعض المصادر بأبيات من شعر الشاعر دون غيرها، والأمثلة كثيرة أجتزىء منها:

الأبيات الواردة في الصفحة ١٠٥ المقطوعة ذات الرقم ٤٨ التي أولها:

لَا وَحَبِيَّـــك لَا عَبَـــدْتُـــكَ سِـــرّاً لَيْـلُ صَـدْغَيْـكَ صَيَّـرَ اللَّيْـلَ ظُهْـرَاً

ذكر المحقق أن تخريج الأبيات من كتاب الخريدة ج١/ ٧٩، ٨٠، في حين أننا نجدها أيضاً في وفيات الأعيان ج١/ ١٥٨، ونهاية الأرب ج٢/ ٧٩، وعيون التواريخ ج١٢/ ٤٧٠، والغدير ج٤/ ٣٣٤.

مثال آخر: الأبيات الواردة في الصفحة ١٣٣ المقطوعة ذات الرقم ٥٦ التي مطلعها:

يَـا حَـائِـزاً غَـايَ كُـل فَضـلٍ تَضِـلُّ فِـي كُنْهِـهِ الإِحَـاطَـهْ

خَرّجها من كتاب أعيان الشيعة ١٠/ ٢٤٧، ٢٤٨، في حين أنها توجد أيضاً في معجم الأدباء ج١٦/ ٣٢، والغدير ج٤/ ٣٣٦.

مثال آخر: الأبيات الواردة في الصفحة ٩٣ المقطوعة ذات الرقم ٤٠ التي مطلعها:

الْيَـومَ نُـورَ حَبِيـبِ الـدَّجـن مَـزْرُورُ والطَّـلُ مُنْتَظَـمٌ والظِّـلُ مَنْشُـورُ

خَرّجها من عيون التواريخ ج١٢/ ٤٦٩-٤٧٠. في حين أنها توجد أيضاً في التذكرة الفخرية ص ٤٠٠، ٤٠١.

* القراءة الخاطئة لبعض الأبيات:

وردت عند المحقق بعض القراءات الخاطئة لبعض الأبيات، فمن ذلك:

مثال: في صفحة ٤٣ المقطوعة ذات الرقم ١٠ ورد البيت التالي:

لَا تُغَـــالِطِنـــي فَيمـــا تَخْـ ـفَـــي عَـــلاَمَـــاتُ المُـــرِيـــبِ

ورد الخطأ في (فيما) والصحيح (فما) وورد الخطأ في (تخفي) والصحيح (تخفى).

مثال آخر: الأبيات الواردة في الصفحة ٤٧ المقطوعة ذات الرقم ١٤ ورد البيت التالي:

تَجَلَّـــى لَهَـــا حَيْـــدَرِيُّ المَصَـــا عِ أَغْلَـــب مُـــودٍ بِغِـــلاَبِهَـــا

الخطأ (بغلابها) والصحيح (بغِلاّبها).

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ٨٣ صفحة ١٧٥ البيت التالي:

وَأَبْـــتَ بكَلْبِهِـــمْ فِـــي الكَبُـــولِ مُبَـــاحَ الحَـــرِيـــمِ مُـــذَالَ الحَـــرَمْ

الخطأ (وأبت) والصحيح (دَأَبْتَ).

* الفهم الخاطىء لبعض الأبيات:

مثال: وجد لدى المحقق فهم خاطىء لبعض لأبيات، فمن ذلك:

الأبيات ذات الرقم ٣٥ من الصفحة ٨٥ ورد البيت التالي:

يَـومَـاً يَـزِرِكَ جَـوْفَ عِـرْقَـةَ مَعْلَمـاً جَـــوْنُ لَـــهُ خَلْـــفَ الـــدُّرُوبِ أَوَارُ

فسر المحقق جون: بقوله الجون الأبيض والجون الأسود من الخيل والإبل، وهذا فهم خاطىء. والصحيح الجون: هو جون عرقة: وهو ضاحية من ضواحي طرابلس[1].

---

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في معرض الحديث عن نسبه.

مثال:

المقطوعة ذات الرقم ١٥ صفحة ٥٥ البيت التالي:

طَيَّـانَ خَـفَّ السَّـرحَ طَـالَ زَئِـرُهُ نَطَـقَـتْ سُطَـاكَ لَـهُ فَطَـالَ صُمَـاتُـهُ

فسر المحقق السرح: موضع بالشام عند بصرى. وهذا لا يستقيم مع المعنى العام للبيت والصحيح: السرح المال السائم يسام في المرعى من الأنعام. انظر اللسان مادة سرح.

وهناك خطأ في القراءة (خفّ) والصحيح (خلف).

* عدم الضبط الصحيح لبعض الأبيات:

لم يعتن المحقق بضبط الأبيات، وقلّما تجد ضبطاً لبيت أو لبعض الأبيات.

والسمة الغالبة عدم اهتمام المحقق بالضبط والأمثلة كثيرة منها:

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٩ صفحة ٤١ البيت التالي:

وأَحْكِـمْ بـالخَطيـمِ لَهُـمْ خُطَـامَـاً أَمَـرَّ بِـرَيمـهِ مُـرّ الضِّـرابِ

الخطأ (وأَحْكِمْ) والصحيح (وأَحْكَمَ).

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٢١ صفحة ٧١ البيت التالي:

وَسَـوَاعِـدُ ضَـرَبَـتْ بِهِـنَّ وبِـالقَنَـا مِـنْ دُونِ مِلَّـة أَحمَـدَ الأَسْـدَادُ

الخطأ (ضَرَبَتْ) والصحيح (ضُرِبَتْ).

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٨٦ صفحة ١٧٨ البيت التالي:

مَحمـودُ المَحْمُـودُ جـداً وجـداً أَرْخَـصَ جَلـدْ الأَرْضِ حُكـم عَـامِهـا

الخطأ (جداً وجداً) والصحيح (جِدَّاً وجِدَاً).

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٢١ صفحةالبيت التالي:

تَـدْأَى ومِـنْ وَحِـيْ الكُمـأةِ صُفُـورهـا فَـالـزَّحـر قَيـدْ والنَّـدىَ قِيَـاد

الخطأ (صُفورها) والصحيح (خُمورها).

الخطأ (النَّدى) والصحيح (النِّداء).

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٢٣ صفحة ٧٣ البيت التالي:

أَبَـداً تَنْكُـبُ عَـنْ ضَـلالٍ سَـادِراً بِثُقُـوبِ زَنْـدِكَ أَوْ تَـدُل عَلَـى هُـدَى

الخطأ (تَنْكُبُ) والصحيح (تُنكِّبُ).

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٩٤ صفحة ١٩٢ البيت التالي:

هَـمَ قُسْطَنْطِيـنُ أَن يفـرعهـا وَمَضَـى لَـمْ يَحْـوِ مِنْهـا قسـط طِيـنْ

الخطأ (يفرعها) والصحيح (يَفْرَعَهَا).

وقد ترك المحقق أبياتاً كان ينبغي عليه ضبطها لأنه ليس من السهل التكهن بمعرفة الضبط الصحيح لها. والأمثلة كثيرة مثال:

المقطوعة ذات الرقم ٧٣ صفحة ١٥٨ البيت التالي:

أخـرسـت شقشقـة الضـلال وقـدتـه قـود الـذلـول أطـاع بعـد صيـال

فقد ترك البيت من غير ضبط.

والضبط الصحيح هو:

أَخْـرَسْـتَ شَقْشَقَـةَ الضَّـلاَلِ وَقُـدْتَـهُ فَـوْدَ الـذَّلُـولِ أَطَـاعَ بَعْـدَ صِيَـالِ

*** الأخطاء المطبعية والتصحيفات:**

كَثُرت الأخطاء المطبعية في هذه الطبعة، كما كثرت التصحيفات، فمن ذلك:

في صفحة ٤١ المقطوعة ذت الرقم ٩ ورد البيت التالي:

فـأَشْـرَف وهُـو عَـنْ شَـرَفٍ معـوقٍ وَأَصْعَـد وَهُـوَ غَـايَـةُ الإنضبـابِ

الخطأ وجود همز في كلمة (الإنضباب) والصحيح عدم وجودها (الانضباب).

مثال: صفحة ٤٣ المقطوعة ذات الرقم ١٠ ورد البيت التالي:

أيْـــنَ ذَاكَ البِشْـــرُ يَـــا مَـــوْلَا لَايَ مِـــنْ هَـــذَا القُطُـــوبِ

الخطأ المطبعي مولالاي والصحيح مولاي.

مثال آخر:

هامش رقم «١» تخريج الأنباء في صفحة ٧٨ المقطوعة ذات الرقم ٢٩: ورد خطأ مطبعي في التخريج حيث قال: الخريدة ج٢/ ٦٧٧، ٦٧٨. وهذا خطأ والصحيح كتاب الروضتين ج٢/ ٦٧٧، ٦٧٨.

مثال آخر:

في الصفحة ٩٧، المقطوعة ذات الرقم ٤٣ ورد البيت التالي:

القَلْبُ أنْتَ فَإنْ تَعامَى عَنْ هَوَىً عُضْوٌ أَهَابَ بِهِ فَعَادَ بَصِيرَا

الخطأ (هوىً) والصحيح (هُدَىً).

مثال آخر:

في الصفحة ٩٨، المقطوعة ذات الرقم ٤٣ ورد البيت التالي:

إقْلِيدَهَا كَانَتْ وَقَدْ أُعْطِيَتَهُ واسْأَلْ بِهِ مِمَّنْ دَهَتْهُ خَبِيرَا

الخطأ (أعطيته) والصحيح (أنطيته).

مثال آخر:

في الصفحة ١٥٤، المقطوعة ذات الرقم ٦٩ ورد خطأ في ترتيب الأبيات: الخطأ (١٦، ١٦، ١٧) والصحيح ١٦، ١٧، ١٨).

«والأخطاء المطبعية كثيرة لمن أراد أن يتقصاها».

ولعل من متطلبات التحقيق العلمي أن يقوم المحقق بشرح معاني المفردات وتوضيحها وهذا ما لم نجده عند المحقق، فقد ترك صفحات كاملة دون أن يوضح أي مفردة ومن الأمثلة على ذلك انظر الصفحات: «٤٦، ٥٧، ٥٩، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ٩٧، ١٠١، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٦».

وفي سنة «١٩٨٦م» قام الدكتور «عمر عبد السلام تدمري» بجمع شعر ابن منير من بطون المصادر والمراجع، فاستقصى معظم المصادر والمراجع التي ترجمت له، إلى أن توفر لديه قرابة «١٨٠٠» بيت من الشعر. فجمعها في كتاب سماه «ديوان ابن منير الطرابلسي». ويمكن أن ألخص ملحوظاتي على عمله بما يلي:

* **المنهج:**

- نقل المحقق أشعار ابن منير من المصادر القديمة، مصدراً مصدراً، وحين كان يفرغ من الأشعار الواردة في مصدر ينتقل إلى ذكر الأشعار الواردة في غيره، وهكذا فترتب على ذلك تكرار الأبيات في غير موضع، وذلك لورود بعض الأبيات في مصادر متعددة.
- لم يعتمد الباحث على نسخة مخطوطة في تحقيق الديوان، واكتفى بجمع شعر ابن منير من المصادر والمراجع القديمة، وهذا العمل يفتقر إلى الخطوة الأساسية في عملية التحقيق.

* **مصادر التخريج:**

استقصى الباحث معظم المصادر التي ترجمت لابن منير، لذا، فقد كان يوثق كل بيت من مصادره، وهذه طريقة جيدة.

* **القراءة الخاطئة لبعض الأبيات:**

وقع الباحث في بعض القراءات الخاطئة، فمن ذلك:

مثال: الأبيات ١٥، ١٦، ٣١، من المقطوعة ذات الرقم ٦٥ صفحة ١٥٣ ورد ما يلي:

١٥- أَنَا ذُو المَالِ يا بَني البَظْرِ لَاخَا لِـــي وَلَا ضَيْعَتِـــي وَلَا نِسْيَـــانِـــي

ورد الخطأ في (خالي، نسياني) والصحيح (خاني، بستاني).

١٦- لَا وَلَا زُرْمَتِـي تُحـلُّ وَلَا زمـ ـتِـي مُسْتَبْعِضَـاً وَلَا كِنَـانِـي

ورد الخطأ في (رمتي، كناني) والصحيح (زيتي، كتّاني).

٣١- يـا أُمنِيَتَيـن تَهْجُمـانِ عَلـى المَـوْ تَـى تُحْيِـي قَبْـسَ وَارِدِ عُمَـانِ

ورد الخطأ في (امنيتين، تحيي، وارد) والصحيح (أَمِيَنين، بِجُبّي، وَأَزْدِ).

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٠٣ صفحة ٢٣٤ البيت التالي:

مَحمُـود المحْمُـودُ جَـدّاً وجِـدَّاً أَرْخَـصَ جَلـد الأَرْضِ حُكـم عَـامِهَـا

الخطأ (وجدّاً) والصحيح (وجِدَا)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٠٩ الصفحة ٢٤٨ البيت التالي:

أسـرتُـه لا مَنَعـتْ سُـراهُ وعَـزّه بـالقَـاعِ إِنَ رَامَ الـوُرُود سَـرَابَـهُ

الخطأ (وعزّه) والصحيح (وغَرَّهُ)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٢٣ الصفحة ٢٦٢ البيت التالي:

تَـدأَى وَمِـنْ وَحْـي الكُمَـأةِ صُفُـورُهـا فَـالـزَّجْـرُ قَيْـدٌ والنَّـدَى قِيَـادُ

الخطأ (صفورها) والصحيح (خُمورها)

الخطأ (الندى) والصحيح (النِّداء).

* عدم الضبط الصحيح لبعض الأبيات:

من الملاحظ أن الباحث لم يعتن بضبط الأبيات بالشكل السليم، بل إنه ترك كثيراً من الكلمات دون ضبط، ولا تكاد تخلو صفحة من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

المقطوعة ذات الرقم ١٠٣ صفحة ٢٣٥ البيت التالي:

وامْتَـكَ مَـاءُ «مَكَّـةَ» رواضـع يقصـر بـاع الـدهـرِ عَـن خِطَـامِهـا

الخطأ (وامْتَكَ) والصحيح (وامْتَكَّ)

الخطأ (رواضع) والصحيح (رَوَاضِعٌ) والخطأ (يقصر) والصحيح (يَقْصُرُ)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٢٣ صفحة ٢٦٢ البيت التالي:

لَـمْ يَبْـقَ مُـذْ أَرهَفَـتْ عَـزمـكَ دَونَـه عَـــدد يَـــراعَ بِـــهِ ولَا اسْتعَـــدادُ

الخطأ (عدد) والصحيح (عَدَدٌ)

مثال آخر: من المقطوعة نفسها:

وسَـواعِـدُ ضَـرَبَـتْ بِهِـنَّ وبـالقَنَـا مِـــنْ دُونِ مِلَّـــةِ أحمَـــد الأسْـــدَاد

الخطأ (ضَرَبتْ) والصحيح (ضُرِبَتْ)

أخـرسـت شقشقـة الضـلال وقـدتـه قـود الـذلـول أطـاع بعـد صيـال

فقد ترك البيت من غير ضبط.

والصحيح هو الضبط التالي:

أَخْـرَسْـتَ شَقْشَقَـةَ الضَّـلَالِ وَقُـدْتَـهُ فَـوْدَ الـذَّلُـولِ أَطَـاعَ بَعْـدَ صِيَـالِ

«والأمثلة على ذلك كثيرة».

* **الأخطاء المطبعية والتصحيفات**، فمن ذلك الجدول التالي الذي يبين جزءاً منها وليس حصراً لها:

رقم الأبيات	رقم الصفحة	رقم البيت	الخطأ	الصواب
٣٠	١١٨	٨	غرّطنّ	غَرَّ طَنَّ
٦٥	١٥٣	٢٤	سرموتي	سُرّ مَوْتي
٧٧	١٩٠	٦	فاستصحدا	فاستحصدا
٨٤	٢٠١	٣٤	مُشحاً	محشاً
٩٨	٢٢٥	٦	زُبَر	ذُبَر
١٠٨	٢٤٥	١٤	نشورا	نسورا
١١٠	٢٤٩	٨	تعترف	تعترق
١١٣	٢٥١	٨	انتشار	انتثار
١١٦	٢٥٥	١٨	إقراماً	إقداماً
١٢١	٢٥٩	١٢	وأنت	دأبت

* الاستدراكات:

على الرغم من حرص الباحث على جمع أكبر عدد ممكن من شعر ابن منير، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال اتكائه على عدد كبير من المصادر والمراجع، فإنني أثبت في نهاية هذا البحث ما يقارب (٢٠٠) مئتي بيت من الشعر لم ترد عند الباحث.

وجدير بالإشارة أن الدكتور «تدمري» قد استدرك على الدكتور «سعود» بقرابة ثلاثماية بيت زد على ذلك ما أثبتُّهُ في ملحق هذه الدراسة من أشعار لم ترد عند المحقَّقَينِ، بلغت عدتها مئتي بيت. وبذلك، يكون عدد الأبيات التي استدركت على الدكتور «سعود» قرابة خمسماية بيت.

ومما يؤخذ على الباحث أنه اعتنى بتوثيق الأبيات على حساب توضيح المفردات الصعبة، فقلّما تجد تفسيراً وتوضيحاً لمفردة أو لفظ صعب. بل إن هنالك صفحات مليئة بالكلمات والمفردات الصعبة. أعرض الباحث عنها ولم يوضحها مثال ذلك:

الصفحـــــــات: «٨٢-٨٧، ٩٢-٩٦، ١٠٤/١٠٨، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٤٦-١٤٨، ١٥٢-١٥٩، ١٦١، ١٦٥-١٦٧، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١-٢٠٤... الخ».

وما قام به الدكتور تدمري يحتاج إلى جهد كبير كما أن تناوله للأبيات من حيث التخريج كان أكثر دقة من طبعة الديوان السابقة وأشد استقصاءً.

الشعر «دراسة موضوعيّة»

ظهرت مخايل النجابة على ابن منير منذ طفولته، فأقبل على العلم آخذاً من كل فرع بطرف، إلى أن ظهرت ميوله الأدبية، فنظم الشعر في وقت مبكر، وأجاد فيه إلى أن غدا علماً من أعلامه، يؤكد ذلك أسامة بن منقذ في سياق حديثه عن ابن منير بقوله: «كل فن من فنون الشعر يقصده، يستولي على محاسنه، وفنونه ويُحرز أبكار معانيه وعونه»[1].

وقد برع في فنون الشعر كلها، واستحوذ على أبواب الشعر، هذا ما أشار إليه في بعض أشعاره، فقد قال:

فَهَنيئـاً لِمَـنْ هَجَـوْتُ وَمَـنْ أَمَـ ـدَح إنْ ضُمِّـنَ اسْمُـهُ دِيَـوانِـي[2]

وازداد إعجاب الشاعر بنفسه، وأخذ يتغنى مُفتخراً بها. يقول:

أَنَـا مَـنْ إذَا مَـا الـدَّهْـرُ هَـمَّ بِخَفْضِـهِ سَـامَتْـهُ هِمَّتُـهُ السِّمَـاكَ الأَعْـزَلَا
وَاعٍ خِطَـابِ الخَطْـبِ وَهُـو مُجَمْجِـمٌ رَاعٍ أَكَـلَّ العِيـسِ مِـنْ عَـدَمِ الكَـلاَ[3]

لقد تنوعت الأغراض الشعرية التي نظم بها ابن منير، وسأستعرض هذه الأغراض مبتدئاً بأكثرها شيوعاً في شعره، ثم الذي يليه وهكذا.

---

(١) بغية الطلب ج٣/ ١١٥٨.
(٢) الديوان: ص ١٥٧.
(٣) نفسه: ص ١٠٤.

شعْرُ الجِهَاد

يُـعد شعر الجهاد غرضاً أصيلاً في شعر ابن منير، وقد احتلّ هذا الغرض مكاناً بارزاً في ديوانه، حتى أصبح له المقام الأول بين سائر الفنون التي أبدع فيها ابن منير، ولا غرو في ذلك، فقد كان دخول الفرنج بلاد المسلمين، واستيلاؤهم على بيت المقدس، باعثاً على قول هذا اللون من الشعر، وهو يرى تدمير البلاد، وضياع قبلة المسلمين الأولى، فهاله ما سمع من أفاعيل الفرنج، وسقوط البلاد والحصون الشامية في يد الصليبيين، وما صحبها من مجازر بشعة اقترفها الصليبيون عندما دخلوا بلادنا.

كان شعر هذه الفترة ينبعث بصدق وإخلاص لأنه يعبر عمّا كان يختلج في نفوس الشعراء من بغض الأعداء، ورغبة ملحة في طردهم من بلاد المسلمين، وكانوا يعبرون في الوقت نفسه عن أماني الأمة الإسلامية، وتطلعاتها في استعادة بلادها، ومقدساتها.

وإزاء هذه الظروف الجسام التي أحاطت بأمة الإسلام، كان لزاماً على شاعرنا أن يُكثر من الشعر الجهادي، بل إن الجهاد أصبح عنواناً لشعره، بعد أن رأى في عماد الدين زنكي ما لم يعهده في غيره من الحكام. فقد تزعم ردة الفعل الإسلامي القوية للغزو الصليبي، وهو الذي بعث الآمال الخابية في نفوس المسلمين.

ومضى شاعرنا في ركب الجهاد بالكلمة التي تُذكي في القلب نار الحماسة، وبالفعل الذي يؤرّق مضاجع الصليبيين، فعمل تحت لواء عماد الدين زنكي، ثم تحت لواء نور الدين زنكي، الذي يمثل أمل أمة، وتطلعات جماعة، والذي اشتدت حاجة المسلمين إلى مثله، بعد أن بلوا من سوء الحكام، وأنانيتهم ما أذلهم، وأفقدهم أرضهم وأوطانهم[1].

(١) انظر: د. محمود إبراهيم: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني. المكتب الإسلامي دمشق. مكتبة الأقصى/ عمان، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م: ص ١٥٥، ١٥٦.

لقد ساير شعر الجهاد الحروب الصليبية، وسجّل أحداثها، ودوّن الشعراء الأحداث البارزة قبل أن يتناولها المؤرخون. فتحدث الشعراء -ومنهم ابن منير- عن انتصارات المسلمين، وعن الهزائم التي لحقت بأعدائهم، وخلدوا بأشعارهم عظماء المسلمين ممن كان له باع في مقارعة الصليبيين، وفي الوقت نفسه، هجوا المتخاذلين والمتقاعسين من الأمراء، والسلاطين، ورثوا الذين ماتوا أو استشهدوا من أبطال المسلمين أمثال عماد الدين زنكي، وابنه سيف الدين غازي أمير الموصل، الذي سيأتي الحديث عنه في الرثاء والتعزية.

كما وصفوا المعارك التي وقعت بينهم وبين أعدائهم، وتحدثوا عن الأسلحة التي استعملت فيها، وهكذا، جاء شعر الجهاد عندهم صورة للواقع، وتعبيراً عمّا يختلج في صدور الناس، وقد سمت مكانة الشعر الجهادي في هذه الفترة على الأغراض الشعرية الأخرى، وربما لا أجد نفسي مغالياً إذا زعمت أن ثلثي ما وصلنا من شعر ابن منير هو من هذا الصنف، فقد أحصيت ما يقارب ١٢٠٠ بيت من الشعر معظمها تصب في معين شعر الجهاد وموضوعاته. ومن موضوعات شعر الجهاد عند ابن منير.

الدعوة إلى الجهاد والتحرير:

عشية الزحف الصليبي على بلاد الشام، غدا جسد المسلمين مترهلاً، وفي هذه الظروف العصيبة، أخذت تتعالى صيحات المخلصين من أبناء الأمة ممن أبصروا عواقب الأمور، وأيقنوا أن الجهاد هو السبيل الوحيد، والدواء الناجع.

وكان الشعراء ومنهم ابن منير يدعون الأمة، ويستنهضون هممها وعزائمها، فمن ذلك ما قاله شاعرنا ابن منير:

اللهُ أَحْـوطُ لِلْعُـلَـى مِـنْ أَنْ يَـرَى ... سَاحَاً مُعَطَّـلَـةً وَسرْجَـاً مُـهْـمَلا[1]

(١) الديوان: ص ١٠٨.

ففي هذا البيت إشارة واضحة إلى أن الجهاد مُعطّل، وأن الناس قد عزفوا عنه، وأهملوه، لانشغالهم بالدنيا وملذاتها. فجاءت صرخة ابن منير هذه الدعوى لأولئك الذين يرغبون في هدوء الحياة، ويفتشون عن راحة الفكر، ونعمة البال على حساب الكرامة، يدعوهم إلى الجهاد والمقاومة.

في سنة «٥٤٦هـ» حاصر نور الدين زنكي مدينة دمشق، لأن أهلها عاضدوا الفرنج واستنصروهم، فمدحه ابن منير بقصيدة حرضه فيها على الجهاد وفيها يدعو ابن منير نور الدين إلى جهاد الخونة ممن عطلوا الجهاد، وتواطؤوا مع الفرنج ضد المسلمين، يقول:

أَخَلِيفَةَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَتْ لَهُ تَصْدِيقَ وَاصِفِهِ سُرَاةُ المَنْبَرِ
صَفِّرْ بِحَدِّ السَّيْفِ دَارَ أَشَائِبٍ عَقَلُوا جِيَادَكَ عَنْ بَنَاتِ الأَصْفَرِ[1]

وقد تعرض للحكام الذين أعطوا الدنية في دينهم، ووصفهم بالنفاق، فهم يستحقون القتل في الدنيا، والنار يوم القيامة. فيطلب من نور الدين أن يُشمّر عن ساعديه وأن يُعمل السيف في رِقابهم يقول:

هُمْ شَيَّدُوا صَرْحَ النِّفَاقِ وَأَوْقَدُوا نَاراً تَحُشُّ بِهِم فِي المَحْشَرِ
شَمِّرْ فَقَدْ مَدَّتْ إِلَيْكَ رِقَابَهَا لَا يُدرِكُ الغَايَاتِ غَيرُ مُشَمِّرِ[2]

وفي سنة «٥٤٧هـ» مدح نور الدين، وهنأه بفتح انطرسوس[3]، ويحمور[4] بقصيدة مطلعها:

---

(١) الديوان: ص ٢٢٨.

(٢) نفسه: ص ٢٢٩.

(٣) أنطرسوس: وهي بلد من سواحل بحر الشام. ذكر ياقوت أنها كانت آخر أعمال دمشق وأول أعمال حمص وهي شرقي عرقة. انظر معجم البلدان مادة أنطرطوس وذكر الدكتور تدمري أنها مدينة طرطوس حالياً وهي بين جبلة وطرابلس على الساحل. انظر الديوان: ص ٢٤٥.

(٤) يحمور: لم أهتد إلى تحديد موقعها، والظاهر أنها يحمول: وهي قرية مشهورة من قرى حلب. انظر معجم البلدان مادة «يحمول».

أَبَداً تُباشِرُ وَجْهَ غَزْوِكَ ضَاحِكَاً وَتَؤُوبُ مِنْهُ مُؤَيَّداً مَنْصُوراً[1]

يبين الشاعر أن الفرنج أصابهم الغرور، وأخطأوا عندما ظنوا أنهم في مأمن من سيف نور الدين، لذا، فهو يطلب منه أن يدمر الأرض من تحتهم يقول:

إنَّ الأُولَى أَمِنوا وِقَاعَكَ بَعدَهَا غُرُّوا وَقَدْ رَكِبُوا الأَغَرَّ غُرُورَا

أَلْقِ العَصَا فِيمَنْ أَطَاعَ ومَنْ عَصَى مِنْهُم وَدَمِّرْ أَرْضَهُمْ تَدْمِيرَا

لا يُلْهِهِمْ أَنْ قَدْ مَنَنْتَ وشُنَّهَا شَعْواءَ تَصْلي الكَافِرِينَ سَعِيراً[2]

وقد برزت الدعوة إلى تحرير بيت المقدس عند ابن منير، لما له من مكانة سامية في عقيدتنا الإسلامية؛ فهو قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين، وهي الأرض المباركة التي وصفها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فارتباطنا بها ليس مجرد ارتباط شعب بتراب يعيش فوقه، بل قاعدة أرضية مقدسة من قواعد الإسلام لا تقوم مقامها أرض في الدنيا بأسرها[3].

ومن شعر ابن منير في الدعوة إلى تحرير بيت المقدس، ما قال يمدح به عماد الدين زنكي ويهنئه بفتح الرّها[4] سنة «٥٣٩هـ» في قصيدة مطلعها:

بِعِمادِ الدِّينِ أَضْحَتْ عُرْوَةُ الدِّ ينِ مَعْصُوباً بِها الْفَتْحُ المُبِينْ

ومنها:

وَغَداً يُلْقِي عَلَى القُدْسِ لَهَا كَلْكَلٌ يَدْرُسُهَا دَرْسَ الدَّرِينْ

(١) الديوان: ص ٢٤٤.

(٢) الديوان: ص ٢٤٦.

(٣) انظر: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني: ص ١٤٤.

(٤) الرّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ. انظر معجم البلدان مادة «الرّهاء».

هِمَّـــةٌ تُمسِـــي وتُضْحِـــي عَـــزْمَـــة لَيـسَ حِصْـنٌ إنْ نَحَتْـهُ بِحَصِيـن[1]

ونلاحظ أن الشاعر يربط بين الرّها، التي هي من أعظم المدن عند النصارى وأعظمها محلاً وهي إحدى الكراسي عندهم، إذ إن أشرفها بيت المقدس، ثم أنطاكية، ثم رومية، ثم قسطنطينية والرها[2]، وبين بيت المقدس، فيعبر عن فرحته باسترداد الرها من الفرنج، ويدعو نور الدين إلى تحرير بيت المقدس، حتى تكتمل فرحة المسلمين بالنصر.

وفي موضع آخر نرى الشاعر يمدح نور الدين، ثم يشيد بجهاده المتصل ليله بنهاره، ويدعو الله أن يبقيه سنداً وذخراً لهذا الدين، ثم يختم القصيدة بالدعوى إلى تحرير بيت المقدس، فيصوّر عيسى -عليه السلام- قد لجأ إلى سيف نور الدين يستنصره لتطهير بيت المقدس من دنس الفرنج. يقول:

فِـــدَاكَ مَـــنْ صَـــامَ وَمَـــنْ أَفْطَـــرا وَمَـــنْ سَعَـــى سَعْيَـــكَ أَو قَصَّـــرَا

وَمَـــا الْـــوَرَى أَهْـــلاً فَتُفْـــدَى بِهِـــمْ وَهَـــلْ يُـــوازِي عَـــرَضٌ جَـــوْهَـــرَا

ومنها:

جِهَـــادُ لَيْـــلٍ فِـــي نَهَـــارٍ فَفُـــزْ إِذْ كُنْـــتَ فِيـــهِ الأَصْبَـــرَ الأَشْكَـــرَا

أَبْقَـــاكَ لِلدُّنْيَـــا ولِلـــدِّيـــنِ مَـــنْ خَـــلاّكَ فِـــي لَيْلِهِمـــا نَيِـــرّا

حَتَّـى نَـرى عِيسَـى مِـنَ القُـدْسِ قَـدْ لَجَـا إِلَـى سَيْفِـكَ مُسْتَنْصِـرَا[3]

وفي سنة «٥٤٦هـ» حاصر نور الدين دمشق لمعاضدة حاكمها الفرنج، واستنصاره بهم، وقال ابن منير قصيدة يمدح فيها نور الدين ويحرضه على قتاله، ويدعوه أن يحرر المسجد الأقصى، وأن يطهره من دنس علوج الفرنج، يقول:

---

(١) الديوان: ص ١٩٩-٢٠١. الدرين: حطام المرعى القديم اليبيس. انظر لسان العرب مادة «درن».

(٢) الروضتين ج١ ق١/ ٩٤.

(٣) الديوان: ص ٢٠٦.

أَخَليفَـةَ اللَّـهِ الَّـذِي ضَمِنَـتْ لَـهُ تَصْـدِيـقَ وَاصِفِـهِ سُـرَاةُ المَنْبَـرِ

إلى أن يصل إلى قوله:

يَـا هَضَبَـةَ الإِسْـلاَمِ مَـنْ يُعْصَـمْ بِهـا يُـؤْمِـنْ وَمَـن يَتَـوَلَّ عَنْهَـا يَكْفُـرِ

كَـانُوا عَلَى صَلْبِ الصَّلِيبِ سُرَادِقاً أَنْبَـتَ بُنَيَّتَـهُ بِكُـلِّ مُـذَكَّـرِ

آثَـارُهُـمْ نَجَـسٌ أَذَالَ الْمَسْجِـدَ الْـ أَقْصَـى فَصُـنْ مَـا دَنَّسُـوهُ وَطَهِّـرِ

جَـارَ الخَلِيـلُ وَمَـنْ بِغَـزَّةَ هَـاشِـمٍ بِلِهَـامِـكَ[1] المُتَـدَمْشِـقِ المُتَمَصِّـرِ[2]

وتمثل هذه الأبيات صرخة استغاثة جسّدها الشاعر على لسان مدينة خليل الرحمن، ومدينة غزة هاشم، وهما يئنان ويجأران إلى الله من ظلم الفرنج، ويستجيران بنور الدين وجيشه العظيم.

ومن قصيدة أخرى بالمناسبة نفسها، يربط الشاعر بين دمشق والقدس، وكأنه يريد أن يذكر نور الدين بالهدف الأكبر من حملته الجهادية، المتمثل في تحرير بيت المقدس، يقول:

دِمَشْق دِمَشْق إِنَّما القُدْسُ سَرْحَة[3] وَمَـرْكَـزُهَـا صَـرْحٌ عَلَيْهَـا مُمَـرَّدُ

حَمُوهَا لِكَيْ يَحْمُوا وَقَدْ بَلَغ المَدَى بِهِـم أَجَـلٌ حَتْـمٌ وعُمْـرٌ مُحَـدَّدُ

مَتَـى أَنَـا رَاءٍ طَـائِـرَ الفَتْـحِ صَـادِحَـاً يُـرَفْـرِفُ فِـي أَرْجَـائِهَـا ويُغَـرِّدُ[4]

وفي سنة «٥٤٧هـ» نزل نور الدين على حصن أنطرسوس، وافتتحه، وقتل من كان فيه من الإفرنج، ومنح الباقين الأمان، فأنشده ابن منير قصيدة، مدحه بها وهنأه بهذا الفتح. ثم نلمس الدعوة لتحرير الأقصى ظاهرة. يقول:

---

(١) بلهامك: اللهم: الابتلاع، واللهام الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء. انظر لسان العرب مادة «لهم».

(٢) الديوان: ص ٢٢٨-٢٣١.

(٣) سرحة: سرح سرحاً وسروحاً، خرج بالغداة، وقيل شجرة عظيمة طويلة، انظر لسان العرب مادة «سرح».

(٤) الديوان: ص ٢٣٣.

وتُـريـكَ لَامِعـةُ التَّـريـكِ بِسَـاحَـةِ الْـ أَقْصَـى مُطَهَّـرة لَهَـا تَطْهِيـرَا[1]

مما تقدم، نجد أن شاعرنا لا يكاد يترك حدثاً يقع إلا ويتخذ منه مجالاً للدعوة إلى تحرير بيت المقدس، والدعوة إلى الجهاد واستنهاض الأمة لاسترداد الديار والأمصار من الفرنج الكفار.

الدعوة إلى وحدة الأمة:

أيقن ابن منير أن الوحدة، والأخذ بأسباب القوة سبيان من أسباب النصر، ولا يمكن للأمة أن تعود لسالف مجدها وهي في حالة من الفرقة والتشرذم، فلا بدّ من توحيد القوى الإسلامية ضد الصليبيين، وذلك بتوحيد البلاد تحت راية واحدة، يحكمها حاكم واحد يقود جيشاً إسلامياً قوياً، يقول في قصيدة بعثها إلى نور الدين زنكي وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ يحرضه على قتال صاحبها «مجير الدين» ويُعَرِّضُ به، ويطلب من أهل دمشق أن يسارعوا إلى الانضمام إلى جيش نور الدين الذي دانت له الشام، وأن يفروا إليه لأنه هو الذي حقق الانتصارات الكبيرة على الفرنج، يقول:

وقـل «لِمُبِيـرِ الـدِّيـن» وهـو مُجِيـرُهُ بِـزَعْـم لَـهُ وَجْـهَ الحَقِيقَـةِ أَزْبَـدُ

تَنَصَّـرْتَ أُمَّـاً بَـلْ تَمَجَّسْـتَ وَالِـداً وَعَمَّـاً فَعِـرْقُ الْكُفْـرِ فِيـكَ مُـرَدَّدُ

ثم يقول:

إِلَيكُـمْ بَنِـي العِـلاَّتِ عَـنْ مُتَشَـاوِسٍ لَـهُ «الشَّـام» مَـرْفَـا و «العِـرَاقُ» مَـرْفَـدُ

وَمَـا مِصْـرُ إِلّا بَعْـض أَمْصَـارِهِ الَّتِـي إِلـىَ أَمْـرِهِ تَسْعَـى قَمَـاءً[2] وَتَحْفِـدُ[3]

(١) الديوان: ص ٢٤٦، انظر: مجلة المورد العدد الأول، المجلد الحادي عشر ربيع ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م. ص ٨.

(٢) قماء: قمأ الرجل وغيره قماءً وقماءةً: صغر وذلّ في الأعين. انظر لسان العرب مادة «قمأ».

(٣) حفد: حفد الرجل ونحوه: حفداناً: خف وأسرع في العمل. انظر لسان العرب مادة «حفد».

أَنِيبُـوا إِلَيْـهِ فَهُـوَ أَرْحَـمُ قَـادِرٍ لَهُ الصَّفْحُ دِينٌ واقْبَلُوا النُّصْحَ تَرْشَدُوا
وَفِـرُّوا إِلَـى مَـوْلَاكُـمُ الَّـذِي لَـهُ عَلَيْكُمْ أَيَادٍ وَسْمُهـا لَيْسَ يُجْحَدُ[1]

وفي الأبيات السابقة دعوة صريحة لوحدة الأمة تحت قيادة قوية، تتمثل في نور الدين زنكي، الذي يرى فيه الشاعر صفات القائد القوي الحليم الراشد، الذي له أيادٍ بيضاء على الرعية لا يجحدها إلا كل كافرٍ مارق. فقد طوع البلاد تحت إمرته.

ويعبر ابن منير عن إيمانه بالقوة سبيلاً لتحرير الأرض، ودحر الغزاة، حين مدح نور الدين بقصيدة سنة «٥٤٤هـ» بعد استيلائه على حصن «أنب» إذ يُعدُّ شاعرنا نور الدين نموذجاً للبطل القوي، بل رمزاً للقوة التي تحقق الظفر على الأعداء. يقول:

تَـرَكُـوا مُشَـاجَـرَةَ الـرِّمَـاحِ لِحَـاذِقٍ جَعلَـتْ مَخَـافَتُـه القُصُـورَ قُبُـوراً
لِـرَبِيـبِ حَـرْبٍ لَـمْ تَـزَلْ فِعْـلاَتُـهُ كَـالـرَّاءِ يَلْـزَمْ لِفْظُهَـا التَّكْـرِيـرَا
أَسَـدٌ إِذَا مَـا عَـادَ مِـنْ ظَفَـرٍ بِمُفْـ ـتَـرِسٍ أَحَـدّ لِمِثْلِـهِ أُظْفُـوراً[2]
يَتَنَـاذَرُ الأَعْـدَاءُ مِنْـهُ سَطْـوَةً مِـلءَ الـزَّمَـانِ تَـغَيُّظَـاً وَزَفِيـراً
عَـرَفُـوا لِنُـورِ الـدِّيـنِ وَقْـعَ وَقَـائِعٍ وَفَّـى بِهـا الإِسْـلاَمُ أَمْـسَ نُـذُورَا
أَبَـداً يُظَـافِـرُكَ القَضَـاءُ عَلَـى الَّـذِي تَبْغِـي فَتَـرْجِـعَ ظَـافِـراً مَنْصُـوراً[3]

وتفصح الأبيات عن حقيقة مؤداها، أنه ما كان لأمة الإسلام آنذاك أن تتوحد لولا مخافة نور الدين الذي تهابه، وتخشاه، وتعلم أنه لا يُقَدِّمُ على وحدة الأمة شيئاً، ولا يُحابي أحداً ولو كان ذا قُربى، وما كان لهذه الانتصارات أن تتحقق على أرض الواقع، لولا إيمان نور الدين بالقوة سبيلاً لتحقيق النصر. وما كان للفرنج أن يندحروا عن بلادنا كاسفين مقهورين، لولا أنهم لاقوا من القوة ما ليس لهم به قبل.

---

(١) الديوان: ص ٢٣٢.

(٢) اظفورا: مادة قرنية في أطراف الأصابع، أظافير، وأظافر. انظر: اللسان مادة «ظفر».

(٣) الديوان: ص ٢١٨.

وفي أبيات من قصيدة يمدح فيها نور الدين، يذهب ابن منير إلى أن قوة السلاح من لوازم النصر. يقول:

وأَنْتَ السَّيْفُ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ... وَلَا شَحَذَتْ مَضَارِبَهُ القُيُونْ

تَرَقْرَقُ فَوْقَ صَفْحَتِهِ الأَمَانِي ... وَيَقْطُرُ مِنْ غَرَارِيهِ المَنُونْ

وَقَبْلَكَ مَا سَمِعْتُ بِذِي فَقَارٍ ... يَبِيرُ الفَقْرَ كَانَ وَلَا يَكُوْن

وَلَا غَيْثٌ سَمَاوَتُهُ سَرِيرٌ ... وَلَا لَيْثٌ وِسَادَتُهُ عَرِيْن[1]

ومما يعزز مفهوم القوة والإيمان، أن الشاعر استهل قصائده بمطالع تمجد القوة وتُعلي شأنها. يقول بعد فتح حصن «أفامية»[2] سنة «٥٤٤هـ» مخاطباً نور الدين.

أَسْنَى المَمَالِكَ مَا أَظَلَّتَ مَنَارَهَا ... وَجَعَلْتَ مُرْهَفَةَ الشِّفَارِ دِسَارَهَا[3]

ثم مطلع القصيدة التي مدح فيها نور الدين وهنأه بفتح حصن «إنب»[4] سنة «٥٤٤هـ» يقول:

خَنَسَ الثَّعَالِبُ حِينَ زَمْجَرَ مُصَحِرٌ ... مَلأَ البِلَادَ هُمَاهِمَاً وَزَئِيْراً[5]

ومطلع القصيدة التي أنشدها بُعيد استيلاء نور الدين على «دُلُوك»[6] سنة «٥٤٥هـ»:

هِيَ الخَيْلُ خَيرُ عَتَادِ الكَرِيـ ... ـمِ يَحْضُرُ لِلْهَمِّ إِحْضَارَهَا[7]

(١) الديوان: ص ٢٣٦.

(٢) أفامية: مدينة حصنية من سواحل الشام، وكورة من كور حمص. انظر معجم البلدان مادة «أفامية».

(٣) الديوان: ص ٢١٥، دسارها: الدسار: المسامير: وقيل الشريط من الليف الذي يشد بعضه ببعض، انظر اللسان مادة «دسر».

(٤) إنب: حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب. انظر معجم البلدان مادة «إنّب».

(٥) الديوان: ص ٢١٨.

(٦) دُلُوك: بليدة من نواحي حلب انظر معجم البلدان مادة «دلوك».

(٧) الديوان: ص ٢٢٦.

وقصيدة يمدح فيها نور الدين، ويذكر انتصاراته في مواقع عديدة، كإنب وهاب، وحارم، وإنطاكية، وعزاز. يقول:

أَيَـا سَيْفَـاً أَعَـزَّ الـدِّيْـنَ فِيـهِ الـ ـغِـرارُ العُضْـبُ[1] والنَّـوْمُ الغِـرَارُ[2]

ومن قصيدة أخرى يقول:

عَـزَّتْ سُيُـوفَـكَ فَـالْعِـرَاقُ عِـرَاقُهـا وَالشَّـامُ غَيـرُ مَـدافِعَـاتٍ شَـامَهـا[3]

إن اختيار الشاعر لهذه المطالع التي تتسم بقوة اللفظ، وجزالة الجرس الموسيقي، يتناسب مع جو القصيدة المفعم بمعاني القوة التي ارتضاها الشاعر أسلوباً للتعبير عن حاجة الأمة إليها، إذ لا كرامة، ولا مجد لمن يفتقدها، وما هذه القوة التي ينشدها الشاعر إلا ثمرة من ثمار الوحدة التي كرّس جهده لها.

*** صورة البطل:**

افتخر الشاعر العربي في كل عصوره بالبطل الظافر، ووجد في بطولته معيناً على شاعريته، فهو الذي حقق الانتصارات، وطرد العدو، وأخذ بالثأر فشفى به صدور قومه، وكان عماد الدين زنكي وابنه نور الدين من أشهر أبطال تلك الفترة، وكان نور الدين أكثر حظاً في الشهرة من أبيه، ساعده على ذلك عدة أمور من أهمها:

طول مدة حكمه، وحرصه على لحاق العدو بنفسه، وقوة شخصيته، وشدة تعلقه بالله تعالى وخشيته له، فهابته الملوك، وخافه العدو.

ولقد رسم ابن منير صورة للبطل تجمع في جوانبها الصورة المثلى للقائد المسلم، والحاكم المسلم، صورة تتجسد فيها الصفات الحسية، والفضائل المعنوية، فمن صفات البطل عند ابن منير أنه:

---

(١) العضب: عضب السيف عضوبا: صار قاطعاً. انظر اللسان مادة «عضب».

(٢) الديوان: ص ٢٥١.

(٣) نفسه: ص ٢٥٥.

أ- **القائد المجاهد**: إذ يصور بطله أنه صاحب عزيمة لا تلين أمام الأعاصير، فهو مجاهد قوي حازم شجاع، والشواهد الشعرية على هذه الصورة كثيرة، أجتزىء منها ما يلي، يقول في عماد الدين:

صِفَـاتُ مَجْـدِكَ لَفْـظٌ جَـلَّ مَعْنَـاهُ فَـلاَ اسْتَـرَدَّ الَّـذِي أَعطَـاكَـهُ اللَّـهُ

يَـا صَـارِمَـاً بِيَمِيـنِ اللَّـهِ قَـائِمُـهُ وَفِـي أَعَـالِـي أَعَـادِي اللَّـهِ حَـدَّاهُ[1]

وفي فتح الرها، يصفه بقوله:

مُنِيَـتْ مِنْـهُ بِلَيْـثٍ قَـائِـدٍ بِعَـرَانِ الـذُّلِّ آسَـادِ العَـرِيـنِ

زَارَهَـا يَـزْأَرُ فِـي أُسْـدٍ وَغَـى تُبـدِلُ الأُسْـد مِـنَ الـزَّأْرِ الأَنِيـنْ[2]

ومن صور الجهاد أن البطل جريء في اقتحام حصون الأعداء، ولا يتركها إلا وهي محطمة، ويصاحب هذه الجرأة خفة وحركة تباغت العدو، يقول:

صَـدَمْتَهُـمْ بِـأَرْعَـنَ مُـرْجَحَـنَّ كَـأَنَّ مَطَـارَ أَنْسُـرِهِ غَمَـامُ

وأَيَّـةُ لَيْلَـةٍ لَـمْ تَلْـفِ فِيهـا لَهُـمْ طَيْفَـاً يَـرُوعُ بِـهِ مَنَـامُ[3]

وفي موضع آخر يقول:

مَـلأْتَ جَـوانِـحَ الأَقْطَـارِ رَجْفَـاً كَـأَنَّ الأَرْضَ خَـامِـرَهَـا دَوَارُ

تُحَـرِّقُ مَـنْ عَصَـاكَ وَأَنْـتَ مَـاءٌ وَتُغْـرِقُ مَـنْ رَحَـاكَ وَأَنْـتَ نَـارُ

تُبَـادِرُهُ كَـأَنَّ المَـوْتَ غُتْـمٌ ومَـا مِـنْ عَـادِةِ البَـدْرِ البِـدَارُ[4]

والبطل عند شاعرنا يجاهد احتساباً وبدافع الغيرة على هذا الدين وإرضاءً لرب العالمين. يقول:

---

(١) الديوان: ص ١٩٥.

(٢) نفسه: ص ١٩٩.

(٣) الديوان: ص ٢٤٩.

(٤) نفسه: ص ٢٥١، ٢٥٢.

وَهَبَبْتَ لِلإِسْلامِ وَهوَ مُصَوّح فَاهْتَزَّ أَهْضَابٌ وَرقَّ نُجُودْ[1]

ويقول:

يا ابْنَ الَّذِي لَمْ يَأْلُ فِي نَجْدَةِ الْـ إِسْلَامِ إِدْلَاجاً وَتَهْجِيرَا[2]

ويقول:

غَضَباً لِدِينِ اللَّهِ خَصَّ جَنَاحَهُ بَغْياً وأَدْمَى صَفْحَتَيْهِ لِدَامَها[3]

وتجلو الأبيات صورة البطل، وقد هبّ للذود عن الإسلام وأهله، لا يخشى في الله لومة لائم، فانقادت له البلاد رغباً ورهباً. وقد ورث هذه الغيرة على الدين كابراً عن كابر.

وقد أجاد ابن منير عندما صور بطله نور الدين عقب فتح حصن أفامية سنة «٥٤٤هـ» فوصفه بالماهر في القتال، الذي تفتحت عيناه على الحرب، ومصارعة الأعداء، فغدا أسداً بعد أن نشأ شبلاً، وهو الذي تخشاه الأعداء، وهو ذو همة وعزيمة لا تفتر، ومن هذه الأبيات:

تَرَكُوا مُشَاجَرَةَ الرِّمَاحِ لِحَاذِقٍ جَعَلَتْ مَخَافَتُهُ القُصُور قُبُوراً[4]

ب- **المقتدي بالسلف**: والبطل نور الدين يترسم خطى السلف الصالح، فهو الذي أحيا العدل بعد أن كان ميتاً في دنيا الناس، وأنقذ دين الله بعد أن كادت الأصنام تطغى عليه، واستطاع أن يعيد للأمة الإسلامية سالف مجدها. يقول:

أَيَا مُحْيِيَ العَدْلِ لَمَّا نَعَا هُ أَيَامَى البَرَايَا وَأَيْتَامهَا

وَمُسْتَنْقِذَ الدِّينِ مِنْ أُمَّةٍ أَزَالَ المَحَارِيبَ أَصْنَامَهَا[5]

---

(١) الديوان: ص ٢٤١.

(٢) نفسه: ص ٢٥٧.

(٣) نفسه: ص ٢٥٥. اللدم: اللطم والضرب بشيء ثقيل يُسمع وقعه. انظر اللسان مادة لدم.

(٤) الديوان: ص ٢١٨.

(٥) نفسه: ص ١٩٥.

والشاعر يعيد للذاكرة صوراً عاشها الصحابة مع رسول الله -ﷺ- فيشبه معاركه بفتوحات النبي عليه السلام ثم يصفه بأنه أعاد للمسلمين أمجاد النصر في بدر، وأحد، والتفّ الناس حوله، تاركين أوطانهم وأهليهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، يلبون داعي الجهاد لاسترداد البلاد من الفرنج، فانضم إليه أهل البلاد المستردة يناصرونه، ويؤازرونه، فالتقى الفريقان، المهاجرون والأنصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجدد الإسلام في نفوس الناس بعد أن كاد يزول. ويشبه انتصارات نور الدين. وبطولاته بعقد ثمين يزين عنق الدهر مدى الحياة. يقول:

أَعَـــدْتَ بِعَصْـــرِكَ هَـــذَا الأنِيـ ـــقَ فُتُـــوحَ النَّبِـــيِّ وَأَعصَـــارَهَـــا
فَـــوَاطَـــأْتَ يَـــا حَبَّـــذَا «أُحُـــدَيْهَـــا» وَأَسْـــرَرْتَ مِـــنْ بَـــدْرِ أَنْـــوَارَهَـــا
وَكَـــانَ مُهَـــاجِـــرُهَـــا تَـــابِعِيـــكَ وَأَنْصَـــارُ رَأيِـــكَ أَنْصَـــارَهَـــا
فَجَـــدَّدْتَ إِسْـــلاَمَ سَلْمَـــانِهَـــا وَعَمَّـــرَ جَـــدُّكَ عَمَّـــارَهَـــا
وَصُغْـتَ حُلَـى مِـنْ عُـلاً أُحْكِمَـتْ عَلَـى عَنِـقِ الـدَّهْـرِ أَزْرَارَهَـا[1]

كما صورت الأبيات «نور الدين» البطل النموذج، الذي اشتدت حاجة المسلمين إليه فجمع بين الرجولة ورجاحة العقل، وحسن الخلق، إذ أنه استطاع أن يضم المسلمين جميعاً، وأن يُجند طاقاتهم لخدمة هذا الدين، ومقاتلة الفرنج. وبناء الأمجاد التي تعيد للأمة الإسلامية مكانتها بين الأمم.

ومن مظاهر الاقتداء بالسلف أنه تقيّ يخشى الله في خلواته، عابد، زاهد، بعيد عن اللهو والترف، دائم الذكر لله نهاراً، والقيام لله ليلاً، كثير الصدقات، يستمع للرعية بكل تواضع. يقول:

يَقْظَـانَ يَخْشَـى اللَّـهَ فِـي خَلَـوَاتِـهِ لَا مُتْـــرَفٌ لَاهٍ وَلَا جَبَّـــارُ[2]

(١) الديوان: ص ٢٢٧، ٢٢٨.
(٢) الديوان: ص ٢٢٤.

مَلِـكٌ تَـنَـامُ عَـنِ الفَحْشَـاءِ هِمَّتُـهُ تُـقَـىً وَتَسْهَـرُ لِلْمَعْـرُوفِ عَيْنَـاهُ[1]

***

أَمَّـا نَهَـارُكَ فهْـوَ لَيْـلُ مُجَـاهِـدٍ وَاللَّيْـلُ مِـنْ طُـولِ القِيَـامِ نَهَـارُ[2]

***

لِسَـانٌ بِـذِكْـرِ اللَّـهِ يَكْسُـو نَهَـارَهُ بَهَاءً وَحَتَّى فِي الدُّجَى لَيْسَ يَرْقُدُ

***

وَبَـذْلٌ وَعَـدْلٌ أَعْـرَقَـا وَتَـأَلَّقَـا فَلاَ الوِرْدُ مَثْمُودٌ وَلَا البَابُ مَوْصُودُ[3]

إن القارىء لهذه الشواهد يُحس بأنه أمام أحد الخلفاء الراشدين، فقد صورت الأبيات، مآثر ومناقب البطل بواقعية وصدق، وهذا ما تؤكده كتب التاريخ والسير.

ومن مظاهر التأثر والاقتداء بالسلف أنه يسابق الصالحين بالعبادة، ويحافظ على النوافل، حتى صرن عنده لوازم، يقول:

كَـمْ سِيَـرةٍ أَحْيَيتَهَـا عُمَـرِيَّـةً رُفِعَـتْ لَهـا فِـي الخَـافِقَيْـنِ مَنَـارُ
وَنَـوَافِـلٌ صَيَّـرتَهُـنَّ لَـوازِمَـاً بِـأَقَلِّهَـا تُسْتَعْبَـدُ الأَحْـرَارُ
لَا زِلْـتَ تَقْفُـو الصَّـالِحِيـنَ مُسَـابِقَـاً لَهُـمُ وَتَطْلُـعُ خَلْفَـكَ الأَبْـرَارُ
نَفْسُ السِّيَـادَةِ زَهـد مِثْلُك فِي الَّذِي فِيـهِ تَفَـانَـتْ يَعْـرُبٌ ونِـزَارُ[4]

لم تقف الأبيات عند تشبيه البطل بأحد الخلفاء الراشدين -عمر بن الخطاب- في سيرته، وعدله ومآثره وحسب، بل قدمت لنا صورة للحاكم المسلم الذي يتصف بخلال لا تجدها إلا في الأنبياء، حتى أمسى الأبرار، والصالحون، والزهاد،

(١) الديوان: ص ١٩٥.
(٢) نفسه: ص ١٩٢.
(٣) نفسه: ص ١٨٩.
(٤) نفسه: ص ١٩٢.

يتطلعون إليه علهم يلحقون به.

حُقّ لابن منير أن يصف بطله نور الدين بكل هذا. فقد وصفه غيره بقوله:

«السلطان الملك العادل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط نور الدين... سيد ملوك الشرق والغرب وسلطانها، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، ناصر دولة أمير المؤمنين»[1] وقد نقل ابن الجوزي عن ابن الأثير قوله في نور الدين: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمة من قبل الإسلام إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من نور الدين، ولا أكثر تحرياً للعدل، والإنصاف منه...»[2].

ج- **راعي المسلمين**: كان نور الدين راعياً للمسلمين، ودينهم وأموالهم، وجه اهتمامه لبناء مجتمع إسلامي قوي متماسك ليجابه به العدو الصليبي، فجعل من نفسه رقيباً عليها، فباستقامته استقامت الرعية، وبنى دولة قوية آمنة، وادعة مستقرة، أضحى المسكين فيها عزيزاً، والمتغطرس الجبار ذليلاً يقول:

مَلَكْتَ والأرْضَ مُغْبَرَّةً ... تَكَادُ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

فَمَا زِلْتَ تَدْجُنُ حَتّى مَحَوْتَ ... دُجَاهَا وَشَعْشَعْتَ أَنْوَارَهَا

وَصَلْتَ فَأَعْزَزْتَ مِسْكِينَهَا ... وصُلْتَ فَأَذْلَلْتَ جَبّارَهَا[3]

لقد بنى دولة عمها الأمن والرخاء، ثم يصوره بالأب الرحيم الذي يسير على رعاية أبنائه ويكلؤهم بعطفه وحنانه. فيقول:

دَوْلَةُ مَنْ دَانَتِ البِلاَدُ[4] لَهُ ... وَعَمَّهَا ظِلُّه فَأَغْنَاهَا[5]

---

(١) مرآة الزمان: ج٨ ق١/ ٣٢٣.

(٢) نفسه: ج١ ق١/ ٣٠٧.

(٣) الديوان: ص ٢٢٨.

(٤) في الديوان «البلد» وبه ينكسر وزن البيت، وصححته «البلاد» لإقامة الوزن.

(٥) الديوان: ص ٢٣٤.

لقد سعى نور الدين إلى توفير الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم، فعاشت الرعية بسلام، وأمان في دينها ودنياها. هذا ما عبّر عنه ابن منير بقوله:

أَمَّـا الـرَّعَـايـا فَـإِنَّهـا رَشَفَـتْ لَـدَيْـكَ نُعمـى عـذَبـاً ثَنَـايَـاهَـا
سَلَكْـتَ نَهْـجَ العَـدْلِ القَـوِيـمِ بِهَـا فَـاحُمَـدْتَ دينَهـا ودُنْيَـاهـا[1]

يحاول الشاعر أن يقدم لنا صورة المجتمع الآمن المطئمن، وكأن لسان حاله يقول؛ بأن نعمة الأمن والاستقرار ثمرة من ثمار العدل، وهذا يذكرنا بمقولة رسول كسرى، عندما جاء لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فرآه نائماً تحت ظل شجرة، من غير حراسة، على غير عادة الملوك والحكام. فقال له: حكمت فعدلت فأمنت فنمت، يقول ابن منير:

ثم أَلْبِسُوا عَدْلَكَ المُدَبَّج فَاخْتَالُوا بَنَـاتٍ فِـي وَشْيِـهِ وَبَنِينَـا
سَهِـرَتْ عَيْنُـكَ الكُلُـوءُ وَنَـامُـوا تَحْـتَ أَكْنَـافِ رَعْيِهَـا آمنِينَـا[2]

يركز الشاعر على إظهار صفة العدل في بطله فنراه يكررها في غير موضع بصور متعددة ولعل سبب ذلك تعطش الأمة لهذه الخصلة في الحكام، فقد عاش الناس قبل نور الدين وعماد الدين زنكي حياةً مضطربة، يسودها الظلم والجور، واتباع الهوى، إلى أن جاءت دولة آل زنكي، فقوّضت الظلم وبنيانه من القواعد، وأقامت بدلاً منه، ما يناسب الفطرة البشرية من القسط والعدل، يقول:

وَأَحَـقُّ مَـنْ مَلَـكَ البِـلادَ وَأَهْلَهَـا رَؤُوفٌ تَكْنَـفَ عَـدْلُـهُ أَقْطَـارَهَـا
فَـأَقَـرَّ ضَجْعَتَهَـا وَأَنْبَـتَ نَيَّهَـا وَأَسَـاغَ جُـرْعَتَهَـا وَأَثْبَـتَ زَارَهَـا[3]

كما رعى نور الدين المسلمين اقتصادياً، فأسقط المكوس، فلم يترك في بلد من

(١) الديوان: ص ٢٥٦.
(٢) نفسه: ص١٩٤.
(٣) نفسه: ص ٢١٥.

بلاده ضريبة، ولا مكساً، ولا عشراً، بل أطلقها -رحمه الله- جميعها في بلاد الشام والجزيرة جميعها... وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون ديناراً...»[1].

يقول ابن منير:

وَمَحَا المَظَالِمَ فِيْكَ نَظْرَةُ رَاحِمٍ ... لِلَّهِ فِي خَطَرَاتِهِ أَسْرَارُ

غَضْبَانَ لِلإِسْلامِ مَالَ عَمُودُهُ ... فَلِنُورِهِ مِمَّا عَرَاهُ نُوَارُ

وَجَذَمْتَ كُلَّ يَدٍ تُسَوِّر عن يَدٍ ... فَأَحَلْتَ ذَاكَ السُّورَ وَهْوُ سُوَارُ

لَمْ يَبْقَ مَاكِسٌ مُسْلم سَلِعاً وَلا ... سَاعٍ لِمَظْلَمَةٍ وَلَا عَشّارُ[2]

وكأن الشاعر هنا يريد أن يبين أن مسؤولية الحاكم المسلم، لا تقف عند عدم إيقاع الظلم أو الحيف على الرعية وحسب، بل تتعداها إلى إزالة المظالم التي أوقعها من سبقه من الحكام، فالحاكم أشبه بالطبيب الذي يستأصل كل خبيث يراه في مريضه أثناء العلاج، حتى ولو لم يطلب المريض منه ذلك.

ومن واجبات الحاكم المسلم إنشاء المؤسسات الاجتماعية التي ترعى المسلمين في حياتهم، في مسكنهم وملبسهم، ومأكلهم ومشربهم لذا فقد أنشأ نور الدين البيمارستانات، والمدارس، والمساجد، والخوانق، والرباطات وغيرها، ووقف الأوقاف على ما أنشأه من مؤسسات وذلك لتسيير شؤونها، يقول:

سَمَكْتَ المَدَارِسَ فَوقَ النُّجُومِ ... فَكَمْ مَنْجَمٍ تَحْتَهَا قَدْ نَجَمْ

وَعَاشَ الحَنِيفِيُّ وَالشَّافِعِيُّ ... بِمَا شِدْتَ مِنْهَا وَكَانَا رِمَمْ[3]

وبعد هذا كله، فالبطل عند ابن منير، صاحب مكانة عالية، فهو ليس كأي حاكم

---

(١) الروضتين ج١ ق١/ ١٤، انظر: مرآة الزمان ج٨ ق١/ ٣١٤.

(٢) الديوان: ص ١٩٢.

(٣) نفسه: ص ٢٥٩، انظر الديوان: ص ١٩٣، ٢٦٢.

أو أي ملك، لذا فصورة البطل عند ابن منير متميزة، قل أن يجود الزمان بمثله. بل يرفعه الشاعر فوق مرتبة الملوك، يقول:

الْمَلِكُ العَادِلُ لَفْظٌ طَابَقَ الـ ـمَعْنَى وَفِي الْوَصْفِ مَعَادٌ مُسْتَرَدْ
خَيْرَ النُّعُوتِ مَا جَرَى الْوَصْفُ عَلَى صَفْحَتِهِ جَرْيَ النَّسِيمِ فِي الوَمَدْ[1]
النَّاسُ أَنْتَ والمُلُوكُ شَرطٌ تُعَدُّ لَيْثاً ويُعَدُّونَ نَقَدْ
مِثْلُكَ لَا يَسْخُو بِهِ زَمَانُهُ ومِثْل مَا أُوتيتَ لَمْ يُؤْتَ أَحَدْ[2]

ويقول في عماد الدين زنكي بُعيد تحرير الرها سنة «٥٣٩هـ».

أَصْبَحْتَ دُونَ مُلوكِ الأرض مُنْفَرِداً بِلاَ شَبيهٍ إِذِ الأَمْلاكُ أَشْبَاهُ[3]

وما كان للبطل عند ابن منير أن ينفرد أو يتميز عن غيره من الملوك، والحكام، لولا همته العالية، وعزيمته الماضية. يقول:

همَمٌ تَحَجَّلَتِ المُلُوكُ ورَاءَهَا بِدَمِ العثَارِ وَمَا اقْتَفَتْ آثَارَهَا
وَعَزَائِمٌ تَسْتَوفِزُ الآسَادُ عَنْ نَهْشِ الفَرَائِسِ إِنْ أَحَسَّ أَوارَهَا[4]

ثم يرى الشاعر أنه لو مثل الإسلام ملك غير نور الدين لما تسنى له أن يفعل مثل ما فعل، وما حققه من انتصارات. يقول:

فَلَوْ قَدْ مَثَّلَ الإِسْلاَمَ شَخْصاً لَرَشَفَ مَا وَطِئْتَ مِنَ السَّلامِ[5]

ومما يدل على علو مكانته، مقارنته بغيره من الحكام، وبخاصة الحكام المتخاذلين، عن ذلك كتب ابن منير لنور الدين من حماة وهو محاصر دمشق

(١) الومد: ندى يجيء في صميم الحرّ من ناحية البحر مع سكون الريح، وقيل هو الحر أياً كان من سكون الريح. انظر اللسان مادة «ومد».
(٢) الديوان: ص ١٨٧، ١٨٨.
(٣) الديوان: ص ١٩٥.
(٤) نفسه: ص ٢١٦.
(٥) نفسه: ص ٢٦٥.

سنة «٥٤٦هـ» قصيدة ينال فيها من صاحبها مجير الدين، ويُعرض به، إذ يقول:

فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... بُيُوتاً عَلَى جَيْرُونَ بِالذُّلِّ تَعْمَدُ

وقُلْ لـ «مُبِيرِ الدِّينِ» وَهْوُ مُجِيرُهُ ... بِزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ

حَمَلْتَ الصَّلِيبَ بَاغِياً وَنَبَذْتَهُ ... وَثَغْرُكَ مَطْوُوسُ النَّبَاتِ وَأَدْرَدُ

وَحَارَبْتَ حِزْبَ اللَّهِ وَاللَّهُ نَاصِرٌ ... لِنَاصِرِهِ وَدِينُ أَحْمَدَ أَحْمَدُ

تَنَصَّرْتَ حِيناً والْبَلاَءُ مُوَكَّلٌ ... وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ تَتَهَوَّدُ[1]

هذه الأبيات يمكن أن نعدها من النقد السياسي الذي ظهر جلياً في شعر ابن منير في غير موضع. ويقول عن نور الدين في معرض مقارنته مع غيره من الملوك:

مُشَمِّراً وَبَنُو الإِسْلاَمِ فِي شُغْلٍ ... عَنْ بَدْءِ غَرْسٍ لَهُمْ أَثْمَارُ عُقْبَاهُ[2]

فهو يرى في البطل الرجل الكفء الذي يقوم بالأمر دون الرجوع إلى الخليفة، وفي هذا تعريض شديد بخليفة المسلمين. إذ يقول:

نَامَ الخَلِيفَةُ واسْتَطَالَ لِذِبِّهِ ... عَنْ سُدَّتَيْهِ واسْتُطِيرَ رُقَادُهُ[3]

ومن مظاهر تميز البطل، وعلو مكانته، عند ابن منير رجاحة العقل، وسداد الرأي، فهو كيّس فطن، زاده الله بسطة في العقل، وسداداً في الرأي. يقول:

تَجَرَّدْتَ لِلإِسْلامِ دُونَ مُلُوكِهِ ... تُبَتِّكُ أَسْبَابَ المَذَلَّةِ والْخَذْلِ

أَخُو الحَرْبِ غَذَّتْهُ القِرَاعُ مُفَطَّماً ... يَشُوبُ بِإِقْدَامِ الفَتَى حِنْكَةَ الْكَهْلِ[4]

فقد جمع البطل بين شجاعة الشباب، عند مقارعة الأعداء في ساح الوغى، وبين حنكة الكهولة عند اتخاذ القرار. ثم يصفه بقوله:

---

(١) الديوان: ص ٢٣١.

(٢) نفسه: ص ١٩٦.

(٣) نفسه: ص ٢٢٦.

(٤) نفسه: ص ١٩٧.

يُنَكِّسُ رَأْيُهُ رَأْيَ المُحَامِي وَيَقْتُلُ خَوفُه قَبْلَ القِتَالِ[1]

فهو صاحب رأي ثاقب، خبر الحياة فأفاد من تجاربها، وهو صاحب مكانة وهيبة كبيرة تفرّ الأعداء منه قبل ملاقاته. ثم يقول عنه:

لَمْ يَخْتَرمْ جَدٌّ نَماكَ وَلَا أبٌ إنَّ النَّبَاهَةَ فِي الخَلِيفِ خُلُودُ[2]

لم تكن النباهة والفصاحة والرأي الثاقب وليدة في البطل أو جديدة عليه، إنما هي أصيلة ضاربة في القدم منذ زمن آبائه وأجداده. ثم يصفه بقوله:

مَرَامٌ سُمَائِيٌ وَحَزْمٌ مُسَدَّدٌ وَرَأْيٌ شِهَابِيٌّ وَعَزْمٌ مُؤَيَّدُ[3]

وهذا أكمل وصف للبطل عند ابن منير فقد جمع بين الهمة العالية والحزم والمسدد، والرأي الشهابي، والعزم المؤيد.

ولئن كان البطل عند ابن منير من أصل غير عربي، فقد تجاوز شاعرنا ذلك بلباقةٍ وحسن تصرف، حين نسبه إلى الصلاح والمعالي والمجد، وأنه حقق الانتصارات التي تضاهي انتصارات الرسول -ﷺ- يقول:

وإنْ لَمْ تَكُنْ هَاشِمِيَّ الأُصُولِ فَإِنَّكَ فَرْعُ الهِزَبْرِ الهَشَمِّ
وَمَنْ يَدَّعِي فِي العُلاَ مَا ادّعَيْتَ وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَزَّ لمّا احْتَكَمْ
وَأُقْسِمُ مَا غَابَ سَيْفٌ سَقَتْ مَغَارِسُهُ عَيْنُ هَذِي الشِّيَمْ[4]

تشير الأبيات بوضوحٍ إلى أن القوة والشجاعة، التي تشيد أمجاداً وتصنع رجالاً وتهذب أخلاقاً. أقرب إلى النفس، وأخلد في التاريخ من النسب الزكيّ المجرد، الذي يفتقر لمعاني البطولة. ومثل هذا القول الذي يصدر عن شاعر متشيع لآل البيت

(١) الديوان: ص ٢٠٦.
(٢) نفسه: ص ٢٤١.
(٣) نفسه: ص ١٨٩.
(٤) نفسه: ص ٢٥٩.

جدير بأن يُعلل، وأقول:

إما أن يقول الشاعر ذلك لنور الدين الذي هو من أصل تركي، صدقاً وحقاً، بدافع القناعة والثقة المطلقة به بعد أن وجد فيه من الصفات ما لم يجدها في غيره، وإما أن يقول ذلك مجاملة لنور الدين بدافع مذهب «التقية» الذي يدين به الشاعر.

وبعد هذه الصفات والفضائل التي يُلبسها ممدوحه وبطله، والتي تنم عن إعجاب كبير به، وحب صادق له، نلحظ كثرة الدعاء له بأن يحفظه الله ويبقيه سنداً وذخراً للدين فمن ذلك قوله:

أَبْقَاكَ لِلدِّينِ والدُّنْيَا تَحُوطُهُمَا ... مَنْ لَمْ يُتَوِّجْكَ هَذا التَّاجُ إلَّا هُو[1]

ويقول:

يَا نُورَ دِينٍ أَظْلَمَتْ آفَاقُهُ ... لَوْ لَمْ تُبَلِّجْ هَذِهِ الآثَارُ

لِلَّهِ أَيَّامُكَ مَا تَخُطُّهُ ... بِالْمِسْكِ مِنْ إِسْفَارِهَا الأَسْفَارُ

سَلِمْتَ لِلإِسْلَامِ تَرْعَى سَرْحَهُ ... إِذَا وَنَى رُعَاتُهُ وَجَارُوا[2]

ومما تجدر الإشارة إليه في تمجيد ابن منير للبطل، أن كلماته كانت تأتي صادقة معبرة عن الواقع، بعيدة عن الخيال والزيف، فشعره يمثل إعجاباً صحيحاً بالبطل المسلم.

* صورة العدو «الفرنج»:

كان للشعراء دور كبير في تبيان حالة العدو، ورسم صورته، فلا تكاد تخلو قصيدة لشاعر من شعراء الفترة ومنهم ابن منير، إلا وفيها ذكر للعدو ووصف حالته، وقد أكثر ابن منير من ذكر الفرنج في شعره، فباتت صورته غازياً معتدياً، حاقداً على الإسلام والمسلمين. يقول:

---

(١) الديوان: ص ١٩٧.

(٢) نفسه: ص ٢٦٧.

وَمَـا يَـوْمُ الفِـرَنْجَـةِ مِنْـكَ فَـذٌّ فَتحصُـر عَـدَّهُ خُطَـطُ الحِسَـابِ

مَشَـوْا مُتَسَـانِـدِيـنَ إِلَـى صَليـبٍ يُبَـرْقِـعُ هَبْـوَةَ الصّـمِّ الصّـلابِ

تَـلُـفُّـهُـمُ المَنَـايـا فِـي الثَّـنَـايَـا وَتَـفْـجَـؤُهُم شُعُوبٌ[1] مِنَ شِعَابِ[2]

ثم يصور قوة الفرنج وكثرة عددهم، فهم جيش مدجج بالسلاح، قوي كثير، كأنهم السيل عددا، يقول:

أَتَـاكَ بِمِثْـلِ الـرُّومِ حَشْـداً وإِنَّـهُ لَيَفْضُلُ أَضْعَافاً كَثيراً عَنِ الرَّمْلِ[3]

ثم يقول:

أَهْمَدْتَـهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ مَـا مـلأوا المَـلاَ رَجْلاً فَهَلْ كَانَتْ سُـيُـوفُـك مَرْقَدَا[4]

ومما يبين قوة العدو، تصوير قلاعهم وحصونهم، بأنها منيعة قوية، لا يمكن اقتحامها بسهولة، فمن ذلك يقول:

إِنَّ الـرُّهـا لهـي «عَمُّـوريَـةٌ» وكَـذَا مَـنْ رَامَهـا لَيْـسَ مَغْـزَاهُ كَمغْـزَاهُ

أُخْتُ الكَـواكِـبِ عِـزّاً مَـا بَغَى أَحَدٌ مِـنَ المُلُـوكِ لَهَـا وَقْمَـاً فَـوَاتَـاهُ

حَتَّـى دَلِفَـتَ لَهـا بـالْعَـزْمِ يَشْحَـذُهُ رَأْيٌ بِـبَـيْـتٍ فُـوْيـق النَّجْـمِ مَسْـرَاهُ[5]

ويبين الشاعر بأن فتح الرها أعظم من وقعة عمورية التي طار ذكرها في الآفاق. والرها من أشرف مدن النصارى وأعظمها، ولها مكانة عالية عند النصارى، وقد حاول عدد من الملوك قبل عماد الدين الاستيلاء عليها، إلا أن منعة أسوارها، وقوة تحصينها حالا دون ذلك، إلى أن جاء عماد الدين، صاحب العزيمة الماضية،

---

(١) شعوب: المنية. انظر اللسان مادة «شعب». الديوان: ص ٢٥٣.

(٢) الديوان: ص٢٥٣.

(٣) نفسه: ص ١٩٨، البيت منكسر الوزن.

(٤) نفسه: ص ١٩٠.

(٥) نفسه: ص ١٩٦.

والمكانة العالية فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً ثم أعادها إلى حكم الإسلام[1].

ومن قصيدة قالها يهنىءُ نور الدين بعد استيلائه على دُلُوك سنة «٥٤٥هـ»، يذكر فيها واقعة حصن «إنّب» ويشبه معاركه بفتوح «النبي ﷺ» قال:

وَمَـــا يَـــوْمُ «إنّـــب» إلَا كَتَيْـــ ـــكَ بَـلْ طَـالَ بـالْبَـوْعِ أَشْبَـارَهَـا[2]

يشبِّهُ شاعرنا معركة «إنّب» بفتوح النبي ﷺ في أهميتها، وقوتها ونتائجها ليقرر أن المعارك التي خاضها نور الدين مع الفرنج، واسترداد الحصون لم تكن أمراً سهلاً، ليصل في النهاية إلى نور الدين، وجاهزيته للقتال تفوق قوة الفرنج.

ثم يقول في موضع آخر:

بـ «صَرْخَد» و«الخَطِيمْ» وفِي «غَزَاز» وَقَـائِـعُ هَـزَّ مَشْهَـدُهَـا الأَنَـامَـا[3]

يؤكد الشاعر قوة حصون الفرنج ومنعتها، وأن تحريرها شاق، ومع ذلك فقد استردها نور الدين وأعادها إسلامية كما كانت من قبل.

وينتقل الشاعر ليصور لنا تقهقر جيش العدو، وانهزامه، بأسلوب ساخر يقول:

زَبَـنْـتَـهُـمُ أَمْـسِ عَـنْ صَـرْخَـد فَفَضُّـوا كَـأَنَّ نَعَـامَـاً شَـرَدْ[4]

ويقول:

وَطَـارُوا تَهُـزُّ الْمُـرْهَفَـاتُ طِـلاَبَهُـم كَمَا انْصَاعَ مِنْ أُسْد نَعام مُشَرَّدُ[5]

يصور الشاعر الفرنج وقد دُفعوا وطردوا من البلاد، فيشبههم بنعام شارد هائم

---

(١) انظر: كتاب الروضتين: ج١ ق١/ ٩٤.

(٢) الديوان: ص ٢٢٧.

(٣) نفسه: ص ٢٤٩.

الخطيم: لم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

عزاز: هي بليدة فيها قلعة تقع شمالي حلب. انظر معجم البلدان مادة «عزاز».

(٤) الديوان: ص ١٨٨، زبن: الزبن: الدفع، انظر اللسان مادة «زبن».

(٥) نفسه: ص ٢٣٣.

على وجهه، لا يدري أين يتجه من شدة الخوف جراء رؤية الأسد والأسد هنا نور الدين وجيشه.

كما يصور الشاعر مصرع الفرنج، فيقول مخاطباً نور الدين:

أَلَا لِلَّـــهِ وَجْهُـــكَ والمَنَـــايـــا مُكَحَّلَـــةٌ ولِلْبِيـــضِ افْتِـــرَارُ
هَتَكْـتَ حِجَـابَـهُ والنَّصْـرُ غَـيْـبٌ وَلِلْهَبَـــواتِ طَـــيٌّ وَانْـتِشَـــارُ
بِطَعْـــنٍ لِلْقُلُـــوبِ بِـــهِ انْتِظَـــامٌ وَضَـــرْبٌ لِلـــرُّؤُوسِ بِـــهِ انْتِشَـارُ[1]

وتبدو صورة العدو وقد أثخن المسلمون فيهم القتل، ويرسم لنا الشاعر لوحة للمعركة تفيض بالحركة، بانت فيها الغلبة لنور الدين وجيشه بعد أن امتلأت أرض المعركة برؤوس الفرنج المتناثرة.

وفي مشهد آخر لمصرع الفرنج ترى، الأجساد صرعى، فلا همس ولا إشارة يقول:

مَـــاتُـــوا فَـــلاَ هَمْـــسٌ وَلَا إِشَـــارَةَ خَـــوْفُ هَمُـــوسٍ زَأْرُهُ إِزْهَـــاقُ[2]

ويقول عن نور الدين:

وَتَـــرى الأَعْـــدَاءَ مِـــنْ هَيْـ ـبَتِـــهِ تَـــأْوِي الشِّعَـــابَـــا
وإِذَا مَـــــــا لَـفَـحَـتْـ ـهُـــمْ نَـــارُهُ صَـــارُوا كَبَـــابَـــا[3]

وأما عن مصرع قادتهم فيقول:

بَـــرْنَسْـــتَ رَأْسَ بِـــرَنْـــسٍ ذِلَّـــةً بَعْدَما جَاستْ حَوَايَا «جُوسَلِينْ»[4]

لا يكتفي الشاعر بالإشارة إلى قادة الفرنج، بل يذكرهم بأسمائهم، ويبين

(١) الديوان: ص ٢٥١.
(٢) نفسه: ص ٢٠٢.
(٣) نفسه: ص ٢٠٣.
(٤) نفسه: ص ٢٠٠.

مصيرهم بأسلوب عُرف به ابن منير وهو أن يشتق من الأسماء أفعالاً تصور نهايتهم ولشدة هوان الفرنج على المسلمين، يصف الشاعر قائدهم بكلب يقول:

وَقْعَةٌ طَاحَتْ بِكَلْبِ الرُّومِ مِنْ قِطْعَةِ البَيْنِ إلى قَطْعِ الوَتِينْ[1]

ويقول أيضا من قصيدة أخرى:

وَكَفَّ كَلْبَ الرُّومِ مِنْ بَعْدِ أنْ أضْنْشَبَهُ نَاباً وأُظْفُورَا
فَأَهْلُهُ رَقْكَ إنْ أَنْصَفُوا رَقَّاً بِحَدِّ السَّيْفِ مَسْطُورَا[2]

وأما عن صفاتهم الخُلُقية فقد نعتهم بنعوت كثيرة، توضح بجلاء كنه أخلاقهم فهم: قوم غدر، ونفاق، وخيانة، وكيد، يقول:

وإذَا العِدَا زَرَعُوا النِّفَاقَ وَأَحْصَدُوا كَيْداً فَعَزْمُكَ نَاقِضٌ حَصَّادُ[3]

ثم يصف أحد قادتهم «جوسلين» بقوله:

مَا زَالَ يَغْدُرُ ثُمَّ يَغْدُرُ قَادِراً حَتَّى أَتَاهُ بِجَامِعٍ أصْحَابَهُ[4]

ومن صفاتهم أنهم أهل كفر وشرك، وضلال، وهذا يبين الجانب العقائدي الذي يكمن وراء هذه الحروب، ليؤكد لنا الشاعر أن الصراع مع الفرنج صراع عقيدة، لا صراع أطماع وحسب يقول:

إذَا أَنَاخَ الشِّركُ فِي أكْنَافِهِ بِمِئَيْ أَلْفٍ ثَنَاهَا بِمِئِينْ[5]

ويقول:

وَكَمْ عَبَرَ الصَّلِيبَ بِهِمْ صَلِيباً فَرَدَّتْهُ قَنَاكَ وَفِيهِ لِينْ

(١) الديوان: ص ١٩٩.
(٢) نفسه: ص ٢٥٧.
(٣) نفسه: ص ٢٦٢.
(٤) نفسه: ص ٢٤٨.
(٥) نفسه: ص ١٩٩.

وَمَـا خَطَـرَتْ بِـدَارِ الشِّـرْكِ إِلَّا هَـوَى النَّـاقُـوس وارْتَفَـعَ الأَذِيـنْ[1]

ثم يقول مادحاً نور الدين:

أَخْلَـى دِيـارَ الشِّـرْكِ مِـنْ أَوْثَـانِهـا حَتَّـى غَـدَا ثَـالُـوثُهُـنَّ نَكِيـرَا[2]

إن وصف العدو بأهل شركٍ، يستثير همم الناس، ويحرك عواطفهم الدينية ليلتفوا حول راية نور الدين. ويتضح من هذا كله أن ابن منير استطاع أن يصور العدو، بما هو فيه، فلم يتجنَّ عليه بل كان موضوعياً واقعياً، ولعل التاريخ قد سجل أفاعيل الفرنج وما أحدثوا من قتل وهتك وسلب.

إن شعر الجهاد قد اضطلع بتحفيز الناس، واستنهاض هممهم، وتعبئة الأمة.

*** صورة المعركة:**

كان لشعر الجهاد والبطولة الذي واكب حركة الاسترداد والتحرير زمن الحروب الصليبية أهمية كبرى إذ يمكن الاستئناس به في توثيق الأحداث التي لم يتعرض لها المؤرخون، ذلك أن الشاعر وصف المعارك، و عدد أسماءها، وذكر نتائجها، وسمى بعض الأدوات الحربية المستعملة في القتال. وقد سلك شاعرنا هذا المسلك عندما صور المعركة وما يستخدم فيها من سلاح فمن ذلك، وصفه السيف والمنجنيق، يقول:

أَرِحْهَـا فَهِـيَ أَزْلَام المَعَـالِـي لَهُـنَّ إِلَـى الـوَغَـى تَـوْقُ المَغَـالِـي

أَقَـالَ مَقيلهُـنَ بِكـلِّ نَقـعٍ يُقَـوِّضُ بِـالهُـدَى عُمـرَ الضَّـلاَلِ

وأَيّ سُيـوفـكَ الحُمـر الحَـواشِـي مُنَـزّلَـة مَتـى دُعيـتَ نَـزالِ

مَـواضٍ إن سُلِلـنَ سَلكـنَ جَـزمـاً نَفَـاهُ مِـن الطّلـى لَفْـظُ اعْتِـلاَلِ[3]

---

(١) الديوان: ص ٢٣٧.

(٢) نفسه: ص ٢٤٥.

(٣) نفسه: ص ٢٢٠.

يصور الشاعر سيوف جيش نور الدين، وهي تقوّض أركان الضلال، وتستأصل وجوده فهي سيوف قوية ماضية، وهي حمر تقطر دماً، تقضي على الكافرين متى دُعيت للنزال.

ويصفها وهي تفتك بالفرنج بقوله:

والبيضُ تَخنُسُ فِي الصُّدورِ صُدورُها هَبْراً وَتَكْتَحِل الشّفُورَ شَفارُهَا[1]

فهي البيض لشدة لمعانها وحدتها، تستقر في صدور الأعداء بعد أن تجز اللحم، وتكتحل الشفاه بحديها العريضين.

وأما عن مجانقة فيصفها بقوله:

وإذَا مَجانِقُهُ رَكَعْنَ لِصَعْبِه الـ ـمُلْقَاةِ أَسْجَد كالجَديرِ جِدارُها[2]

ومن الأسلحة المستخدمة في المعركة الرماح، والسهام، ويصف ابن منير خيل المسلمين وهي في أرض المعركة تروح وتجيء بقوة وثبات ونشاط، والرماح تقع في نحور الأعداء. يقول:

والخَيْلُ تَدْلُجُ تَحْتَ أَرْشِيَةِ القَنَا جَذَبَ المَواتِحِ غَاوَرَتْ آبَارُها[3]

ويصفها في موضع آخر وهي تخوض في بحر من الدماء عند التحام الجيشين يقول:

وَأَيْدِي الخَيْلِ تَذْرَعُ لُجَّ بَحْرٍ مِنَ الدَّمِ مُزبِدَ الثَّجَّيْنِ طَامِي[4]

وأما عن السهام فقد نثرت في ساحة المعركة نثر الكرات على الأرض من كثرتها:

صَوْلَجُوا الْبِيضَ بِضْربٍ نُثِرَ السِّـ ـهَامُ فِي سَاحَاتِهَا نَثْرَ الكَرِيْن[5]

(١) الديوان: ص ٢١٨.
(٢) نفسه: ص ٢١٧.
(٣) الديوان: ص ٢١٧.
(٤) نفسه: ص ٢٦٥.
(٥) نفسه: ص ٢٠٠.

ومن الجوانب المكملة لصورة المعركة عند ابن منير تصوير الجيش المسلم الذي غدا بنور الدين قوياً يهابه الأعداء. يقول:

إنْ سَارَ سَارَ وَقَدْ تَقَدَّمَ جَيْشَهُ رَجْفٌ يُقَطِّعُ فِي اللَّهَا دَعَّارَهَا[1]

فمن شدة قوة الجيش تتقدمه رهبة ومخافة ترتعد منها فرائض الأعداء. ثم يقول:

كَتَائِبُ تَرْمِي جُنُودَ الصَّلِيـ ـبِ بِتَقْطِيعِ أَصْلاَبِهَا[2]

وكتائب الجيش المسلم قوية مدرّبة، تغير على الفرنج فتقطع أوصاله وتمزق شمله كما يصف الجيش بضخامة العدد والتفوق. يقول:

بِعَرَمْرَمٍ صَمَلَتْ وَعَاوِعَهُ عُرَى اسماعِ «جَيحونَ» وسَيْف البَرْبَرِ[3]

وينتقل الشاعر ليصف لنا جيش العدو مبتدئاً بمليكهم وقائدهم، فيذكر ما حلّ به من الخوف، والأسر، يقول:

وَيَوْمَ العَرِيمَةِ أَقْبَلْتَهُمْ عُرَامَاً تَثَعْلَبَ مِنْهُ الأَسَدْ
حَبَيْتَ مَلِيكَهُمُ فِي الصِّفَادِ وَعَفْوُكَ عَنْه أَعَمَّ الصَّفَدْ[4]

ويقول:

دَأَبْتَ بِكَلْبِهِمْ فِي الكَبُولِ مُبَاحَ الحَرِيمِ مُذَالَ الحَرَمْ[5]

وينعت قائدهم «بالكلب»، ويقول: إنه توهم وظن أنّ الشام ستكون مرعى له ولجنوده وما علم أنه سيقابل من هو أقوى منه في الحرب والنزال. يقول:

---

(١) الديوان: ص ٢١٧.
(٢) نفسه: ص ٢٢١.
(٣) نفسه: ص ٢٣٠. صلمت: صلم الشيء صلماً قطعه من أصله. انظر اللسان مادة «صلم».
الوعواع: الصوت والجلبة، وقيل أول من يغيث من المقاتلة.
الوعاوع: الأشداء. انظر اللسان مادة «روع».
(٤) الديوان: ص ١٨٨.
(٥) نفسه: ص ٢٥٩.

وَمَا يَوْمُ كَلْبِ الرُّومِ إِلَا أَخُو الَّذِي أَزَحْتَ بِهِ مَا فِي الجَنَاجِنِ مِنْ نَبَلِ
تَـوَهَّـمَ أَنَّ الشَّـامَ مَـرْعَـى وَمَـا دَرَى بِأَنَّـكَ أَمْضَى مِنْهُ فِي الشَّزْرِ وَالسَّجْلِ[1]
فَطَـارَ وَخَيْـرُ الْمَغْنَمَيْـنِ ذِمَـاؤُهُ إِذَا رَدّ عَنْـهُ مَغْنَـم المَـالِ والأَهْـلِ[2]

ويصور الشاعر قائد الفرنج وقد طفا به كيل الغرور، فظن أن الاستيلاء على الشام أمر يسير، ولم يحسب أنه سيقابل رجلاً مثل «نور الدين» أشد منه مضاءً في القتال والمباراة والمفاخرة. وعندما التقى معه ولى هارباً تاركاً الأهل والأموال.

ثم يصف الشاعر مقتل أحد قادة الفرنج، «البرنس» الذي قال عنه أبو شامة المقدسي: «وكان هذا اللعين من أبطال الفرنج المشهورين بالفروسية، وشدة البأس، وقوة الحيل وعظم الخلقة، مع اشتهار الهيبة، وكثرة السطوة، والتناهي في الشر»[3].

وكان «البرنس» قد قتل وحمل رأسه إلى نور الدين. قال ابن منير.

وَسَقَـى البِـرَنْـسَ وَقَـدْ تَبَـرْنَـسَ ذِلَّـةً بِـالـرَّوْحِ مُمْقِـرٌ مَـا جَنَـتْ غَـدَرَاتُـهُ
فَـانْقَـادَ فِـي خَطْـمِ[4] المَنِيَّـةِ أَنْفُـهُ يَـوْمَ الخَطِيـمِ وَأَقْصَـرَتْ نَـزَوَاتُـهُ
وَمَضَـى يُـؤَنِّـبُ تَحْـتَ «إِنّـبَ» هِمَّـةً أَمْسَـتْ زَوَافِـرَ غَيِّهَـا زَفَـرَاتُـهُ
تَمْشِـي القَـنَـاةُ بِـرَأْسِـهِ وهـوُ الَّـذِي نَظَمَـتْ مَـدَارَ النَّيِّـرَيْـنِ قَـنَـاتُـهُ[5]

يرسم الشاعر صورة مصرع «البرنس» الذي عُرف بالغدر والخيانة والعدوان، بتعابير وألفاظ تعج بالتهكم، لتخدم الفكرة التي يسعى إليها الشاعر، وهي إظهار

(١) السجل: المساجلة: المفاخرة والمباراة، ساجل الرجل باراه. انظر اللسان مادة «سجل».
(٢) الديوان: ص ١٩٨. الذّماء: بقية النفس، أو بقية الروح في المذبوح. انظر اللسان مادة «ذمي».
(٣) الروضتين ج١ ق١/ ١٥٠.
(٤) خطم: الخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها نحو الكلب والبعير، خطم الإنسان أنفه والجمع مخاطم انظر اللسان مادة «خطم».
(٥) الديوان: ص ٢١٢، ٢١٣.

الفرنج بصورة ذليلة محتقرة.

فقد شبهه بالدابة التي تقاد من خطمها للذبح. وهو يرى أنه منقاد إلى الموت لا محالة، ويختم المشهد بسقوط رأسه والدماء تسيل مكونة قناة، وهو الذي طار ذكره في الآفاق.

ويصور الشاعر جيش الفرنج وهم صرعى فيشبههم بقوم صالح عندما حلّ بهم سخط الله فماتوا جميعاً، مخلفين وراءهم الذل والعار والشقاء، يقول:

هَمَدُوا كَمَا هَمَدَتْ ثَمُودُ وَقَادَهُمْ ... لِخَسَارِهِمْ مِمَّا أَتَوْهُ قَدَارُ

العَارُ فِي الدُّنْيَا شُقُوا بِلِبَاسِهِ ... وَلِبَاسُهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ النَّارُ[1]

والصورة مستوحاة من القرآن الكريم في معناها، زد على ذلك استخدامه بعض الألفاظ الدينية ليستثير عواطف المسلمين ويستنهض هممهم ويعبئهم ضد الفرنج.

ويصور جيش الفرنج وقد وقع في قبضة جيش المسلمين، فاعملوا فيهم السيف قتلاً، وأسروا عدداً كبيراً، يقول:

سَلْ بَصِيراً كَمْ أَعْتَقَت يَوْمَ «بُصْرَى» ... مِن أَسَارِ المَوْتِ الزَّؤَام عِتَاقُهُ

كَمْ عُرَامٍ عَلَى «العَرِيمَةِ» شبَتْ ... ضَاقَ مِنْهُ عَلَى الصَّلِيبِ خِنَاقُهُ

وَلَكَمْ هَبَوْةَ بِـ «هَابٍ» وأُخْتَيْـ ... ـهَا لَهَا صَكَّتِ الأَسَارَى رِبَاقُهُ

بَسَطَ الذُّلَ فَوْقَ بَسْطَةِ بَاسُو ... طَا وَلَكِنْ طَوَاهُ عَنْهُ ارْتِفَاقُهْ[2]

وإذا حمي وطيس المعركة، ترك الفرنج أسلحتهم ولاذوا بالفرار. يقول:

نَبَذُوا السِّلاَحَ لِضْيغَمٍ عَادَاتُهُ ... فَرَسُ الفَوَارِسِ والقَنَا غَايَاتُهُ[3]

ويصور هزيمة الفرنج، فيرسم صورة للمعركة وقد امتلأت أرضها برؤوس الفرنج

---

(١) الديوان: ص ١٩٢.

(٢) نفسه: ص ٢٠٥.

(٣) نفسه: ص ٢١٠.

وتغطت سماؤها بانعقاد الغبار الكثيف، وجنود الأعداء تتدافع مولية الأدبار من هول ما رأت من بأس المسلمين، وقوتهم. يقول مادحاً نور الدين، وواصفاً جيش الفرنج:

وَرأَى سُيُوفَكَ كَالصَّوَالِجِ طَاوَحَتْ مِثْلَ الكَرِينِ تَقَلَّصَتْ كُرَاتُهُ
وَلّى وَقَدْ شَرِبَتْ ظِبَاكَ كُمَاتُهُ تَحْتَ العَجَاجِ وَأَسْلَمَتْهُ حُمَاتُهُ[1]

ومما تقدم نتبين أن هذا الشعر الجهادي قد قام بدور هادف تمثل في التعبئة النفسية والمادية لدى المسلمين، إذ إن الشعر كما قيل ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها، فيه علم أنساب العرب، وتواريخها وأيامها ووقائعها[2] وهو الوسيلة الإعلامية التي تعالج الحدث السياسي، وتوجه الناس نحو الطريق المرسوم، فلا غرو أن يكون الإعلام الهادف غرضاً من أغراض شعر الجهاد، في الوقت الذي اشتدت حاجة الناس فيه إلى من يعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، ويحيي في الأمة الآمال، بعد أن أمسى التحرير ضرباً من الخيال، وأمراً من المحال.

لقد حقق شعراء الفترة -ومنهم ابن منير- النجاح في توظيف الشعر لخدمة قضيتهم الرئيسة المتمثلة في طرد الغزاة الفرنج من بلاد الإسلام. فخرج الشعر من نطاق النقل المجرد للأحداث، إلى تقديم هذه الأحداث بالصورة التي تخدم المجتمع المسلم وتحقق أغراضه، وقد تجلى ذلك في المحاور التالية:

- رفع الروح المعنوية لدى أفراد المجتمع المسلم. وذلك بالتغني بالأمجاد، والانتصارات وتخليد ذكر أبطال المسلمين، فمن ذلك: إشادة ابن منير بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ عندما فتحها عماد الدين. وقد وصف شاعرنا هذا الفتح بأنه

---

(١) الديوان: ص ٢١٣.

(٢) انظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. أبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ص ١٣٨.

أعاد على الإسلام بهجته، يقول:

فَتْحٌ أَعَادَ عَلَى الإِسْلامِ بَهْجَتَهُ ... فَافْتَرَّ مَبْسِمُهُ واهْتَزَّ عِطْفَاهُ[1]

ويصف هذا الفتح بقصيدة أخرى:

هُوَ الفَتْحُ أَنْسَى كُلَّ فَتْحٍ حَدِيثُه ... وَتَوَّجَ مَسْطُورَ الرِّوَايَةِ والنَّقْلِ[2]

فمن عظمة هذا الفتح أنه يفوق سائر الفتوح السابقة. بل هو تاج الفتوحات السابقة واللاحقة. ويصور نور الدين بأنه صاحب الأمر والنهي، ما بين الخافقين لكثرة ما حقق من انتصارات، يقول:

وَتَوَالَتْ لَكَ الفُتُوحُ إِلَى أَنْ ... تَمَلأَ الخَافِقَيْنِ نهْيَاً وَأَمْرَا[3]

وعند فتح حصن «إنّب» سنة ٥٤٤هـ قا ابن منير قصيدة يهنيء نور الدين بالفتح ويصفه بقوله:

أَقْوَى الضَّلاَلُ وَأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ ... وَعَلاَ الهُدَى وَتَبَلَّجَتْ قَسَمَاتُهُ

وَانْتَاشَ دِينُ مُحَمَّدٍ مَحْمُودُهُ ... مِنْ بَعْدِمَا عُلَّتْ دمَاً عَبَرَاته

فَتْحٌ تَعَمَّمَتِ السَّمَاءُ بِفَخْرِهِ ... وَهَفَتْ عَلَى أَغْصَانِها عَذَبَاتُهُ

سَبَغَتْ عَلَى الإِسْلاَمِ بِيضَ حُجُولِهِ ... واخْتَالَ فِي أَوْضَاجِهَا جَبَهَاتُهُ[4]

يصف الشاعر فتح «إنّب» بأنه فتح فاخرت السماء به وفضلته على سائر الفتوح السابقة وعاشها المسلمون فرحة عارمة.

- تعزيز مفهوم «الصراع العقائدي» بين المسلمين والفرنج.

لقد نجح ابن منير في إضفاء الصفة الإسلامية على الصراع بين المسلمين

(١) الديوان: ص ١٩٦.
(٢) نفسه: ص ١٩٧.
(٣) نفسه: ص ٢٦٨.
(٤) نفسه: ص ٢٠٨، ٢٠٩.

والفرنج، وهذه لفتة ذكية من شاعرنا، سارعت في تجاوب الشعوب الإسلامية بالتفافها حول البطل الذي قاد معارك التحرير ضد الغزاة.

فَمِنْ تتبع شعر ابن منير، بوسعنا أن نستخلص عدداً غير قليل من الألفاظ والمعاني والصور التي أدت إلى تعزيز هذا المفهوم. فمن ذلك: ذكر الكنائس والصليب، ووصف الأعداء بالكفار، وأهل الشرك، وتبيان أن الدافع من الحرب هو إرضاء الله، ونجدة الإسلام، ثم وصف الصراع الدائر بين المسلمين والفرنج بأنه صراع عقدي، وأن الفرنج جاءوا بدافع الصليب. يقول:

أَيَا نُورَ دِينٍ خَبَا نُورُهُ ... ومُذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ

رَآكَ الصَّلِيبُ صَلِيبَ القَنَا ... ةِ أَمِينَ العِثَارِ مَتِينَ الْعَمَدْ

تهمُّ فَتَسْلُبُه مَا اقتَنَى ... وتَدْأَى فَتَشْكَلُهُ مَا احْتَشَدْ[1]

ويقول أيضاً:

طَلَعَتْ نُجُومُ الحَقِّ مِنْ آفاقِها ... وَأَعَادَها كَرُّ العُصُورِ كَمَا بَدَا

وَهَوَى الصَّلِيبُ وَحِزْبُهُ وَتَبَخْتَرَ الـ ... إِسْلَامُ مِنْ بَعْدِ التَّسَاقُفِ أَغْيَدَا[2]

ومن قصيدة أخرى يقول:

يَا هَضَبَةَ الدِّينِ الَّتِي عَاذَ بِهَا ... فَعَادَ لَا بَغْتٌ وَلَا إِرْهَاقُ

رَمَى الصَّلِيبَ بِصلِيبِ الرَّأْيِ عَنْ ... زَوْرَاءَ أَوْهَيَ نَزْعَهَا الإِغْرَاق[3]

ويقول:

صَدَمَ الصَّلِيبَ عَلَى صَلَابَةِ عُودِهِ ... فَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا خَشَبَاتُهُ[4]

(١) الديوان: ص ١٨٨.
(٢) نفسه: ص ١٩١.
(٣) نفسه: ص ٢٠٢.
(٤) نفسه: ص ٢١٢.

إن التركيز على نعت الفرنج بحزب الصليب، ونعت نور الدين وجيشه بأهل الحق، وهضبة الدين، بين واضح، والسبب في ذلك خدمة الغرض الأساس المتمثل بصبغة الصراع بالصبغة الدينية. وقد وفق ابن منير في ذلك.

ثم ينتقل الشاعر لذكر الكنائس. يقول:

كَمْ كَنِيسٍ كَنَسْتَ قَدْ رَامَهَا مِنْهُ بَعْدَ الرَّوْحِ فِي ظَلِّ السَّفِين[1]

ويقول:

مُظَفَّرِ الْعَزْمِ مَمْدُود الرُّواق عَلَى مَعَالِمِ الدِّينِ يَرْفِيها وَيَبْنِيْهَا
رَدَّ الكَنَائِسَ كُنْسَا للُهَدى فَخَبَتْ نَارُ الضَّلاَلِ وَوارَتْها أَثَافِيها[2]

ويصف الشاعر الفرنج بالكفار، ليلفت الأنظار إلى أن الحرب مع الفرنج حرب عقيدة يقول:

وَجَادَ لَنَا بِكَ رَبٌّ بَرَا كَ لِلْكُفْرِ نَاراً وللدِّين نُورَا[3]

ويصف الفرنج بأنهم أهل شرك. يقول مخاطباً نور الدين:

أَخْرَسْتَ شَقْشَقَةَ الضَّلاَلِ وَقُدْتَهُ فَوْدَ الذَّلُولِ أَطَاعَ بَعْدَ صِيَالِ
وَرَمَيْتَ دَار المُشْرِكِين بِصَيْلَمٍ أَلْفَحْتَ فِيهَا الحَرْبُ بَعْدَ حِيَالِ[4]

ومن المعاني التي تؤكد إسلامية الصراع، أن نور الدين يجاهد بدافع الغضب لله، وللدين، ولعزّة الإسلام. يقول:

مَحْمُودٌ المُربى عَلَى أَسْلاَفِهِ إِنْ زَادَ فِي حَسْبِ الحَسِيبِ نَجارُ
غَضْبَانَ لِلإِسْلامِ مَالَ عَمُودُهُ فَلِنُورِهِ مِمَّا عَرَاهُ نُوَارُ[5]

---

(١) الديوان: ص ٢٠٠.
(٢) نفسه: ص ٢٥٤.
(٣) نفسه: ص ١٩٣.
(٤) نفسه: ص ٢٧١.
(٥) نفسه: ص ١٩١.

ويقول:

لَقَـدْ أَخْصَـدْتَ لـلإِسْـلاَمِ عِـزَّ ... اَيفُـوتُ سَنَـامُـه يَـدُ كُـلِّ قَـالِ[1]

ويقول:

رَدَدْتَ عَلَـى الإِسْـلاَمِ عَصْـرَ شَبَـابِـهِ ... وَثَبَـاتُـهُ مِـنْ دُونِـهِ وَثَبَـاتُـهُ [2]

ويقول أيضاً:

غَضْبَـان لـلإِسْـلاَمِ لَا يَـغُيظُـهُ إِسْـ ... ـتسـلامها لِلْقِسَّـرِ مِـنْ إِسْـلاَمها[3]

والأمثلة على ذلك كثيرة.

مما تقدم يتبين لنا أن الشاعر وفق في تصوير نور الدين وهو يقاتل حميّة للدين غضبان للإسلام، يسعى جاداً لرفعة هذا الدين، وعزّة أهله.

وقصد الشاعر استخدام مصطلح الجهاد بدلاً من القتال، لأن ذلك يوافق هدفاً في نفس الشاعر، الذي عاش عصر احتلال الفرنج لبيت المقدس، وجزءاً كبيراً من بلاد الشام، وكان يتمنى في قرارة نفسه أن يرى حكام المسلمين قد تضافرت جهودهم، وتوحدت كلمتهم لطرد الغاصبين. فأطلق الشاعر هذا المصطلح ليحرض المسلمين على القتال.

*** تضخيم النصر والإعلاء من شأنه:**

من الإعلام الهادف قيام الشعراء بتضخيم النصر وفق صورة لا تبتعد عن الواقع كثيراً، وذلك عن طريق تضخيم المدن والحصون المستردة، وتصوير مشاهد استعادتها فمن ذلك القصيدة التي مدح فيها عماد الدين زنكي بُعيد فتح الرها سنة ٥٣٩هـ والتي مطلعها:

---

(١) الديوان: ص ٢٠٦.

(٢) نفسه: ص ٢٠٨.

(٣) نفسه: ص٢٣٥.

صفِـاَت مَجـدِكَ لَـفْـظٌ جَـلَّ معنـاهُ فـلاَ اسْتَـردَّ الـذي أَعطَـاكَـهُ اللهُ[1]

ويشير ابن منير إلى أن هذا الفتح أعظم من فتح عمورية، وأن فتح الرها أنسى كل فتح قديم لعظمته. ويقول: إن هذا الفتح ما كان له أن يتم، لولا الهمة العالية، والعزيمة الماضية التي كان يتمتع بها عماد الدين، والتي لا توجد في غيره من الملوك، يقول:

أيْـنَ الخَـلاَئِـقُ عَـنْ فَتْـحٍ أُتِيـحَ لَـهُ مُظَلِّـلٌ أُفْـقَ الـدُّنيَـا جَنَـاحَـاه
عَلَـى المَنَـابِـرِ مِـنْ أَنْبَـائِـهِ أَرَجٌ مَقْطُـوبَـةٌ بِفَتِيـقِ المِسْـكِ رَيَّـاهُ
فَتْـحٌ أَعَـادَ عَلَـى الإِسْـلاَمِ بَهْجَتَـهُ فَـافْتَـرَّ مَبْسِمُـهُ وَاهْتَـزَّ عِطْفَـاهُ
يَهْـدِي بـ «مُعْتَصِـمٍ بِـاللَّـهِ» فَتْكَتُـهُ حَـدِيثُهَـا نَسَـخَ المَـاضِـي وَأَنْسَـاهُ
إِنَّ الـرُّهـا لهـي[2] «عَمُّـوريَـةٌ» وكَـذَا مَـنْ رَامَهـا لَيْـسَ مَغْـزَاهُ كَمغْـزَاهُ
أُخْـتُ الكَـواكِـبِ عِـزّاً مَـا بَغَـى أَحَـدٌ مِـنَ المُلُـوكِ لَهَـا وَقْمَـاً فَـوَاتَـاهُ
حَتَّـى دَلِفَـتَ لَهـا بـالْعَـزْمِ يَشْحَـذُهُ رَأْيٌ بِـبَيْـتٍ فُـوْيـق النَّجْـمِ مَسْـرَاهُ[3]

ويمكن أن نعتبر أن هذه القصيدة من القصائد النموذجية في شعر ابن منير، لذا كثر الاستشهاد بها.

- التخفيف من وقع الهزيمة على نفوس المسلمين:

الحرب كرّ وفرّ، ولا بد لمن يخوض غِمار المعارك أن يضع في حسبانه كيف يواجه الهزيمة. ولا يقتصر دور الشاعر على التغني بالانتصارات وتمجيدها، بل لا بد

(١) نفسه: ص ١٩٥.

(٢) أضفت لفظة «لهي» لكي يستقيم الوزن، وفي شعر ابن منير د. سعود ورد البيت على النحو التالي:
أن الـرهـا غيـر عمـوريـة وكـذا مـن رامهـا ليـس مغـزاه كمغـزاه
وهنا يستقيم الوزن. انظر شعر ابن منير ص ١٩٦.

(٣) الديوان: ص ١٩٥، ١٩٦.

من أن يتناول الهزيمة، وأن يُحسن معالجتها تجنباً للمضاعفات السلبية التي قد تقع في الصف المسلم.

ومهما يكن القائد على درجة من الدراية بأمور الحرب وفنون القتال، ومهما بلغ جيشه من جاهزية قتالية، فلا بد له في الغالب من أن يذوق الهزيمة أحياناً، وأن يتجرع مرارتها. ويسجل التاريخ أن حظ نور الدين من الهزائم كان قليلاً جداً. فقد «وردت الأخبار في رجب سنة ٥٤٣هـ من ناحية حلب بأن نور الدين صاحبها، كان قد توجه في عسكره إلى ناحية الأعمال الإفرنجية، وقصد «أفامية» وظفر بعدة من الحصون، والمعاقل الإفرنجية، وبِعُدّةٍ وافرة من الإفرنج، وأن صاحب أنطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه، فنال من عسكره، وأثقاله، وكُراعه ما أوجبته الأقدار النازلة، وانهزم بنفسه وعسكره، وعاد إلى حلب سالماً في عسكره لم يفقد منه إلا النفر اليسير، بعد مقتل جماعة وافرة من الإفرنج»[1]. وهذه الغزوة هي غزوة يُغراء[2].

إذ يصور فيها الشاعر أن هذه الهزيمة لم يكن لها أثر على أسد تُعرف قوته، ثم يربط هذه الهزيمة بما جرى مع النبي -ﷺ- وصحبه في غزوة «حُنين» عندما هُزم المسلمون في البداية، ثم تحولت الهزيمة إلى نصر بعد أن ثبت النبي -ﷺ- وأصحابه. ويختم بقوله مؤكداً أن الحرب كرّ وفرّ، فيوم لك ويم عليك. يقول:

لَمْ يَشُنْهُ مِنْ مَاءِ «يُغراءَ» أَنْ فَرّ ... الأَشَابَاتُ[3] ذَادَ عَنْهَا انْدِلَاقَهْ

كَانَ فِيهَا لَيْثُ العَرِينِ حِمَى الأَشْـ ... ـبَالِ مِنْهُ غَضْبَانَ كَالنَّارِ مَاقَهْ

وَشَبِيهُ النَّبِيِّ يَوْمَ «حُنَيْنٍ» ... إِذْ تَلَافَى أَذْوَاءَهُمْ دِرَيَاقَهْ

(١) الروضتين ج١ ق١/ ١٤٣.

(٢) يغراء: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد أنطاكية من حلب في المنطقة المطلة على نواحي طرطوس. انظر معجم البلدان مادة «يغراء».

(٣) الاشابات: الأشابة: أخلاط الناس. انظر اللسان مادة «أشب».

وهِـيَ الْحَـرْبُ فَحْلُهـا يُحسِـن الكَـرَّ ةَ إن عَـضَّ بَـأْسُهَـا لَا نِيَـاقَـهْ[1]

وقد خفف الشاعر من وقع الهزيمة على نفوس الجند عندما ذكرهم أن الصحابة وهم حول رسول الله -ﷺ- تجرعوا مرارة الهزيمة من قبل.

(١) الديوان: ص ٢٠٥، ٢٠٦.

أغْرَاض شِعْريّة أخرَى

الهجاء:

الهجاء أحد الأغراض الشعرية التي تناولها ابن منير في شعره، وأكثر منه إلى درجة أنه عرف به، فقد وصفه معظم من ترجم له، بأنه كان هجاءً مقذعاً، خبيث اللسان، بل إن لسانه سبب له كثيراً من المتاعب، من نفي، وتشريد، وتهديد بالقتل والصلب، والحكم عليه بقطع اللسان.

ولعل ابن القيسراني الشاعر كان ممن له مع ابن منير صولات وجولات في الهجاء، إلى درجة أنهما لقبا بجرير العصر وفرزدقه[1] لشدة ما كان بينهما من مهاجاة وقد فشا هذا اللون من الشعر في هذا العصر بكثرة.

وبعد نظرة فاحصة، ودراسة متعمقة لشخصية ابن منير، أستطيع القول: بأن ثمة قوتين كانتا تؤثران على الشاعر، وتدفعانه إلى هذا الصنيع، وأعني بهما: حبه للجاه والمنصب، والرياسة، من خلال حرصه على ملازمة الأمراء والوزراء والأعيان، ولكن حساده وأعداءه حالوا بينه وبين طموحه، فما كان لديه من حيلة أو سلاح سوى أن يطلق لسانه عليهم، وأن يرشقهم بسهام هجائه.

وأما الدافع الثاني فهو الصراع النفسي الشديد الذي كان يعمل في أعماق الشاعر بسبب نبذ الناس له، لمذهبه ومعتقده.

وجدير أن يذكر أن هذا العصر شهد ألواناً من الهجاء الفاحش البذيء، الذي كان يتراشق به الشعراء المجان من أمثال: ابن الهبارية ت «٥٠٤هـ»[2] وابن قسيم

---

(١) انظر: الخريدة: ج١ ق١/ ٧٦، معجم الأدباء ج١٩/ ٤٦، العبر في خبر من غبر ج٤/ ١٣٠.

(٢) ابن الهبارنة: هو الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة. ينتهي نسبه إلى العباس الهاشمي، ويلقب بنظام الدين. انظر ترجمته: مرآة الزمان ج٨/ ٥٨، وفيات الأعيان ج٤/ ٤٥٣، الوافي بالوفيات ج١/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ج٥/ ٢١٠، شذرات الذهب ج٤/ ٢٤.

الحموي ت «٥٤١هـ»[١]، وأبي الحكم المغربي ت «٥٤٩هـ»[٢]، وعرقلة الدمشقي ت «٥٦٧هـ»[٣]، وابن عُنين ت «٦٣٣هـ»[٤]، وقد شارك شاعرنا في شعر الهجاء المنحدر من إسفاف بسهم وافر.

وعلى الرغم من أن شاعرنا يعد من شعراء الهجاء في عصره، فإن هذا الصنف من شعره فقد مع ما فقد من شعره، ولم يصلنا منه إلا النّزر اليسير، وهي أبيات قد لا تصل في مجموعها إلى مائة بيت، ثم توصلت إلى مجموعة من الأبيات التي لم ترد في ديوان ابن منير الذي جمعه الدكتور تدمري، ومن ذلك قصيدة في هجاء القيسراني، تصل إلى ثمانية وعشرين بيتاً، لا يوجد منها في الديوان سوى ثلاثة أبيات، وقصيدة أخرى في الهجاء تصل إلى خمسة وثلاثين بيتاً لا يُعرف من المهجو فيها، إلا أنني أرجح أنها في هجاء القاضي الأعز اللبان أيضاً.

وبذلك يكون قد اجتمع لديّ من شعر ابن منير في الهجاء مائة وأربعة وثمانون بيتاً[٥]، مضافاً إليها تسعة وتسعون بيتاً كان الدكتور تدمري قد أثبتها في الديوان، فيكون مجموع ما تم العثور عليه من شعر الهجاء لابن منير يصل إلى قرابة ثلاثمائة بيت من الشعر.

وقد توزعت صنوف الهجاء عند ابن منير على النحو التالي:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) عرقلة الدمشقي: هو أبو الندى حسان بن نمير بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة الدمشقي أو بالأعور الكلبي. انظر ترجمته: الخريدة: ج١ ق١/ ١٧٩، فوات الوفيات ج١/ ١٤٤، النجوم الزاهرة ج٦/ ٦٤، شذرات الذهب ج٤/ ٢٢٠.

(٤) ابن عُنين: هو محمد بن نصر الله الحسين، المشهور بابن عُنين، انظر ترجمته: معجم الأدباء ج١٩/ ٨١، مرآة الزمان ج٨/ ٦٤، وفيات الأعيان ج٥/ ١٤٠، النجوم الزاهرة ج٦/ ٢٩٣.

(٥) هذه القصائد تفضل عليّ بها الدكتور شفيق الرقب، فإليه شكري وتقديري وامتناني.

أولًا: الهجاء السياسي ويشمل:

أ- هجاء الحاكم: كتب ابن منير إلى نور الدين من حماة، وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ قصيدة ينال فيها من صاحبها «مجير الدين أبق»[١] الذي تحالف مع الفرنج ضد إخوانه المسلمين ووقع بيده معاهدة الصلح. فوصفه ابن منير بأنه مبير للدين، مارق كافر، ثم يتهكم عليه، ويسخر منه، فيصفه بالأدر، ويؤكد على سلبه من الإسلام، وذلك عندما يصنفه مع النصارى تارة، ومع اليهود تارة أخرى، ثم يذكر عدداً من أعماله السيئة مثل: محاربة حزب الله، وموالاة الفرنج، وظلم الرعية، يقول:

وَقُلْ لِـ «مُبيرِ الدِّينِ» وَهْوَ مُجِيرُهُ ... بِزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ

حَمَلْتَ الصَّلِيبَ بَاغِياً وَنَبَذْتَهُ ... وَثَغْرُكَ مَطْوُوسُ النَّبَاتِ وَأَدْرَدُ

وَحَارَبْتَ حِزْبَ اللَّه وَاللَّهُ نَاصِرُ ... لِنَاصِرِهِ وَدِينُ أَحْمَدَ أَحْمَدُ

تَنَصَّرْتَ حِيناً والْبَلاَءُ مُوَكَّلٌ ... وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ تَتَهَوَّدُ[٢]

ويعود مرة ثانية ليتهكم عليه فيصفه بالحمق والغباء، وأنه يسود قومه بالسياط لا بالعقل والتدبير، ثم يصفه بالتناهي في الظلم، وتجاوز الحد، ويقول: بأن هذا من شيم الضعفاء، فالحاكم القوي الذكي، هو الذي يسوس البلاد بالرأي والفطنة وحسن التدبير. يقول:

رَمَاكَ بِـ «بَاقِلاّ دِمَشْق» فَلَم تَكُنْ ... سِوَى بَقْلَة حَمْقَاءَ بِالْحُمْقِ تُحْصَدُ

وَجَالَدْتَ جَلاَّداً وَأَنتَ مُؤَنَّثٌ ... تَذَكَّرْتَ وَالْجَلاَّدُ أَدهَى وَأَجْلَدُ

تَطَاوَلْتَ لَا نَفْسٌ تُسَمَّى وَلَا أَبٌ ... وَرَاءَكَ زَحْفاً إِنَّمَا أَنْتَ مُقْعَدُ[٣]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص ٢٣١.

(٣) نفسه: ص ٢٣١.

ويركز الشاعر على إلصاق صفة الكفر عليه، وَيُعدُّه من بيتٍ فَرَّخَ فيه الكفر فأمه نصرانية، وأبوه وعمه كما يقول الشاعر مجوسيان، ثم يعرض بوزيره «ابن الصوفي»[1] الذي لا يقل فساداً وظلماً عن سيده. ويصف مجير الدين بأنه عبد للفرنج، ذليل، مهان، ليس له من أمره شيء، فهو بمثابة حجر على رقعة شطرنج يحركه أسياده الفرنج كما يشاؤون، يقول:

تَنَصَّرْتَ أُمّاً بَلْ تَمَجَّسْتَ وَالِداً ... وَعَمّاً فَعِرْقُ الْكُفْرِ فِيكَ مُرَدَّدُ

تَخِذْتَ بَنِي الصُّوفِيّ أَسْراً وأُسْرةً ... لِكَيْ يُصْلِحوا مَا فِي يَدَيْكَ فَأَفْسَدُوا

لَعَمْرِي لَنِعْمَ العَبْدُ أَنْتَ تُجِيعُهُ الـ ... ـمَوَالِي وَتُولِيهِ هَواناً فَيَحْمَدُ[2]

مما تقدم، نلاحظ أن هجاء ابن منير كان يصدر عن عاطفة قوية، وإيمان راسخ بأن تحرير البلاد وتطهيرها من دنس الفرنج لن يتما إلا بعد القضاء على أولئك المتخاذلين من الحكام الذين خانوا دينهم وأمتهم ووطنهم، وقد لاحظنا أن ابن منير قد صب جام غضبه على «مجير الدين» وسلبه كل فضيلة.

ب- **هجاء القاضي**: هجا ابن منير القاضي الأعز «محمد بن هبة الله»[3] قاضي دمشق بقصيدتين وقصيدة ثالثة لم يصرح من المهجو بها، أرجح أنها في هجائه.

ففي القصيدة الأولى -المثبتة في الديوان- وهي القصيدة الزائية، المشهورة بفحشها المليئة بالقذف والسباب، وقد أعرض الكثير من المؤرخين والأدباء عن ذكر أبياتها، وقال الكتبي: «وأنا أستغفر الله من كتابتها»، وقال تدمري: «استغفر الله على كتابتها، وسامح الله ابن منير»[4]. أجتزىء منها ما يخلو من الفحش يقول ابن منير:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص ٢٣٢.

(٣) هو أبو الفتح محمد بن هبة الله بن إبراهيم بن خلف التميمي. قاضي صور، كان ذا مروءة وحسن خلق. ثم تسلم قضاء دمشق ت سنة «٥٣٢هـ» ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦، عيون التواريخ ج١٢/ ٤٣١، شذرات الذهب ج٤/ ١٠١.

(٤) انظر الديوان: ص ١٤٩.

كُنْتُ يَوماً فِي بَابِ جَيْرونَ أَتْلو ... آيَةَ الدَّيْنِ عِنْدَ بيَّاعِ خُبْزِ
فَإِذَا وقْعُ بَغْلَةٍ وغُلاَم ... يُفَرِّجُ النّاسَ بَيْنَ دَفَعٍ وَلَهْزِ
وَعَلَيها فَتَى ضَئِيلُ المُحَيَّا ... مُكْثِرٌ مِنْ مُلَوِّنَاتٍ وَطُرْزِ
قُلْتُ مَنْ ذَا؟ فَقِيلَ قَاضٍ جَلِيلٌ ... لَقَّبُوهُ فِي بَيْتِهِ بَالأَعَزِّ[1]

ويستمر ابن منير في هجائه المسف إلى حد التجرؤ على تصوير العهر والفسق بغير وازع من خلق أو دين، ومن شاء الإطلاع على نماذج من هذا الفحش الصريح المنظوم، ليتبين على ضوئها مقدار ما وصل إليه هذا النوع من الفن وأصحابه من انحلال خلقي. ولعل اخف نموذج أُبيح لنفسي أن أعرضه هنا، لعدول الشاعر عن التصريح إلى أسلوب الرمز والإيحاء قوله على لسان القاضي الأعز مخاطباً ابن منير:

قُلْتُ يَا سَيِّدي أَنَا لَكَ كَالْبِكْـ ... ـرِ زِمَامِي طَوْعٌ لَدَيْكَ وَغُرزِي
كَيْفَ صَرَفْتَنِي انْسَلَلْتُ فَلاَ تَخْـ ... ـشَ حِمَامِي ولا تُؤْثِر فَزّي
فَمَضَى يَومُنَا قَصِيراً بِضَمٍّ ... والْتِزَامٍ وقَرْصِ جِلْدٍ وَنَقْزِ
وَجَرَى بَيْنَنَا اجْتِمَاعٌ مِرَاراً ... فَمُهَنٌّ طَوْراً وطَوْراً مُعَزِّي
أَتُرَى يَسْمَحِ الزَّمَانُ لَنَا يَوْ ... مَاً فَنُشْفِي مِنَ الفِرَاقِ وَنَجْزِي[2]

نلاحظ من الأبيات المتقدمة أنها فوق ما تحمله من عناصر الرمي بالجهل، وقلة العقل، والفحش، تتضمن عناصر أخرى من حيث الطرافة، والسخرية والإيلام، وتدل على مهارة في الصياغة، وبراعة في الخيال.

وفي القصيدة الثانية التي تصل إلى مائة وأربعة وعشرين بيتاً، أثبت منها الدكتور تدمري في الديوان ثلاثة أبيات، أثْبَتُّها في ملحق هذا البحث، عمد الشاعر إلى الإقذاع في الهجاء والفحش فيه، بعد أن نفى عن القاضي صفة القضاء استخفافاً

(١) الديوان: ص ١٤٦.
(٢) نفسه: ص ١٤٨.

بقدره، واستهزاءً بشخصه، فيُعَرِضُ بوجهه الصغير ويشبهه بعُشْرِ عُشْرِ القلامة[1] تعلوه عمة تملأ الفضاء في حجمها. يقول:

يَـا وَزِيـرَ الشَّـامِ دَعْـوَةُ مَظْلُـو ... مٍ رَجَـا مِـنْ عُـلاَكَ كَشْـفَ الظُّـلاَمَـةْ

مُسْتَجِيـرَاً بِمَجْلِـسٍ ثَبَّـتَ اللَّـ ... ـهُ عَلَـى رَغْـمِ ضِـدِّهِ أَيَّـامَـهْ

مِـنْ وَزِيـرٍ بِصُـورٍ قَـدْ كَـانَ مَنْشَـا ... هُ وَقَـدْ جَـاءَنَـا بِـزِيٍّ كُتَـامَـهْ

هُـوَ قَـاضٍ كَمَـا يَقُـولُ وَلَكِـنْ ... مَـا عَلَيْـهِ مِـنَ القَضَـاءِ عَـلاَمَـهْ

عَمَّـةٌ تَمْـلأُ الفَضَـاء عَلَـى وَجْـ ... ـهٍ ضَئِيـلٍ كَعُشْـرِ عُشْـرِ القُـلاَمَـةْ[2]

ويكثر الشاعر من رسم صور السخرية والاستهزاء بعمامة القاضي إلى حد المبالغة، إذ يفرد لها خمسين بيتاً، فيصفها بأنها مليئة بالصور والألوان من حيوانات كالكلاب، والحمير، والوحوش والظباء، وصور للعاهرين والعشاق، ويستدعي صوراً من تاريخ الملوك شرقاً وغرباً، وصوراً من القصص القرآني، فلا يدع حادثة ولا قصة رسول أو نبي إلا ويصورها على عمامة القاضي. يقول:

وَعَلَيْهَـا مِـنَ التَّصَـاوِيـرِ مَـا لَـمْ ... يَجْمَـعِ الـدِّقْـسُ بَعْضَـهُ أَوِ قُمَـامَـه

لَـوْ تَخِـذْنَـا البَحْـرَ المُحِيـطَ مِـدَاداً ... وجَعَلْنَـا بَيَـتَ الـدَّنَـا أَقَـلامَـهَ

لَـم نُمَثِّـل مِعشَـارَ مَـا صَـوَّرَتْ بَيْـ ... ـنَ شَـوَابِيـرِهَـا يَـدُ الـرُّقَـامَـة

مِـنْ وُحُـوشٍ رَوَاتِـعٍ وَظِبَـاءٍ ... رُتَّـعٍ بَيْـنَ أَثْلَـةٍ وثَمَـامَـة

وكِـلاَبٍ قَـدْ أُضْـرِبَـتْ وبُـزَاةٍ ... فَـوْقَ مَـا ثَـوَّرَتْ لَـهُ حَـوَّامَـهْ

إلى أن يصل إلى قوله:

---

(١) القلامة: هي المقلومة عن طرف الظفر -تقول قلمت ظفري وقلمت أظافري. انظر اللسان مادة «قلم» ج١٢/ ٤٩١.

(٢) انظر الملحق في نهاية الرسالة.

فلـو أنَّ الإلـهَ يَـنـفُـخُ فـي الصُّـو رِ لكَـانَـتْ منهَـا تَقـومُ القيَـامَـةُ[1]

ويعود الشاعر ليرسم صورة القاضي وقد بدا صغير الرأس كبير الأذنين، خفيف العقل أحمق غير مسموع الكلمة، لا ينفذ من أحكامه إلا بقدر بعرة الغنم، ويعنّف بالقول على من يمالئونه ويدعون أن فيه الإمامة والقضاء. يقول:

لَا تَقُـولُـوا كَيْـفَ اسْتطَـاعَـتْ ثَبَـا تَـاً فَـوْقَ رَأْسٍ أَخَـفَّ مِـنْ دَوّامَـهْ
غَيـرُ بَـدعٍ أنْ تَحمِـلَ الأرضُ فِيهـا وَلَهـا مِـنْ قَـرْنَيْـهِ أَقْـوَى دَعَـامَـهْ
أَحْمَـقٌ لَـوْ يُقَـالُ فِـي بَلَـدِ الصِّيـ ـنِ طَـرَارٌ أَمْسَـى بِـأَرْضِ اليَمَـامَـهْ
كَـانَ فِـي بَـانِيَـاسَ يَقْضِـي فَـلاَ يَنْـ ـفِـذُ فِـي قَـدْرِ بَعْـرَةٍ أَحْكَـامَـهْ
مَكَّـنَ اللَّـهُ ذَرَّتِـي مِـنْ أَعَـالِـي سُفَّـلٍ يَـدَّعُـونَ فِيـهِ الإِمَـامَـة[2]

نخلص إلى القول بأن ابن منير قد تعرض للصفات الخُلُقية والخلقية للقاضي وبالغ في الاستهزاء والتعريض به وبعلمه، ورماه بالجهل وقلة العقل، وقد أثبت الشاعر مقدرته اللغوية، والفنية، والثقافية من خلال حشده عدداً هائلاً من الصور المستوحاة من التاريخ والقرآن الكريم. ويجدر بي أن أعلل سبب تحامل ابن منير على القاضي، وهل كان القاضي كما وصف الشاعر؟، وهل يستحق القاضي كل هذا التبكيت والتعريض والشتم!.

بعد الرجوع إلى ترْجمة حياة القاضي، والاطلاع على سيرته، نجد النقيض تماماً فلم يكن كما ذكر ابن منير، بل كان رجلاً ذا مروءة، وحسن خلق. ولا أظن سبب تحامل ابن منير عليه يرجع إلى أكثر من خلاف وقع بينهما، أو لأن القاضي كان من المقربين لدى أل طغكتين، وصاحب حظوة كبيرة عندهم، فكان ذلك مؤلماً للشاعر الذي كان يحرص على التقرب منهم.

---

(١) انظر الملحق في نهاية الرسالة.

(٢) انظر الملحق في نهاية الرسالة ص ٢٢٢.

ج- **هجاء الأعيان**: هجا ابن منير بعض الأعيان المقربين من الحاكم، مثل الشاعر ابن القيسراني ت «٥٤٨هـ» الذي كانت بينه وبين شاعرنا علاقة تشوبها المشاحنات والمهاجاة، كما هجا ملك النحاة ت «٥٦٨هـ» وقد تمت الإشارة إليهما في صفحات ماضية عند الحديث عن علاقاته بالشعراء المعاصرين له.

ثانياً: الهجاء الاجتماعي:

هذا الصنف من الهجاء، الذي وصلنا من شعر ابن منير، قليل، فقد هجا بني سكرة، ووصفهم بأنهم جهلة حمقى، وأن جهلهم سبب لهم كثيراً من المتاعب، فقد باتوا مثخنين بالقتل، حتى غدا لهم في كل بيت مأتم، وفي كل أرض مقبرة. يقول:

تَطَبَّبْ بِرَأْيِ الصَّبِيِّ وَالْمَرَهْ ... وَلَا تَقْرَبَنَّ بَنِي سُكَّرَهْ
فَفِي كُلِّ دارٍ لَهُمْ مَأْتَمٌ ... وَفِي كُلِّ أَرْضٍ لَهُمْ مَقْبَرَهْ[1]

ومن هجاء المجتمع أنه هجا أهل دمشق في القصيدة التترية المشهورة، فوصفهم بأنهم أهل ضلال، وأنهم بقر، وأن ماءهم وهواءهم قذر مثلهم، والعالم عندهم جاهل، والعابد محتقر، وحكامهم من أخف الناس عقولاً. ومن كان صاحب علم أو رأي عندهم مُبعد مُقصى، ولا قلوب لهم، وطباعهم جامدة كجبالهم. يقول:

وأَعَنْتُ ضُلَّالَ الشَّآ ... مِ عَلَى الضَّلَالِ الْمُشْهَرْ
وَسَكَنْتُ جِلِّق واقْتَدَيْـ ... ـتُ بِهِم وإنْ كَانُوا بَقَرْ
وَهَواؤُهُمْ كَهَوائِهِم ... طَيْشُ الظَّلِيم إذَا نَفَرْ
وعَلِيمُهُمْ مُسْتَجْهَل ... وَأَخُو الدِّيَانةِ مُحْتَقَرْ
وَخَفِيفُهُمْ مُسْتَثْقَلٌ ... وَثَقِيلُهُمْ فِيهِ العِبَرْ
وطِبَاعُهُمْ كَجِبَالِهِمْ ... جُبِلَتْ وقُدَّتْ مِنْ حَجَرْ[2]

(١) الديوان: ص ١٤١.
(٢) نفسه: ص ١٦٧، ١٦٨.

وقد هجا الناس جميعاً، كما هجا الزمن بأبيات حافلة بأقذع الصفات، الخبث، والدهاء، واللؤم، يقول:

وَصِل الهَجِير بِهَجْرِ قَوْمٍ كُلَّمَا ... أَمْطَرْتَهُمْ عَسَلاً جَنَوا لَكَ حنظلا

لِلَّهِ عِلْمِي بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... ذَنْبُ الفَضِيلَةِ عِندهُمْ أَنْ تَكْمُلاَ[1]

كما هجاء بخيلاً فوصف رغيفه بأنه صغير جداً لا يكاد يُرى ولو أكل الصائم منه ألفاً ما أفطر، ويتساءل الشاعر: كأن خبازه عندما صنعه تحدى به البشر؟ ولا يعرف أهو للأكل أم للعرض؟ يقول:

رَغِيفُهُ مِنْ ذُرَةٍ ... يَصْنَعُهُ أَوْ أَصْغَرَا

مُبَيَّتاً مُلَفَّقاً ... مُبَرْيَقاً مُبَيْكَرَا

لَوْ جَازَ فِي عَيْنِ الَّذِي ... يَأْكُلُهُ لَمَا دَرَى

أو بَلَعَ الصَّائِمُ أل ... فَاً مِثْلَهُ مَا أَفْطَرَا

كَأَنَّمَا خَبَّازُهُ ... بِهِ تَحَدَّى البَشَرَا

فَهَاتِ قُلْ: أَعَرَضاً ... تَجِدْهُ أم جوهرا[2]

وقد هجا المترفين، شباع البطون الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم وشهواتهم، وحذرهم من مغبة الركون إلى هذا المسلك إذ لا بد وأن يأتي يوم يجوع فيه الذين لم يحافظوا على النعمة ويؤدوا حقها، لأن الدهر قُلّب والأيام دول بين الناس. يقول:

يَا شِبَاعَ البُطُونِ لَا بُدَّ مِنْ جَو ... عٍ يَلِيكُ البَطِينَ مِنْكُمْ لِجَامَهْ

لَا يَغُرَّنَّكُمْ مُهَادَنَةُ الدَّهْ ... رِ فَمَا زَالَ مُسْهِراً مَنْ أَنَامَه

كُلّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَنَاهَى إلى حَ ... دٍّ تَمَام فَالنَّقْص يَتْلُو تَمَامَهْ[3]

(١) الديوان: ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) الديوان: ص ٩٥.

(٣) انظر الملحق ص ٢٢٥.

ولعل هذا النوع من الهجاء أقرب إلى النقد الاجتماعي.

مما تقدم نلاحظ أن الهجاء عند ابن منير، يمثل ثورة على مجتمعه، و أصدقائه. فكان هجاؤه قوياً مؤثراً، يعتمد على سلب المهجو كل فضيلة نفسية، وجسدية وقد لجأ في هجائه إلى رسم صورة ساخرة تعتمد على التصوير الوصفي لعيوب المهجو كما اتسم هجاؤه بالفحش في القول، فاستعمل البذيء من الألفاظ، ولم يتحرج من ذكر العورات.

الغَزَل

لم أجد لابن منير شعراً قيل في المرأة، فكل ما وصل إلينا من شعره الغزلي كان في المذكر. وقد شاع هذا اللون من الشعر في الأوساط الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري عندما دخل أبناء الفرس والروم والترك هذا الدين، وكثر السبي من النساء والغلمان الذين عملوا خدماً وسقاة عند المسلمين. ولعل أبا نواس من أوائل من نظم الشعر الغلامي ثم تبعه جمع غفير من الشعراء المسلمين منهم ابن منير.

ومن المعاني المطروقة الشائعة في هذا اللون من الغزل:

وصف العارض وقد خط فيه الشعر، فبدا سواده إلى جانب بياض الوجه، يشبهه ابن منير بعنبر في صحن من الذهب. يقول:

سَقَانِي العَسجَدِيَّةَ ذُو عِذَارٍ ... يُنَمْنِمُ عَنْبَراً في صَحْنِ عَسْجَدِ
وَحَيَّا بالآلِيءِ فِي صُدَافٍ ... مِنَ اليَاقُوتِ طُرِّزَ بالزُّبَرجَدِ[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أننا نجد ذكراً لبعض المظاهر الحضارية التي عاشها الشاعر مثل: العسجدية، صحن عسجد، صداف، والياقوت، والزبرجد، وهذا يدل على المستوى الحضاري الذي عاشه شاعرنا.

ومن الموضوعات التقليدية، وصف تورد الوجنتين، وحمرتهما، فيصور خدّ صاحبه يذوب رقة، وقد لون دموعه بلونه الأحمر القاني. يقول:

أَتُرى يَثْنِهِ عَنْ قَسْوَتِهِ ... خَدُّهُ الذَّائِبُ مِنْ رقَّتِهْ
أَفَأَسْتَنْجِدُه وَهوَ الَّذِي ... لَوَّن الدَّمعَ عَلَى صِبْغَتِهْ[2]

وخد صاحبه يتوهج لمعاناً من شدة جماله:

---

(١) الديوان: ص ٨٨.
(٢) نفسه: ص ٩١.

يبدُو فَتَقرأُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ مِنْ مَشْقِ أَقْلامِ المَلامَةِ أَحْرُفَا[1]

تُدْمِي اللَّوَاحِظُ خَدَّهُ فَتَرَى لَهَا فِيهِ أَثَرْ[2]

ومن شدة حمرة الخدين أن العقرب قد تقلص وخاف من تلظي الوجنتين وآثر السلامة[3]. يقول:

تَقَلَّصَ العَقْرَبُ مِنْ صَدْغِهِ عَنْ خَدِّهِ خَوْفَ تَلَظِّيهِ[4]

ومن الموضوعات التي طرقها ابن منير في غزله وصف الأصداغ، فقد وصف صدغيه كأنهما عناقيد عنب تدلت فوق خديه، استحالت رضاباً في ثغره يرشفه المحب، يقول:

صَدْغُهُ كَرْمَةُ خَمرٍ قُسِّمَتْ بَيْنَ خَدَّيْهِ إِلَى نَكْهَتِه[5]

ويصف صدغيه بِقِصَرِ الشعر من جانبي رأسه، له ضفيرة طويلة، في قفا رأسه يقول:

وَيْلِي مِنَ المُعْرِضِ الغْضَبْانِ إِذَ نَقَل الـ ـوَاشِي إِلَيْهِ حَدِيثَاً كُلُّهُ زُورُ

مُقَصِّرُ الصَّدغِ مَسْبُولٌ ذَوَابَتُهُ لِي مِنْهُ وَجْدَانِ: مَمْدُودٌ وَمَقْصُورُ[6]

كما شبه أسنان محبوبه بالبرد لشدة بياضها. يقول:

عَشِقُوا قَبْلِي ولَكِنِ مَا أَحَبُّوا كَحَبِيبِي

بِأَبِي بَرْدُ ثَنَايَاكَ وَإِنْ أذكى لَهِيبِي

لَا بَلاَكَ اللَّهُ إِنْ أُضْـ ـنِيتَ يَوْماً بِالَّذِي بِي[7]

---

(١) الديوان: ص ١٦١.

(٢) الديوان: ص ١٦١.

(٣) انظر الأدب في بلاد الشام د. عمر موسى باشا. ص ٢٢٤.

(٤) الديوان: ص ٩٣.

(٥) نفسه: ص ٨٦.

(٦) نفسه: ص ٨٩.

(٧) نفسه: ص ١١٥.

وأما عن ريق محبوبه فإن نكهة رائحته كنكهة الورد. يقول في غلام اسمه «ابن بُوبَلَه» عندما ناوله وردة، فارتجل أبو الحسين بن منير يقول:

وَمَضَعَّفُ الطَّرْفِ حَيَّانِي بِمُضْعَّفَةٍ كَأَنَّمَا قُطِفَتْ مِنْ خَدِّ مُهْدِيهَا
رَقَّتْ فَأَحْيَت قَلْبَ نَاشِقِهَا كَأَنَّ عَبْقَةَ فِيهِ أُفْرِغَتْ فِيهَا[1]

وأما عن خصره، فهو لين مهفهف يقول:

وَاهِي مَنَاطَ الخَصْرِ سُنّة عَيْنِه تُقْتَصَّ فِي قَتْلِ النُّفُوسِ وتقتفي[2]

***

مُهَفْهَفُ القَدِّ سَهْلُ الخدّ أَغْرَبُ فِي الـ ـجَمَالِ مِنْ لُثْغَةٍ فِي لَفْظِ نَجْدِيْ[3]

ويصف حواجب محبوبه سوداء مقوسة كالقوس، وسهام مقلتيه هما النبل. يقول:

أَوْ مَا حَاجِبُهُ حَاجِبَهُ إِنْ تَجَافَى عَنْ مَدَى حَفْوَتِه
فَلِهَذَا قَوْسُهُ مُوتَرَة تَسْتَمِدُّ النَّبْلَ مِنْ مُقْلتِه[4]

***

سَلِمْتَ فازْوَرّ يَزوي قوسَ حَاجبِهِ كَأنني كَأْسُ خَمرٍ وهُوَ مَخْمُورُ[5]

ثم ينتقل في الوصف إلى الوجه، فيصفه بالجمال والبهاء كالبدر بعد المحاق، وتارة كالشمس تظهر مشتعلة تتوقد نوراً بعد أن خبت في كسوفها. يقول:

بَدْرٌ إِذَا البَدْرُ سَرَى فِيهِ المَحَاقُ كَمُلاَ

(١) الديوان: ص١١٦، ١١٧. البيت الثاني منكسر الوزن.
(٢) نفسه: ص ٩١.
(٣) نفسه: ص ١٨١.
(٤) نفسه: ص ٨٦.
(٥) نفسه: ص ٩٠.

شَمْـــسٌ إِذَا الشَّمْـــسُ خَبَـــتْ تَحْـــتَ الكُسُـــوفِ اشْتَعَـــلاَ[1]

حتى إن القمر يفخر ويبتهج إن شبه محبوبه به، وهو أكمل في جماله من البدر. يقول:

قَمَـــرٌ لَا فَخْـــرَ للبَـــدرِ سِـــوَى أَنَّـــهُ أَصْبَـــحَ فِـــي صُـــورَتِـــه[2]

يَـــا كَـــامِـــلاً وجْهُـــهُ عَـــلَّـــم البُـــــدُورَ الـكَـمَـــــالَا[3]

ويصف محبوبه بجمال مفرط في الوجه لدرجة أنه يأخذ العقول، ولو أن جماله وضع في الشمس لم يغشها الظلام. يقول:

يَـــا قَـمَـــراً أَصْبَحَـــتْ مَحَـــاسِـنُـــهُ تَـنْـهَـــبُ البَـــابـنَـــا وتَـقْـتَـسِـــمُ

فِيـــكَ مَعـــانٍ لَـــوْ أَنَّهـــا جُمِعَـــتْ فِي الشَّمْسِ لَمْ يَـغْشَ نُـورَهَا الظُّـلَـمُ[4]

حتى أن بدر الدجى يتعجب من حسن وجهه. يقول:

يَـجِلُّ عَنِ الـتَّـشْبِيهِ فِي الحُسنِ وَجْهُهُ فَـبَـدْرُ الدُّجَى مِنْ حُسْنِهِ يَـتَـعَجَّبُ[5]

ثم يصف فتور عيني محبوبه بقوله:

أَيْـنَ مِنِّـي الصَّبْـرُ عَـنْ وَجْهِـكَ أَيْـنْ بَيْـنَ قَلْبِـي وسُلُـوِّي عَنْـكَ بَـيْـنْ

واهِـــنُ العَـــزْمِ إِذَا اسْتَـنْجَـدْتَـــهُ فَـتَّـــرَتْـــهُ فَـتَـرَاتُ المُقْلَـتَـيْـــنْ[6]

ويجمع إلى فتور العينين جمال الأجفان. يقول:

مُحَـــدِّثٌ تَحَـــدَّث أَمْـــرَاضَنَـــا أَجْفَـــانُـــه الفَـــاتِـنَـــةُ الفَـــاتِـــرْه[7]

---

(١) الديوان: ص ٨٥.

(٢) نفسه: ص ٨٦.

(٣) الديوان: ص ٨٧.

(٤) نفسه: ص ٩٦.

(٥) نفسه: ص ١٤٣.

(٦) نفسه: ص ٨٩.

(٧) نفسه: ص ١٤٠.

ومن المعاني المطروقة، التي جدد ابن منير في صورتها الخال، فقد أكثر ابن منير من ذكر الخال في أشعاره، وفي ذلك يقول العماد الأصفهاني: «وأكثر أشعاره في الخال، وقد ردد المعنى فيها»[١] وقد عُدَّ ابن منير مبتكراً في بعض المعاني التي تدور في هذا المضمار[٢] فمن ذلك: أنه رسم للخالات صورة جميلة عندما صور خال محبوبه جذوة متقدة من نار فؤاده:

أَنْكَرَتْ مُقْلَتُهُ سَفْكَ دَمِي ... وَعَلاَ وَجْنَتَهُ فَاعْتَرَفَتْ

لَا تَخَالُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ ... قَطْرَة مِنْ دَمِ جَفْنِي نَطَفَتْ

ذَاكَ مِنْ نَارِ فُؤَادِي جَذْوَةٌ ... فِيهِ سَاخَتْ وَانْطَفَتْ ثُمَّ طَفَتْ[٣]

ثم يقول في الخال: لا تظنوا الخال على خده نقطة مسك سقطت، إنما هو حبة فؤاده سُلبت من قلبه واستوت خالاً على خدّه. يقول:

أَتَخَالُ الخَالَ يَعْلُو خَدَّهُ ... نَقْطَ مِسْكٍ ذَابَ مِنْ طُرَّتِهْ

ذَاكَ قَلْبِي سُلِبَتْ حَبَّتُهْ ... وَاسْتَوَتْ خَالاً عَلَى وَجْنَتِهْ[٤]

ونراه يصور الحسن نقاشاً ينقش بدقة ولطف، فيرسم شامة على وجنة محبوبه ليغيظ بها حساده.

نَقَشَ الحُسْنُ عَلَى وَجْنَتِهِ ... شَامَةً أَشْمَتُّ حُسَّادِي بِهَا[٥]

ويعبر عن عاطفته الجياشة، وحبه لمحبوبه، بسبب وجود الخال الذي كسا وجنته سحراً وجمالاً، ثم يصور الشاعر حالته، وقد أصيب ببلاء العشق الذي أَرَّقَ مضاجعه وكساه نحولاً، وضعفاً. يقول:

---

(١) الخريدة: ج١ ق١/ ٨٠.

(٢) انظر الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين: ٢٢٤.

(٣) الديوان: ص ٨٣.

(٤) نفسه: ص ٨٦.

(٥) نفسه: ص ٨٤.

لَيْتَ اعْتِدَال قَدِّهِ عَطَفَهُ فَعَدَلاَ
بَلْ لَيْتَ صَحْن خَدِّهِ مِنْ ذَلِكَ الخَالِ خَلاَ
فَهوَ الَّذِي قَلَّبَ قَلْ بِي فِي قَوالِبِ البَلاَ[1]

ثم يقول:

سَلَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِي وَصُغْتُهَا لَكَ خَالاً
فَقَدْ كَسَتْنِي نُحُولاً كَمَا كَسَتْكَ جَمَالاً[2]

وأما عن شكوى الهجران، والبعد عن المحبوب، فقد أطار النوم من عينيه، وجفت عيناه من كثرة الدمع على فراق المحبوب، يقول:

عَذَّبُونِي بِهَجْرِكُمْ عَذَّبُونِي واطْرُدُوا طَارِقَ الكَرَى عَنْ جُفُونِي
أُوهْبُونِي دَمْعاً لَعَلَّ مُعِينَ الدَّ معِ يَوماً عَلَى هَواكُم مُعِينِي[3]

ومن غزلياته في الشكوى من القطيعة، والهجران بسبب الوشاة، وكثرة العتاب. قوله:

جَعَلَ القَطِيعَةَ سُلَّماً لِعِتَابِهِ مُتَجَرِّمٌ جَانٍ عَلَى أَحْبَابِهِ
مَا زَالَ يُضْمِرُ غَدْرَهُ مُتَعَلِّلاً لِوُشَاتِه مُتَسَتِّراً بِكُذَّابِهِ
حَتَّى تحَدَّثَ نَاظِرَاهُ فَحَلَّلاَ مَا كَانَ أَوثَقَ مِنْ عُرَى أَعتَابِهِ[4]

ومن طريف شعر ابن منير القصيدة التي تغزل فيها بصبي أمرد من أقارب طغتكين، صاحب دمشق وهو «حسام الدين دلق بن أبق» فقد جمعت هذه القصيدة معظم المعاني المطروقة في الغزل الغلامي. يقول:

---

(١) الديوان: ص ٨٥.
(٢) نفسه: ص ٨٧.
(٣) نفسه: ٩٤.
(٤) نفسه: ص ١١٨.

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فِي صَدْرِ الرُّدَيْنِي وَمَوَّهَ السِّحْرَ فِي حَدِّ اليَمَانِيّ
وَأَنْزَلَ النَّيِّرَ الأَعْلَى إِلَى فَلَكٍ مَدَارُهُ فِي القِبَاءِ الخُسرَوَانِيّ
طَرْفُ رَنَا أَمْ قَرِابٌ سُلَّ صَارِمُهُ وَأَغْيَدُ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِّي
أَذَلَّنِي بَعْدَ عِز والْهَوَى أَبَداً يَسْتَعْبِدُ اللَّيْثَ للظَّبْي الكَنَاسِيّ
أَمَا وَذَوائِب مِسْكٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ عَلَى أَعَالِي القَضِيبِ الخَيْزُرَانِيّ
ومَا يُجَنُّ عَقِيقَيَّ الشَّفَاه مِنَ الـ ـرِّيقِ الرَّحِيقِيّ وَالثَّغْرِ الجُمَانِيّ
إِبَاءُ فَارِسِي مَعَ لِينِ الشَّآمِ مَعَ الـ ـظَّرْفِ العِرَاقِي فِي النُّطْقِ الحِجَازِيّ[1]

أجاد ابن منير في هذه القصيدة ورسم صوراً غاية في الجمال، فلا غرو أن يستشهد بها معظم من ترجم لابن منير، فهو يتعجب من بدر يراه في صدر رمح رديني مهيء لإصابة المحب في الصميم، وإنه ليعجب أن يكون سحر العين مموها في حد السيف اليماني، وأن يرى القمر أمام عينيه يدور على الأرض في كساء فارسي حريري، ويعجب هل العين طرف يديم النظر أم غمد سل سيفه القاطع. وهل هو بإزاء قدٍ شائق ناعم يتثنى، أو بإزاء أعطاف رمح خطّي قاتل، ويقول إن الهوى يستعبد الليث القاتل للظبي الوادع الذي يعيش في كناسه أو مأواه الآمن. ويرى ذوائب الشعر على أعالي هذا الغصن الخيزراني الأملس الناعم، تقطر ذوب المسك. أما الشفاه فوراءها الثغر الفضي من الأسنان والريق الرحيق السائغ[2]، ثم يبين الشاعر أن مفاتن محبوبه كثيرة فلم تقتصر على المرئي من حسنه، بل المسموع من صوته وإنشاده. ويقول إن محبوبه جمع فيه لين الشام، وظرف العراق، ونطق الحجاز.

مما تقدم نستطيع القول أن ابن منير أجاد في غزلياته وبرع فيها، وجاءت أبياته

(١) الديوان: ص ١٧٨، ١٧٩، الوزن محطم في البيتين الخامس والسادس.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر والشام، د. شوقي ضيف. دار المعارف، مصر، ١٩٨٤، ص ٢٠٩.

رقيقة في معانيها وألفاظها، جذابة في صورها، وقد استطاع أن يصوغ الصور الغزلية القديمة بقالب حيوي جديد كما في الخيلان، والوجنات، والأصداغ، وفي بناء القصيدة ظل متمسكاً بالتراث العربي القديم. كما دلت الصور التي رسمها على خصب خياله ومقدرته الفائقة.

ولا يفوتني أن أنوه أن ابن منير قد استعار من الغزل بالمؤنث كثيراً من الصور الجمالية والمعاني الغزلية وألبسها لمحبوبه، فيظن القارىء للوهلة الأولى أن المخاطب بهذا الغزل هو أنثى وليس ذكراً. فمن ذلك جمال الوجه وهفهفة القدّ، وحمرة الخد، ونحول الجسد بسبب الفراق والهجران.

المَـديِـح

كان المديح من أهم أغراض الشعر في هذه الفترة، فقد تغلب هذا اللون من الشعر على سائر الفنون الشعرية الأخرى. ولعل السبب في ذلك أن المديح أداة ارتزاق، وحرفة تكسب درج عليها الشعراء منذ القدم. زد على ذلك أن طبيعة الصراع بين المسلمين والفرنج أفرزت نوعين من القادة، والأمراء. نوعاً انشغل بملذات العيش، وما يشبع هواه، وأعطى الدنية للأعداء فمد يد الإثم والخيانة لمصافحة الفرنج، بل إن بعضهم استنجد بالفرنج لمقاتلة المسلمين، ونوعاً رفضوا رغد العيش، في ظل الاحتلال الفرنجي لديار الإسلام، وأدركوا أن الجهاد هو الطريق الوحيد لدرء خطر الفرنج واستعادة الأرض، وصون العرض وصنع المجد.

لقد كانت نفوس الناس يمثلهم الشعراء تشرئب لمثل هذه البطولات، وكثر شعر المديح، وتسابق الشعراء في هذا الميدان. بيد أن هنالك أمراً لا بدّ من الإشارة إليه: أن مدح الشعراء لهذا الصنف من الحكام، والأمراء كان مدح إعجاب وتقدير، ينبع من عاطفة صادقة قبل أن ينبع من الطمع في المال.

وقد زخر شعر ابن منير بهذا الصنف من الشعر في مدح أعظم بطلين عاشا في عصره وقادا حركة الجهاد المبكر ضد الصليبيين، وهما عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين.

وما تبقى لابن منير من شعر المديح، كان تقليدياً. فقد تعدد ممدوحوه: فمدح أبا العساكر سلطان بن منقذ أمير شيزر في أثناء إقامته بها. فصوره بأنه صاحب فضل كبير، وقلب عطوف وبالغ الشاعر في مدحه، فقد حاز فيما قال على صفحات الكمال التي لا توجد في غيره، يسبغ عليه من صفات الشجاعة والبطولة، ثم يفصح عن طبيعة العلاقة بينه وبين أبي العساكر، فيقول بأنها ليست علاقة مادح مع

ممدوحه، إنما هي علاقة ودٍ وصداقة، لذلك يصف مدحه له بأنه مخلص نابع من مشاعره الصادقة تجاهه، يقول:

مَـوْلَايَ عَبْـدُكَ مَـا أَقَـامَ لأِنْ رَجَـا ... مَـولَـى سِـوَاكَ وَلَا تَجَـدَّدَ أَنْ سَـلاَ
أَنَـا غَـرْسُ أَنْـعُمِـكَ الـذي غَـذَّيْـتَـهُ ... خَطَـرَاتِ عَطْفِـكَ فَـارْتَـوَى وَتَـهَـلَّـلاَ
ضَمِنَـتْ لَـهُ أَجْـدَادُهُ وجُـدُودُه ... عَـدَمَ النَّظِيـرِ فَجَـاءَ أُوْحَـدَ أَكْمَـلاَ
كَـالسَّيْـفِ جَـوْهَـرُهُ وعنصـر ذَاتِـهِ ... صَفْواً فَأَغْـنَـتْـهُ الصِّفَاتُ عَنِ الكَلَى
أَصْفَـيْـتَـنِـي فَحَبَـاكَ صَفْـوُ خَـوَاطِـري ... مَـدْحَـاً تَخَـالُ مِـنَ الجَـلاَلِ تَغَـزُّلَا
وكَـذَاكَ أَصْبَـحَ مِنْـكَ شِعْـرِي كَلُّـهُ ... قَـوْلًا وَأَصْبَحَ فِـي سِـوَاكَ تَقَـوُّلَا[1]

كما مدح ابن منير الوزير أثير الدين بهاء الملك فخر المعالي بن صدقة[2]، وزير الخليفة العباسي المسترشد بالله. فنعته بعدة صفات تتمثل في العقل والشجاعة والجود، والكرم، ثم صوره يقظان يسهر على راحة الرعية، وبسهره نال من الرفعة والمجد أشرفهما. يقول:

وَتُـضِـيءُ للسَّـارِيـنَ دُون حِجـابِهَـا ... غُـــرَرُ الجِيَـــادِ وَحَلْبَـــةُ الأَجْيَـــادِ
يُـسْفِرنَ عَنْ سُحُبٍ سَوَافَر عَنْ سَنَاً ... مِثْـل الأَهِلَّـة فِـي فُـرُوع صِعَـادِ
يَـقْـظَانَ يُـسْـهِرُ عَـيْـنَـهُ حُبُّ العُلَى ... ومِنْ المُحَالِ هَوىً بِـغَـيْـرِ سُهَادِ[3]

ومن الذين مدحهم ابن منير، شرف الإسلام أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي المعروف بابن الحنبلي الواعظ الفقيه[4]. رسم له صورة واضحة المعالم، ووصفه هو وأهل بيته بأنهم أعادوا المعروف بعد أن فُقد من دنيا الناس،

(١) الديوان: ص ١٠٦-١٠٨.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) الديوان: ص ١٣٦، «الوزن محطم» في البيت الأول.
(٤) سبقت ترجمته.

وهم الذين وضعوا النباهة والمروءة والكرم، وهم أهل القرآن، وفقهاء الإسلام، وعلماء هذا الدين، وخطباؤه بلا منازع. يقول:

وَلَعَمْرِي لَوْلَا بَقِيَّةُ عَبدِالوَاحِدِ ... الحَنْبَلِيّ أُعْضِلَ دَاؤُهُ

هُمْ أعادُوا الْمعرُوفَ غَضّاً وَقَدْ صوَّ ... حَ مُخْضَرُّهُ وَغَاضَ بَهَاؤُهُ

مَعْشَرٌ أُرْضِعُوا النَّبَاهَةَ مِنْ عُو ... دِ نُضَارُ مَاءِ المُرُوءَةِ مَاؤُهُ

أَهْلُهُ أَنْتُمْ ومَنْ لَمْ يَقُلْ قَوْ ... لِي عمَّمَتْ عَيْنُهُ أَعْضَاؤُهُ

فُقَهَاءُ الإسْلَامِ إنْ عَنَّ ... لَبِسَ أَحْبَارُهُ خُطبَاؤُهُ[1]

ومدح رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[2] ببضعة أبيات ضمنها قصيدة طويلة، اشتملت على تسعة وتسعين بيتاً، جلها في النيل من أعدائه وحساده الذين أشاعوا نبأ وفاته عندما كان مقيماً في حماة.

وقد أشرت إلى هذه الأبيات في غير هذا الموضع ولا بأس من ذكرها مرة ثانية لاختلاف السياق الذي ذكرت به.

يصف الشاعر ممدوحه بالسخاء والعطاء، وهو مثال للوفاء، ويعتبر الشاعر نفسه قريباً من الممدوح، مخلصاً في حبه ومدحه، ثم ينعته بالعدل والإنصاف، لذلك يطمئن الشاعر إلى أنه سينصفه من أعدائه الذين نالوا منه، ومن ممتلكاته في حلب. يقول:

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذي يَدُهُ صِرْ ... فٌ بِهِ أَسْتَكِفُّ صَرْفَ الزَّمَانِ

وَالذِي أَحْسَنَ الوَفَاءَ بِعَهْدِي ... فَاتَّهَمْتُ الوَافِينَ مِنْ خِلَّانِي

والَّذِي فِي هَوَاهُ أَخْلَصْتُ دِينِي ... يَومَ تُبلَى سَرائِرُ الأَدْيَانِ

(١) الديوان: ص ١٤٤. البيت الأخير منكسر الوزن.

(٢) سبقت ترجمته.

يَـا أَبَـا سَـالِـم إِذَا كُـنْـتَ رَدْئِـي سَـالِمـاً فَـالقَضَـاءُ مِـنْ أَعْـوَانِـي[1]

وفي سنة ٥٠٩هـ مدح «مهذب الملك أبو الحسين ابن منير» تاج الملوك «بوري ابن طغتكين»[2] حاكم دمشق بقصيدة طويلة، ضاع معظمها ولم يبق سوى ذكر متنزهات دمشق، وبعض أبيات المديح فمن ذلك أنه أثنى عليه، وأشاد به وبملكه، فرآه عريق المجد، ذا همة سامية، بسط على رعيته رواق رعايته وعنايته، ومد عليهم ظل رأفته، فامتد سلطانه، ودام عزه، وافتخرت دولته بتاج ملكه، حتى غدت بين الممالك كالشمس وسط النجوم. يقول:

عَـرِيـقُ مَجْـدٍ يَـرَى سَـاسَـانَ مَنْصِبـهُ مِـنَ المَـوارِنِ مِنْهَـا وَالعَـرَانِيـنِ
وَهِمَّـةٌ قَـدْ سَمَـتْ لِلْمُلْـكِ تَكْلـؤُهُ أَجْـرَتْـهُ فِـي فَلَكَـيْ عِـزٍّ وَتَمْكِيـنِ
تَتَـوَّجَ المُلْـكُ مِـنْ تَـاجِ المُلُـوكِ سَنَـاً شَمْسٌ مَحَـتْ كُـلَّ تَـأْثِيرٍ وَتَـزْيِيـنِ[3]

ثم مدح جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي بن أبي منصور[4] وزير الموصل بقصيدة، جعله فيها مثلاً أعلى للعفة والعقل والشجاعة والعدل والصفح والتسامح والبذل والعطاء والقوة والإباء. يقول:

عَشَيْتُـمْ يَـا وُلَاةَ الأَمْـرِ عمـا أُتِيـحَ لـه مـن الأَثَـرِ الجَمِيـلِ
مـآثِـرُ بَـاقِيـاتٍ يَـوْمَ يَجنـي الـ ـمقـال ويَجْتَنِـي طِيـبُ المَقِيـلِ
وَكَـمْ لِلْمُـوصِـل الحَـدْبَـاءِ مِمَّـا تُنِيـلُ يَـدَاهُ مِـنْ رِيـفٍ وَنِيـلِ
بَـرُودُ الصَّفْـحِ مُلْتَهَـبُ الحَـوَاشِـي مَهِيـبُ البَطْـشِ فَـرَّاسُ الـدَّخُـولِ[5]

(١) الديوان: ص ١٥٢-١٥٧.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) الديوان: ص ١٧٦.
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) الديوان: ص ٢٦٩. البيت الأول منكسر الوزن.

مما تقدم يمكن أن نتلمس السمات الموضوعية للمديح عند ابن منير وهي:

- اسبغ ابن منير الفضائل الخُلقُية والنفسية على ممدوحيه، وقد طغت النواحي المعنوية على النواحي المادية في مديحه.
- كان يبالغ أحياناً في مديحه كما رأينا، فالممدوح عنده لا نظير له بين الناس.
- لم يخرج في مدحه عن الأوصاف التي طرقها السابقون، بمعنى أن مقاييس المديح عند ابن منير هي نفسها عند القدماء، وهي بلوغ الحد الأعلى من الخصال الحميدة، سواء كانت موجودة فيه أم غير موجودة.

الوَصْف

الوصف قليل فيما وصل إلينا من شعر ابن منير، فلم يزد ما وصلنا من شعره على قصيدتين في وصف متنزهات دمشق الجميلة، ومقطوعتين وأبيات متناثرة في وصف السيف والخيل.

وقد تنوع الوصف في شعر ابن منير فمن ذلك وصف المظاهر الحضارية والاجتماعية كوصف ناعورة يصف فيه خرير الماء المنساب منها كلحن العشق يهيج في القلب، فيثير الوجد والحرقة تجاه المحبوب، والناعورة تماثل الأفلاك في جمالها، وحركتها، فهي في دوران مستمر، وفي أثناء دورانها يتوزع الماء فيها حسب علوها وهبوطها، فمنها ما هو مليء بالماء، ومنها ما فيه إلى منتصفه، ومنها ما هو فارغ، وكأن الماء قد قسم فيها تقسيم جاهل بالحقوق، وهذا مدخل لما يريد أن يتكلم عنه الشاعر، فالشاعر يشكو الزمان، والحظ الذي نكَّسَ أهل الفضائل والعلم، ورفع الوضيع. يقول:

لِنَـواعِيـرِهَـا عَلَـى المـاءِ أَلْحَـا ... نٌ تَهِيـجُ الشَّجَـا لِقَلْـبِ المَشُـوقِ

فَهِـيَ مِثْـلُ الأَفْـلاَكِ شَكْـلاً وَفِعْـلاً ... قُسِّمَـتْ قِسْـمَ جَـاهِـلٍ بـالحُقُـوقِ

بَيْـنَ عَـالٍ سَـافِلٍ يُنَكِّسُـهُ الحَـ ... ـظُّ وَيَعْلُـوُ بِسَـافِـلٍ مَـرْزُوقِ (١)

ووصف ابن منير الطبيعة، فبرع في تصويرها، وأجاد القول فيها. شأنه في ذلك شأن شعراء الشام الذين كانت لهم عناية بوصف طبيعة الشام وبيئتها الجميلة، ومشاهدها الخلابة. فها هو يصف روضة غناء، تشدو الطيور وترقص في سمائها مع هبات النسيم، تتوسطها ناعورة والماء يحرك دولابها، فيشبه حركة الدولاب وظهور ضلوعه بالإنسان الذي يبكي حرقة وألماً فمن شدّة البكاء وكثرته برزت ضلوعه وهي

(١) الديوان: ص ١٣٢.

صورة رقيقة مؤلمة حزينة يقول:

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ ضَاعَ نَشْرُهَا فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طُيُورُ
وَدُولابُهَا أَضْحَى تُعَدُّ ضُلُوعُهُ لِكَثْرَةِ مَا يَبْكِي بِهَا وَيَدُورُ[1]

ولابن منير في وصف متنزهات دمشق وقراها أبيات ضمنها القصيدة التي مدح بها تاج الملوك بوري طغتكين، إذ يقف الشاعر على دمشق وغوطتها وقفة إكبار وإعزاز فيحييها ثم يصف جمال الربيع في دمشق، ويستذكر صورة دمشق، وقد أخذ البرد يتسلل مع بواكير فصل الشتاء، ليضفي على الحياة نكهة ذات طعم خاص، ثم يصور دمشق بدوحة تضم باقة من الأزهار وبساطاً أخضر يفرش أرضها، ويجلل سماءها أسراب من الطيور تصدح وتشدو، وهي تتراقص فرحاً وطرباً. ثم يصور دمشق بغادة حسناء فاتنة، ذات ذوائب سود تتدلى على خدود حمر، ومباسم بيضاء في أجان خضر، وهي صورة جميلة رقيقة. يقول:

حَيِّ الدِّيَارَ عَلَى عَلْيَاءِ «جَيْرونِ» مَهْوَى الهَوَى وَمَغَانِي الخُرَّدِ العِينِ

ثم يقول:

وَاهَاً لِطِيبِ عُدَيَّاتِ الرَّبِيعِ بِهَا وَبَرْدِ أَنْفَاسِ آصَالِ التَّشَارِينِ
أَبْدَتْ دِمَشْقُ رَبِيعاً جَلَّ صَانِعُهُ يَأْتِيكَ فِي كُلِّ حِينٍ غَيْرَ مَكْنُونِ
سُودُ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدودِ عَلَى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ
آيَاتُ حُسْنٍ غَنِيَّاتٌ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الأَدِلَّةِ فِيهَا والبَرَاهِينِ[2]

ومن قصيدة أخرى في وصف دمشق ومتنزهاتها، وما تمتاز به من جمال الطبيعة المفعمة بسحرها الأخاذ، ومناظرها الخلابة، مما جعلها في نظر الشاعر جنّة الدنيا إذ ضمت إلى مناظرها البهيجة، غلماناً ونساءً حسان الوجوه يزينون أرضها كما أن

(١) الديوان: ص ١٣٣.
(٢) نفسه: ص ١٧٢-١٧٦.

الحور العين والغلمان الحسان يزينون جنّة السماء. يقول:

دَارٌ هِـيَ الجَنَّـةُ المَحْبُـورُ سَـاكِنُهَـا ... إِنْ لَـمْ تُكِنْهـا وإِلَّا فَهْـي تَحْكِيهَـا

تَبَـارَكَ اللَّـهُ كَـمْ مِـنْ مَنْظَـرٍ بهِـجٍ ... يَسْتَـوْقِـفُ الطَّرْفَ فِي بَطْحَاءِ وَادِيهَا

مَا بَـيْنَ ظَبْيِ بِلَحْظِ الطَّرْفِ أَقْنُصُـهُ ... وَظَـبْيَـةٍ بِخِـدَاعِ القَـوْلِ أَحْـوِيهَـا[1]

ثم ينتقل الشاعر إلى نوع آخر من الوصف، ما يعرف بالوصف الحربي، فوصف أدوات القتال ووصف الخيل وأضفى عليها صفات النجابة والأصل، وسرعة السير، فهي كالسهام في الكر والفر، وكالطيور في العلو والمكانة، يقول:

تُـدْنِـي لَـكَ الأَمَـلَ البَعِـدَ سَـوَاهِـمٌ ... مُحِقَـتْ أَهِلَّتُهَـا وَكُـنَّ بُـدُورَا

مِثْـلُ السِّهَـامِ لـو ابْـتَـغَـى ذُو أَرْبـع ... فِـي الجَـوِّ مُطَّلَبَـاً لَـكُـنَّ طُيُـورَا

نَـبَـذَتْ عَلاَئِـقُهَا «بِحُمْص» وَأَعْلَقَتْ ... سِحْـراً بِمَعْـرِقِ[2] عِـرْقَـةَ الأُظْفُـورَا[3]

ومن قصيدة أخرى يصف بها الخيل وينعتها بالقوة والمقدرة الفائقة على تذليل الصعاب، واختراق الآفاق، واجتياز المسافات الطوال فهي كالسحاب لا يعوقها عائق يقول:

بـالمَقْـرُبَـاتِ كَـأَنَّ مُتُـونَهـا ... جَـنَّ المَـلاَ وكَـأَنَّهـا أَطْـوَادُ

سُحُـبٌ إِذَا سَحَبَـتْ بِـأَرْضٍ ذَيْلَهـا ... فَـالحَـزْنُ سَهْـلٌ والْهِضَـابُ وهَـادُ[4]

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف السيف، فوصفه وصفاً موفقاً برع فيه وأجاد، فالسيف هندي قاطع لامع، برّاق كالشمس، أبيض كبياض الشيب لكنه قوي بتّار كنزق الشباب، يقول:

---

(١) الديوان: ص ١٧٨.

(٢) بمعرق: العريق من الناس والخيل، انظر اللسان مادة «عرق».
الأظفورا: أظفر، أنشب. انظر اللسان مادة «ظفر».

(٣) الديوان: ص ٢٤٤.

(٤) نفسه: ص ٢٦٢.

هَتَكْتَ حِجَابَهُ والشَّمْسُ وَسْنَى بِشَمْسٍ لَا تُوارَى بالحِجَابِ
بِأَبْيَضَ مِن حَبيك الهِندَ صَافٍ مَصُونِ المَتْنِ مُبْتَذَلِ الذَّبَابِ
لَهُ سِمَةُ الشُّيُوخِ صَفَاءُ شَيْبٍ وَفِي خَطَرَاتِه نَزَقُ الشَّبَابِ[1]

وأود أن أنوه، بأنّ وصف ابن منير كان مشبعاً بالدقة والأناة في رسم الصورة وخصب الخيال. كما أجاد في اختيار اللوحات الطبيعية التي قدمها لنا. ومما يؤخذ عليه أن معظم أوصافه تتجه إلى الحسية دون التغلغل إلى ما وراءها، ومع ذلك، فقد كان شاعرنا موفقاً في منهجه الوصفي.

(١) نفسه: ص ٢٥٣.

الرِّثـاء والتَـعْـزِيَـة

الرثاء موضوع قديم، حتى ليكاد يرقى إلى بدايات العصور الرعوية في التاريخ البشري[١]، والرثاء لا يعدو أن يكون مدحاً للميت ينزع الشاعر في مرثيته لذكر مناقب المرثي التي كان يتحلى بها[٢] مثل الكرم والجود والشجاعة وحسن الخلق، وهذا من باب تطييب نفوس الأحياء، ونوع من العزاء.

ولدى العودة لشعر ابن منير الذي وصل إلينا نلاحظ أنه خلا من هذا الصنف من الشعر. فلم أعثر سوى على بيتين من الشعر رثى فيهما نفسه، يؤكد فيهما على حتمية الموت، وأن الله قد جعل لكل أجل كتاباً، ثم طلب ممن يزور قبره أن يترحم عليه، وأن يدعو الله له بالرحمة، والمغفرة، يقول:

مَـنْ زَارَ قَـبْـرِي فَـلْـيَـكُـن مُـوقِـنَـاً ... أَنَّ الـــذِي أَلْـقَـــاهُ يَـلْـقَـــاهُ

فَـيَـــرْحَـــمِ اللَّـــهُ امْـــرَءاً زَارَنِـــي ... وَقَـــالَ لِـــي يَـــرْحَمُـــكَ اللَّـــهُ[٣]

ثم عثرت على قصيدة في التعزية قالها ابن منير معزياً بوفاة سيف الدين غازي بن زنكي، صاحب الموصل أخي نور الدين الأكبر، في أواخر سنة ٥٤٤هـ وأظن أن هذا اللون فقد مع ما فقد من شعره. ومهما يكن فإنني قد أستطيع أن أتلمس من هذه القصيدة طريقة ابن منير في الرثاء، وأسلوبه في تناول هذا الصنف من الشعر، رغم أن الأبيات لا تزيد عن ثلاثة وعشرين بيتاً، فالقصيدة عزاء موجه لملك لا لبطل، هو ممدوح الشاعر، فلا بدّ إذاً للشاعر من أن يمزج المديح بالتعزية. إذ لا يكاد شاعرنا يترك حدثاً أو مناسبة إلا ويتخذ منها مجالاً للإشادة بنور الدين، ويمجد البطولة فيه،

---

(١) انظر كتاب مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥، ص ٣٣٢.

(٢) انظر العمدة: ج٢/ ٨٠٥.

(٣) الديوان: ص ١٢١. البيت الثاني محطم الوزن.

أضف إلى ذلك أن المرثي بطل أذاق الفرنج ويلات الهزيمة في أكثر من موقع. قال عنه أبو شامة: «كان من أحسن الناس صورة.. وكان كريماً شجاعاً ذا عزم وحزم»[1].

وأرى أن ابن منير قد قسم القصيدة إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول:

خصصه لمدح نور الدين زنكي، وتمجيد البطولة فيه. فينعته بعدة صفات: فهو الأسد الهُمام الذي هابته الفرنج، وهو صانع البطولة والأمجاد، وهو الذي بسط على الأمة جناح العدل، وأظلهم ظل الرأفة، فقرت أعينهم به، وكان كالبدر في الليلة الظلماء وهو الذي أحيا الأمل والرجاء في جسد الأمة التي كانت دونه رمماً لا حراك فيها، يقول:

خَنَسَ الثَّعالِبُ حِينَ زَمجَر مُصْحِرٌ ... مَلأَ البِلادَ هُمَاهِماً وَزَئِيراً

أَسَدٌ إِذَا مَا عَادَ مِنْ ظَفرٍ بِمُفْـ ... ـتَرسٍ أَحَدَّ لِمِثْلِهِ أُظْفُورا

يَتَنَاذَرُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ سَطْوَةً ... مَلءَ الزَّمَانِ تَغَيُّظاً وَزَفِيرَا

شَوَى كُلَ مَا جَنَتِ الحَادِثَا ... تُ مَا كُنتَ ظِلاً عَلينَا قَرِيرَا

أَسَأْنَ وَأَحْسَنَ كُنَ الهِلالِ ... ومَلأْنَنَا مِنْكَ بَدْراً مُنِيرَا

حَيَاتُكَ أَحْيَتْ رَمِيمَ الرَّجَاءِ ... وَأَمْطَتْ مِنَ الجُودِ ظُهْراً ظَهِيراً[2]

وفي **القسم الثاني** من القصيدة ذكر مناقب المرثي، التي هي في نظر الشاعر مستوحاة من صفات ومناقب نور الدين، فالمرثي شجاع، وبطل مغوار، وهو جواد كريم، يقاسم نور الدين في الأمجاد والانتصارات. بل يصفه بأنه نظير نور الدين، حتى إن الزمان غار على نور الدين أن يكون له نظير، فجاء الأجل المقدر، لينفذ أمر

(١) الروضتين ج١ ق١/ ١٦٨.

(٢) الديوان: ص ٢١٨، ٢١٩.

الله في ألا يكون لنور الدين نظير يقاسمه البطولة والمجد. يقول:

ومَـا أَغْمَـدَ الـدَّهْـرُ ذَاكَ الحُسَـا ... مِ مَـا سَـلَّ حَـدّاك عَضْبَـاً بَـتُـورَا
قَسِيـمُ عُـلاكَ ونِعْـمَ القَسيـمُ ... أَخ شَـاف نَـزْرَاً وَأَعْطَـى كَـثِيـرَاً
وكَـانَ نَظيـرَك غَـارَ الـزَّمـا ... نُ مِـنْ أَنْ يَـرَى لَـكَ فِيـهِ نَظِيـرَا[1]

وفي **القسم الثالث** يصور مشاعره، ومشاعر الأمة الإسلامية بفقد هذا البطل، بل بفقد أي رجل من آل زنكي، ويدعو الله أن يبارك في ذريتهم ثم يرفع من شأن آل زنكي ليجعل قبورهم في السماء لا في الأرض. يقول:

وَأَصْغِـرْ بِفُقْـدَانِنَـا الـذَّاهِبِيـنَ ... مَـا عِشْـتَ نَـأتِيـكَ ملكَـاً كَبِيـرَا
فَـدَتْـكَ نُفُـوسٌ بِـكَ اسْتَـوْطَنَـتْ ... مِـنَ الأَمـنِ نُـوراً وَقَـدْ كُـنَّ بُـورَا
بَقِيـتَ مُعَـزَّاً مِـنَ الهَـالِكِيـنَ ... تُـوَقِّـي الـرَّدَى وتُـوَفَّـيَ الأُجُـورَا
ومَـا نَـقَـص الـدَّهْـرُ أَعْـدَادَكُـمْ ... إِذَا رَشَـفَ قَطْـراً وَأَبْـقَـى بُحُـورَا
لَـوْ أَنْـصَـفَ المَجْـدُ مَـوْتَـاكُـمْ ... لَخَـطَّ لَهُـمْ فِـي السَّمَـاءِ القُبُـورَا[2]

---

(١) نفسه: ص ٢١٩.

(٢) الديوان: ص ٢١٩.

فنون شعرية ثانوية

هناك من الفنون الشعرية التي طرقها ابن منير ما لم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير، الذي لا يحتمل أن نفرد لكل منها عنواناً مستقلاً. فبعضها جاء عرضاً بين ثنايا الأغراض الأخرى، وبعضها لا يُعدو أكثر من مقطعات وأبيات متناثرة هنا هناك، لا تشكل في مجموعها فناً قائماً بذاته وهذه الفنون هي الشكوى والعتاب والحكمة والفخر والإخوانيات والتهنئة.

وسأعرض لكل منها بما يناسب حجم ورودها في الديوان.

الشكوى والعتاب:

تُعد الشكوى تعبيراً ذاتياً عن آلام حاقت بالشاعر، من فعل امريء أو عدو أو دهر، لذلك فقد صار الشعر متنفس المحرومين يعبرون به عن مشاعرهم المكبوتة، وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ظهور هذا اللون في شعر ابن منير منها:

كثرة أعدائه وحساده، ونبذهم له، فخامره شعور بأنه إنسان غير مرغوب، فيه، وهذا ما صرح به يقوله:

أَصْبَحْتُ تَلْفِظُنِي البِلاَدُ كَأَنَّنِي ... لَفْظُ البَلِيدِ أَكَنَّ لَفْظاً مُشْكِلا[1]

ولعل سلاطة لسانه، جعلت كثيراً من الناس ينفرون منه، ويناصبونه العداء. فعاش شاعرنا في معزل عن أهل طبقته مما سب له آلاماً وأحزاناً كثيرة كانت ينبوعاً لأشعار الشكوى والعتاب عنده. ولدى قراءة ما وصل إلينا من شعر ابن منير نلاحظ ضآلة هذا اللون في شعره، وقلته، فقد نظم شاعرنا مقطوعات قصيرة في الشكوى أبياتاً متناثرة هنا وهناك فمن ذلك: أنه يثور ويغضب من كيد الأصدقاء، ومرارة معاملتهم، بعد أن تنكروا لعهد صداقته، حتى أنه أصبح يتمنى صديقاً واحداً يرعى

---

(١) الديوان: ص ١٠٦.

الود والصفاء، ولو كان ذلك يُشترى بأغلى الأثمان وأنفسها، ولكن الزمان أبى أن يجود بصديق وفيّ، ثم يتمنى لو عدم الدهر الذي ولد فيه. يقول:

عَـدِمْـتُ دَهْـراً وُلِـدْتُ فِيـهِ ... كَـمْ أَشْـرَبُ المُـرَّ مِـنْ بَنِيـهِ
مَـا تَعْتَـرِينِـي الهُمُـومُ إِلَّا ... مِـنْ صَـاحِـبٍ كُنْـتُ أَصْطَفِيـهِ
فَهَـلْ صَـدِيـقٌ يُبَـاعُ حَتَّـى ... بِمُهْجَتِـي كُـنْـتُ أَشْتَـرِيـهِ
يَكُـونُ فِـي قَلْبِـهِ مِثَـالٌ ... يُشْبِـهُ مَـا صَـاغَ لِـي بِفِيـهِ
وَكَـمْ صَـدِيـقٍ رَغِبْـتُ عَنْـهُ ... قَـدْ عِشْـتُ حَتَّـى رَغِبْـتُ فِيـهِ[1]

وشكا ابن منير الزمانَ القُلَّبَ، والدهر الغشوم، وكرّ الليالي التي لا ترحم، فصور الدهر والناس بأنهم متفقون على عدائه، ومضايقته ويتساءل متى سيغلب الفريقين وحده؟ يقول:

أَنَـا حِـزْبٌ والـدَّهْـرُ والنَّـاسُ حِـزْبٌ ... فَمَتَـى أَغْلِـبُ الفَـرِيقَيْـنِ وَحْـدِي[2]

وشكا ابن منير حسد قومه له. يقول:

وَا رَحْمَتِـي لِلحَـاسِـدِيـنَ فَـإِنَّـهُـمُ ... قَرَعُوا إِلَى الآمَـالِ بَـابَـاً مُـقْـفَـلاَ[3]

ومن قصيدة أخرى زاخرة بالعتاب، والشكوى، كتبها ابن منير إلى رئيس حلب عفيف الدين المستوفي وهو في المرض بحماة، واتصل به أنه نعي بحلب، ودخلت الحشرية داره، وأثبتوا ما فيها، وختموا عليها، فطالبوا أقواماً بودائع. فكتب إليه ابن منير بما حصل، ويشكو ما حلّ بداره وماله. والقصيدة طويلة، تضمنت هجاء ومدحاً وشكوى. فقد شكى حساده وأعداءه، وذكر خيانتهم، وغدرهم به، في الوقت الذي كان يحسن فيه إليهم. كما يؤكد أن الدافع الذي حدا بهم لمثل هذا

(١) الديوان: ص ١٢٧.
(٢) نفسه: ص ٨٢.
(٣) نفسه: ص ١٠٨.

العمل هو الحسد، والشماتة ويختم بالدعاء عليهم، كما دعا نوح «عليه السلام» على قومه فكان مصيرهم الطوفان. يقول:

يـا عَفيـفَ الـدّيـنِ الَّـذي يَـدُهُ صِـرْ ... فٌ بـهِ أَسْتَكِـفُّ صَـرْفَ الـزَّمـانِ

أَنَـا أَشْكُـو إِلَـيْـكَ دَايَـاً أَدانِـي الـ ... ـعُتْـب فِيمَـا مَضَـى عَلَـى عُمْـرانِ

عَـنْ عُتَـاةٍ تَخَـوَّنُـوا بـالأَذى دَا ... رِي عُـتُـوّاً وَأَزْعَـجُـوا جِيـرَانِـي

حَـرَمُـونِـي وَكُـنْـتُ أَشْكُـرُهُـمْ مُطْـ ... ـهِـرَ عِـرْقٍ وطِيـبَ لُبَـانِ

حَسَـدُونِـي وَأَيْـنَ مِـنْ شَعَّـفَ السُّـ ... ـمَّ بُطُـونَ الـوِهَـادِ والغِيطَـانِ

وَنعـانَـي النَّـاعِـي فَسَنُّـوا مُـدَاهُـمْ ... وبَـدَا مـا أَسَـرَّ مِـنْ شَنَـآن

يَـا لَهـا مِـنْ عِلَّـةٍ أَطَـارَتْ بِحُسَّـا ... دِي أَنِّـي بُعِـثْـتُ نُـوحَ الثَّـانِـي

ضَمِنْـتَ لِـي بَقَـاءَه ثُـمَّ زَادَتْ ... غَـرقَ الشَّـامِتِيـنَ فِـي طُـوفَـانِـي (١)

وموجز القول أن أبيات ابن منير في الشكوى والعتاب زاخرة بالتحرق والأسى والصبر على الهوان، كما امتازت بتعبير صادق ولوعة ظاهرة وعاطفة تبرق من خلال الأبيات، وقد اتسم هذا اللون من شعر ابن منير بالقصر، كما صدرت الشكوى مصحوبة بالفخر والإخلاص في القول.

الحِكمَة:

الحكمة من الفنون الشعرية التي لازمت الشعر والشعراء منذ القدم، فكانت بواعثها عند الشعراء، الخبرة والتجربة، إلى أن جاء الإسلام فتأثر الشعراء بقيم هذا الدين ومبادئه المستوحاة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

ولدى استعراض ما وصل إلينا من شعر ابن منير، لا نجد لهذا الفن سوى مجموعة أبيات تعد من روائع شعره في الحكميات، ضمنها قصيدة له، قالها في أثناء

(١) الديوان: ص ١٥٢-١٥٧.

إقامته في شيزر عند بني منقذ، ودعا فيها إلى الارتحال في طلب الغنى والمجد، وعدم الرضا بالعيش الحقير في مكان مهين، كما دعا إلى عدم البقاء طويلاً على أمر واحد من الرزق، فلا بدّ من أن يطرق الإنسان أبواباً عدة للرزق، ولا بدّ من ترك الوطن، ومفارقة الأهل لمن يريد ألا يظل مضيقاً عليه في رزقه، ثم يدعو إلى هجر الناس الذين يكنون لك البغضاء. يقول:

وإذَا الكَـريـمُ رَأى الخُمُـولَ نَـزيلَـهُ ... فِـي مَنـزِلٍ فَـالحـزمُ أَنْ يَـتَـرحـلاَ
كَـالبـدرِ لمَّـا أنْ تَضَـاءَل جَـدَّ فِـي ... طَلَـبِ الكَمَـالِ فَحـازَهُ مُتَنَقِـلاَ
سَفَهـا لحِلمِـك إنْ رَضِيـتَ بمَشْـرَبٍ ... رَتْـقٍ ورزْقُ اللَّـهِ قَـدْ مَـلأَ المَـلاَ
سَـاهَمتْ عِيسَـك مُـرَّ عَـيْشِـكَ قَـاعِداً ... أَفَـلا فَليـتَ بِهِـنَّ نَـاصِيَـة الفَـلاَ
فَـارِقْ تَـرُقْ كَـالسيفِ سُـلَّ فَبَـان فِـي ... مَتنَيْـهِ مَـا أَخْفَـى القِـرابُ وَأَخمَـلاَ
لَا تَحسبـنَّ ذَهَـابَ نَفسِـكَ مِيتَـةً ... مَـا المَـوتُ إلَا أنْ تَعِيـشَ مُـذَلَـلاَ
لِلْقَفْـرِ لَا لِلفَقْـرِ هَبهَـا إنَّمَـا ... مَعْنَـاك مَـا أَغْنَـاكَ أَنْ تَتَـوَسَّـلاَ
لَا تَـرْضَ مِـنْ دُنيـاكَ مَـا أَدْنَـاكَ مِـنْ ... دنَـسٍ وكُـنْ طَيفـاً جَـلا ثُـمَّ انْجَـلاَ
وَصِـل الهَجِيـرَ بِهَجْـرِ قَـومٍ كُلمَـا ... أَمطرتَهُمْ عَسَلاً جَنَواْ لَكَ حَنْظَلاَ[1]

حملت الأبيات في طياتها خبرة وتجربة لدى الشاعر تَفصح عن ثقافة واسعة وعلم ودراية بالحياة، دلّ على ذلك طبيعة الصور التي شكلها الشاعر لتعبر عن مراده من كل بيت. فقد ساهمت الأبيات في بناء الصورة الكلية للأبيات المتمثلة في رسم معالم العيش الكريم، والحياة الفضلى في نظر الشاعر.

الفَخر:

كان الفخر غرضاً ثانوياً في شعر ابن منير. هذا ما نلمسه من استعراض ما وصل إلينا من شعره. فقد عثرت على أبيات متناثرة، جاءت تصور فخر ابن منير بنفسه

(١) الديوان: ص ١٠٢، ١٠٣.

وبشعره وشاعريته. ومما جاء في مجال الفخر بالنفس أبيات ضمنها قصيدته التي أنشدها في شيزر عند بني منقذ، وفيها يقول عن نفسه: إنه صاحب همة عالية ورأي ثاقب وفكر نيّر، وعزيمة ماضية، كحد السيف، وحزم من غير تردد، وشجاعة لا يعيقها مصاعب أو أخطار ومقدرة فائقة على تحمل نوائب الدهر. يقول:

أَنَا مَنْ إِذَا مَا الدَّهرُ هَمَّ بِخفضِهِ ... سَامَتْهُ هِمَّتُهُ السِّمَاكَ الأَعْزَلَا

وَاعٍ خِطابَ الخَطْبِ وَهُو مُجَمْجِمُ ... رَاعٍ أَكَلَّ العِيسِ مِنْ عَدَمِ الكَلاَ

لَا أَسْتَكِينُ لِحادثٍ فَإِذَا طَغَى ... غَامَرْتُ فيهِ مُشمِّراً إِنْ ذَبَّلاَ

زَعَمٌ كَمُنْبَلَجِ الصَّباحِ وَرَاءهُ ... عَزْمٌ كَحدِّ السَّيفِ صَادَفَ مَقْتَلاَ

مُتَنَطِّسٌ رَكْضَ الأُمورِ أَوابِياً ... شُمساً فَراضَ صِعابَهُنَّ وذَلَّلاَ

سَلْ بِي فَكَمْ بُؤسٍ أَغَرّ مُحَلّجٍ ... أَقْبلتُهُ بَأساً أَغَرَّ مُحَجَّلاَ[1]

وأما عن الفخر بشعره، فقد أشاد الشاعر بشعره، وشاعريته فوصف نفسه بأنه شاعر وَفِيٌّ لأهله وقومه، حليم يقابل الإساءة بالإحسان، عَزَّ أن يوجد شاعر في الورى مثله -كما يقول-. ثم نعت نفسه بشيخ الشعراء، وشتان بين شعره وشعر غيره، فمثلاً شعر ابن الحجاج[2] أقل جودة منه. ثم يصل قمة النشوة والفخر بالشاعرية عندما يقول: هنيئاً لمن ضمنت اسمه ديواني مدحاً كان ذلك أو هجاء. يقول:

فَمتَى أَبْصَرَ الوَرَى شَاعِراً قَبْـ ... ـلِي تَولَّى شُكراً عَلى الحِرمَانِ

أَينَ مِنّي بَني القَناطِرِ وَالحَا ... تِ إِنْ أَطْلقتُ غُرُوبَ بَنَانِ

---

(١) الديوان: ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) ابن الحجاج: هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر «يصل نسبه إلى مضر، يكنى أبا الأقرع كان شاعراً ماجناً فاتكاً، صعلوكاً من صعاليك العرب أدرك عبد الله بن مروان والوليد بن عبد الملك. انظر ترجمته كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، دار إحياء التراث العربي، ج١٣/ ١٥٨-١٧٤.

أَنَـا شَيْـخٌ إِذَا تَـوَصَّـت قَـوافِيـ ـه أَطَـارَتْ عَنـافِـق الشُّبَّـانِ
جَلَـبَ ابـنُ الحَجَّـاجِ تَمـراً وشِعـري مِنْـهُ فَـوْح التُّفَـاح مِـنْ لُبَـانِ
فَهنيئَـاً لِمَـنْ هَجَـوْتُ ومَـنْ أَمَـ ـدَحُ إِنْ ضُمِّـنَ اسمُـهُ دِيَـوانِـي (١)

التَـهـنـئـة:

يتنازع هذا النوع من الشعر غرضان آخران هما: شعر الجهاد وشعر المديح، فشعر التهنئة مرتبط بالأغراض والمناسبات المهمة التي تمر بالأمة الإسلامية بعامة، من فتح حصن، أو استرداد أرض، أو انتصارات في ساحات الوغى، والخليفة أو الأمير أو الحاكم بخاصة. مثل: التهنئة بالخلع، والتهنئة بمولود، أو ختان، أو التهنئة بالعافية من مرض.

وسأضرب صفحا عن الحديث في الصنف الأول لأنني كنت قد أشرت إليه في شعر الجهاد وشعر المديح، وسأتناول الصنف الثاني، المتعلق بالمناسبات الخاصة بالأمير أو الملك. فمن ذلك: التهنئة بالعافية من مرض، فقد قال ابن منير قصيدة في عماد الدين زنكي يهنئه بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله سنة ٥٤٠هـ. فيبتدىء بالمديح والثناء على عماد الدين زنكي، فهو البدر التمام، وهو ماء الحياة، وهو الذي أحيا العدل في دنيا البشر بعد أن نعاه الناس، ثم بين أن ملوك العرب جميعهم بحاجة إليه، فهو الذي حمى بلادهم، وثبت الأمن والاستقرار في أرجائها، بعد أن عجوزا عن ذلك لأنهم متناحرون، بدد الخلاف أوصالهم. ثم يشير إلى المرض الذي ألمّ بعماد الدين، وقد شبهه بالصدأ الذي يصيب ظاهر نصل السيف، ولكن تحت هذا النصل حسام حاد، لامع، ثم يذكر شيئاً من انتصارات عماد الدين، وما فعله بحملة الصليب. ثم يختم بالدعاء لعماد الدين بأن يظل قوياً معافى، وأن يجنبه الله نوائب الدهر. ، يقول:

---

(١) الديوان: ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

يَـا بَـدرُ لَا أَفْـلُ وَلَا مَحَـاقْ ... وَلَا يَـرِم مَشْـرِقَـكِ الإِشْـرَاقْ

بِـالـدِّيـنِ والـدُّنيَا الَّـذِي يَشْكو وَهَلْ ... يَهْتَـزُّ فَـرعٌ لَـمْ يُقِمْـهُ سَـاقْ

لَـنْ تُـورِقَ القُضْـبُ ويَجْـرِي مَـاؤُهـا ... إِلَّا إِذَا التَـأَثَـتِ الأَعْـرَاقْ

يَـا مُحيِـيَ العَـدْلِ الَّـذِي فِـي ظِلِّـهِ ... تَسَـرْبلَـتْ زِينتهَـا الآفَـاقْ

مُلـوكُ أَطـرافِ حِمـىَ أَطْـرُقَهـا ... عـزْمُـكَ هَـذا الـلاَّحِـقُ السَّبَّـاقْ

شَقْشَقْتَ مِـنْ دُونِهِـمْ مَـوجَ الـرَّدَى ... وَشَـقَّ أَكْبَـادَهُـمُ الشِّقَـاقْ

لَئِـنْ أَلَـمَّ أَلَـمٌ بِقَـدمٍ ... خَـدَّ السُّهـا لِنعلِهـا طِـرَاق

أَوْ كَـانَ مَـدّ يَـدَه إِلَـى يَـدٍ ... تَجـرِي بِهـا الآجـالُ والأَرْزَاقْ

فَـالنَّصْـلُ يُعلَـى صَـدءاً وتَحتَـهُ ... حَـدُّ حُسـام وسَنَـاً رَقْـرَاقْ

لا سَلَبَتْ مِنْـكَ اللَّيَـالِي مَـا كَسَتْ ... وَلَا عَـرَتْ جِـدَّتُـكَ الإِخْـلاَقْ[1]

وفي قصيدة مماثلة يهنىء نور الدين بالعافية من مرض، فيبدأ بالمديح، وذكر مناقبه ثم يعرض للمرض ويصور المرض بصدأ أصاب متن السيف إلا أن حده حاد ماض بتار، ثم يفضله على ملوك الأرض جميعاً. ويختم بالدعاء له بالسلامة والعافية ليرعى الإسلام وأهله. يقول:

يَـا شَمـسُ لا كَسـفٌ وَلَا تِكْـدَارُ ... وَلَا خَلَـتْ مِـن نُـورِكَ الأَنـوارُ

البَـدرُ مَنقـوصٌ وَأنـتَ كـامِـلٌ ... لَـكَ السَّـرايَـا ولَـهُ السَّـرارُ

بَـرْؤُكَ لـلإسـلامِ مِـن أَدَاوئِـه ... بُـرءٌ وفِـي أَعـدائِـه بَـوارُ

مَـا أنـتَ إِلَّا السيـفُ صَـدَّ صَـدأ ... عَـن مَتنِـه مَضْـرِبـهُ البَتّـارُ

خَيـرُ مُلـوكِ الأَرضِ جِـدّاً وأَبَـا ... إِنْ هـز عطفـي مـاجـد نجـار

(١) الديوان: ص ٢٠١-٢٠٣.

سَلِمْتَ لِلإسلاَمِ تَرعَى سَرْحهُ إذَا وَنَى رُعاتُه وَجَاروا[1]

ومن موضوعات شعر التهنئة، وصول الخلع من الخليفة، فقد قال ابن منير قصيدة يهنىء فيها نور الدين بوصول الخلع إليه من الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله سنة ٥٤٦هـ.

ويبدأ القصيدة بالمدح والثناء على نور الدين، ويدعو لملكه أن يظل أبد الدهر ثم يصفه بصاحب همة وعزيمة عالية لا تُضاهى. ثم يذكر الخلع وكسوة الخليفة، وما ترمي إليه من ثقة الخليفة والأمة بأسرها، وأن نور الدين كالهلال الذي يبدد ظلمة الليل بنوره القوي. ثم يعبر عن شعوره وشعور قومه بالفرحة العارمة، بسبب الخلع يقول:

لعلائِكَ التَأيِيدُ والتَّأْمِيلَ ولملِكِكَ التَّأْبِيدُ والتَّكْمِيلُ
أَبَدا تَهِمُّ وَتقتَفِي فَتَنَالَ مَا عَزَّ الوَرَى إدرَاكُهُ وتَنَيلُ
وكَساكَ مِنْ رأيِ الخَليفةِ جُبَّةً لَا النَّقصُ يُوهِيها ولَا التَّقْلِيلُ
وَبَرزَتَ فِي لِبس الخِلافةِ كَالهِلا لِ جَلاَهُ فِي حُلَلِ الدُّجَا التَّهْلِيلُ
خِلَعٌ خَلَعنَ عَلى القُلوبِ مَسرَّةً سَدَكاتُهَا التَّعْظيمُ والتَّبْجِيلُ[2]

ومن موضوعات هذا اللون الشعري، التهنئة بمولود، فقد ولد لنور الدين ولد بحمص سنة ٥٤٧هـ سماه أحمد. فكتب ابن منير قصيدة، وهنأه به، وذكر المولود، وأضفى عليه من صفات المدح، والثناء المقتبسة من أبيه، ويشبهه بأبيه، ويبين أن مكانة المولود من مكانة أبيه. يقول:

وجِئْتَ بِأَحمدَ فَملأتَ حَمدَا مَوارِدَ كَان مَعدنها عَذَابا
تَهَلَّلَ وَجْهُ مَلكِكَ يَومَ أَهدَتْ قَوابِله لَكَ المُلكُ الُبَابَا

(١) الديوان: ص ٢٦٦، ٢٦٧.
(٢) نفسه: ص ٢٣٨، ٢٣٩.

شَبيهُـــكَ لا يُغَـــادِرُ مِنْـــكَ شَيئـــاً سَنـــاً، وَحَيـــاً، وَبْـــذلًا، واسْتِـــلاَبـــاً
قَسيـــمُ الحَمـــدِ إلَّا أنَّ حَـــرْفـــاً مِـــن اسمْـــكَ زادَ للمعنَـــى مَنـــابَـــا[1]

ومما تقدم يمكن القول بأن ابن منير استطاع أن يعبر عن عواطفه تجاه آل زنكي، ونلاحظ أن المديح في هذا اللون من الشعر أحد مقوماته، وأركانه الأساسية ولا يوجد فارق بين هذا الفن، وفن المديح من حيث المنهج الشعري. فتمجيد صاحب المناسبة ومدحه، ثم ذكر المناسبة، والدعاء لصاحبها بدوام ملكه، تكاد تكون سمة بارزة لهذا اللون الشعري.

الإخوانيات:

شاع هذا اللون من الفنون الشعرية بين الشعراء، فكثيراً ما كانت المراسلات الشعرية تجري بين الشعراء في قضايا خاصة تنم عن سرورهم، وتعبر عن علاقاتهم، وصلاتهم مع بعضهم.

ولدى استقراء هذا اللون من الشعر في كتب الأدب، نلاحظ أنه جرت العادة بأن يقوم المرسل الأول بتحديد الوزن والقافية والروي. وغالباً ما تكون القصيدة قطعة صغيرة تابعة لسجية أحد الطرفين.

ومن موضوعات هذا الغرض الشعري عند شاعرنا: طلب كتاب، أو الرد على رسالة صديق أو عتاب. فأما طلب الكتاب، فقد كتب ابن منير إلى القاضي أبي الفضل هبة الله، يلتمس منه كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني وكان قد وعده به، ودافعه. وجاء في كتاب ابن منير، مدح وثناء على القاضي أبي الفضل، وأتبع المديح بعتاب خفيف الظل فيه حث للحصول على الكتاب يقول:

يَـــا حَـــائِـــزاً غَـــايَ كُـــل فَضْـــلٍ تَضِـــلُّ فِـــي كُنْهِـــهِ الإِحَـــاطَـــهْ

(١) الديوان: ص ٢٥٠.

وَمَـــنْ تَـــرَقَّـــى إِلَـــى مَحَـــلٍ أَحكَـــمَ فَـــوقَ السِّهَـــا مَنَـــاطَـــهْ
إِلَـــى مَتَـــى أُسْعَـــطُ التَّمَنِّـــي وَلَا تَـــرى المَـــنَّ بـــالـــوَسَـــاطَـــة[1]

ومن الرد على رسالة صديقة أن «معين الدين أنر» أرسل رسولاً إلى ابن منير وهو مقيم في شيزر يطلب منه العودة إلى دمشق، وكان رسول معين الدين وهو «زين الدين بن حكيم»[2] صديقاً لابن منير، فذهب زين الدين إلى شيزر ولقي ابن منير وكتب إليه كتاباً يستنهضه بالرجوع إلى دمشق، ويستدعيه، ويذكر له مصلحته فيه، فكتب إليه ابن منير كتاباً أملاه على زين الدين بن نجا الدمشقي. فلم يقتصر الكتاب على الشعر فحسب بل ضمنه نثراً[3].

ومما جاء في الكتاب من الشعر، أنه مدح صديقه زين الدين بن حكيم، وأثنى عليه. يقول:

وَرَدَ الكِتَـــابُ فَـــداهُ أَسْـــوَد نَـــاظِـــرٍ عَكَفَـــت ذَخَـــائِـــرهُ عَلَيـــهِ تُبَـــدِّدُ
لَـيْـــلٌ مِـــنَ الأَلْفَـــاظِ يُشْـــرِقُ تَحتَـــهُ فَلَـــقُ المَعَـــانِـــي فَهـــوَ أَبْـيَـــضُ أَســـوَدُ
يَـفْـتَـــرُّ عَـــنْ دُرَرٍ تَكَـــادُ عُـــقُـــودُهَـــا مِـــن لِيـــنِ أَعطَـــافٍ تُـــحَـــلُّ وتعقَـــدُ[4]

ومما ورد في الكتاب نثرا، يعتذر فيه ابن منير عن العودة إلى دمشق بسبب كثرة الأعداء والحساد، ويطلب من صديقه زين الدين، أن يبلغ «معين الدين أنر» أنه موافق على العودة إن ضمن له السلامة، والكتاب طويل جرت الإشارة إليه في الصفحات السابقة.

قال ابن منير:

«فإن ضمنت لي السلامة من اغتيال عدو دون خدمة المولى، شَمَّرت إلى خدمته

(١) الديوان: ص ١٣٨، ١٣٩.
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣) أورد العماد الكاتب نص الكتاب. انظر الخريدة ج١ ق١/ ٩١-٩٤.
(٤) الديوان: ص ٩٨.

وذيّلت، وحططت بفنائه، وقيّلت فما غيري بلبس قميص الدّعة مني أحرى. والسلام»[1].

ومن موضوعات هذا اللون من الشعر، العتاب. فمن ذلك القصيدة «التترية» التي يعاتب فيها ابن منير نقيب الأشراف السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق. بعد أن أرسل إليه ابن منير بهدية مع مملوكه تتر، فظن الشريف أن المملوك من ضمن الهدية، وطال انتظار ابن منير لمملوكه، فأرسل له أبياتاً يعاتبه في إمساك المملوك عنده، ويطلب منه أن يعيده إليه. يقول:

وَقَصِيـــــدَةٍ كَخَـــــرِيـــــدَةٍ غَيـــدَاءَ تَـــرفُـــلُ فِـــي الحِبِـــرْ
حَبَّـــرْتُهـــا فَغَـــدتْ كَـــزَهـ ـــرِ الـــرُّوضِ بَـــاكَـــره المَطَـــرْ
وإِلَـــى الشَّـــرِيـــفِ بَعَثْتُهـــا لَـمَّـــا قَـــراهَـــا فَـــانْبَهَـــرْ
رَدَّ الـغُـــــلامُ وَمَـــــا استَمَـ ـــرَّ عَلـــى الجُحـــودِ وَلَا أَصَـــرْ[2]

وقد كان بين ابن منير وبين عدد من شعراء عصره مساجلات، ومكاتبات، ومراسلات، مثل الشاعر ابن قسيم الحموي، وأبي الحكم المغربي الشاعر، وملك النحاة. جرت الإشارة إليهما في صفحات سابقة.

---

(١) الخريدة ج١ ق١/ ٩١-٩٤.

(٢) الديوان: ص ١٦٩.

الفصل الثالث

التقـويم الفـني

التَجرِبَـة الشَعرِيّـة

يقصد بالتجربة الشعرية «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصدرها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور، تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه[١]، وهي أن يقوم الشاعر بنقل تجاربه التي عاشها، وأن يعبر فيها عما تحس بن نفسه ذاتياً وجماعياً[٢]، لذا فالشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صرع داخلي، سواء أكانت تعبيراً عن حالة من حالات نفسه هو، أم عن موقف إنساني عام تمثله[٣]. فالشاعر كغيره من الناس يمر بتجارب كثيرة، يعبر عن أحاسيسه ومشاعره إزاءها، فيعكس ما يحس به نفسياً، وفكرياً، أو ينقل ذلك الإحساس إلى القارىء[٤].

وهنالك فرق بين التجربة الشعورية التي تخص الناس، والتجربة الشعرية التي تخص الشعراء، والأدباء. قال سيد قطب -رحمه الله-: «التجربة الشعورية في العالم الشعوري مرحلة تسبق في نفس صاحبها، ثم يليها التعبير عنها في صورة لفظية. أما في العالم الأدبي، فلا وجود لهذه التجربة قبل أن يعبر عنها في هذه الصورة اللفظية. وإنها لتبقى مضمرة في النفس ملكاً خاصاً لصاحبها، فلا تعد عملاً أدبياً له وجود خارجي إلا حين تأخذ صورتها اللفظية، أو حين يدركها الآخرون»[٥]، فالفرق بين التجربة الشعرية لدى الشعراء، وبين التجربة العادية لدى الناس، أن التجربة الشعرية لا يشترط فيها أن يكون الشاعر قد عاينها وعاناها بنفسه،

---

(١) النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال، دار العودة؛ الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص٣٨٣.

(٢) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية. د. عبد الجليل عبد المهدي، دار البشير ١٩٨٩، ص ٢٢٥.

(٣) النقد الأدبي الحديث، ٣٨٤.

(٤) انظر: الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري، ٣٤٧.

(٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب. دار العربية للطباعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٦، ص ٢.

بل يكتفي منه أن يكون قد لاحظها، وعرف بفكره عناصرها وآمن بها»[1].

وقد عاش ابن منير كغيره من شعراء عصره خلال احتلال العدو الصليبي لأجزاء من ديار الإسلام، وفي مقدمتها بيت المقدس، كما عاش أحداث التحرير، والانتصارات التي حققها «عماد الدين زنكي»، وابنه «نور الدين زنكي»، ولا يعني هذا أنه عاش الأحداث واقعاً، فقد كان بعيداً عن مسرح الأحداث في جزء منها، ولم يشاهدها، ولكن هذا لا يعني أنه لم يحس بها ولم يعشها.

وثمة فرق ثان بين التجربة الشعرية والتجربة العادية لدى العديد من النقاد[2]، فالتجربة الشعرية لا يطالب فيها الشاعر بالصدق الواقعي، ووصف دقائقه، إنما يطالب بصدق الشعور بالحياة، وصدق التأثر بالمشاعر -أي بما يعرف- بالصدق الفني المتمثل في مقدرة الشاعر على الصناعة والصياغة، يستثنى من ذلك الشعر الذي قيل في التعبير عن الدعوة إلى الجهاد، والوحدة في سبيل التحرير، فقد عاش الشاعر تجربة حقيقية واقعية، تتمثل في رؤية أجزاء من العالم الإسلامي، محتلاً من قبل الصليبيين، فأحس الشاعر بذلك إحساساً قوياً، عبر عنه بشعره الذي بين فيه أن الجهاد هو طريق الخلاص، والسبيل لتحرير البلاد، وقد ساهم شاعرنا بهذا الصنف من الشعر.

وثمة فرق ثالث بين التجربة الشعرية، والتجربة العادية يتمثل في أن التجربة العادية يمكن التعبير عنها في صورة مختلفة دون أن تنقص دلالتها أو تزيد، لأن وظيفة التعبير فيها، نقل المعنى المجرد، أما التجربة الشعرية، فكل تغيير في الألفاظ، أو نظامها، أو في تنسيق العبارات، وترتيبها، أو حتى في طريقة تناول الموضوع يؤثر

---

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث، ٣٨٤.

(٢) انظر: نقد الشعر لأبي الفرج قدامه بن جعفر ت ٣٣٧هـ تحقيق كمال مصطفى الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢٠، كتاب الصناعتين: ص ١٣٦، ١٣٧، النقد الأدبي، سيد قطب، ص ٣٠، النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٣، ٢٢٤، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ٢٢٩.

على صورتها التي ينقلها التعبير إلى الآخرين، ويؤثر تبعاً لذلك في طبيعة الأثر الذي تتركه في مشاعرهم[1].

والتجربة الشعرية لدى ابن منير زاخرة بصور ذات ألوان متعددة، غلبت عليها السوداوية في المرحلة الأولى من حياته المتسمة بالقلق، المليئة بالأخطار والأهوال، المفعمة بالأحداث الجسام، فقد عبر شاعرنا عن مشاعره وأحاسيسه بكل صدق، وكان واقعياً في تصوير حاله، بعد أن غدا طريداً منبوذاً بسبب سلاطة لسانه، وهجائه المقذع.

ولا بأس من الاستشهاد لتوضيح ذلك، يقول:

أَصْبَحَتُ تَلْفِظُنِي البِلاَدُ كَأَنَّنِي لَفْظُ البَلِيدِ أَكَنَّ لَفْظاً مُشْكِلا[2]

ومن تجربته مع الزمان وأهله، وما لاقاه من ضنك الحياة، ومرارة العيش، أفضى الشاعر بإحساساته ومشاعره صادقاً، فيقول:

عَدِمْتُ دَهْراً وُلِدْتُ فِيهِ كَمْ أَشْرَبُ المُرَّ مِن بَنِيهِ[3]

كما عبر ابن منير عن إحساسه وإحساس الناس إزاء الانتصارات التي حققها عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي على الصليبيين، فجاء تعبيره صادقاً، مطابقاً للواقع في رسم صورة السعادة والسرور عقب كل فتح، وبُعيد كل انتصار، وتحققت الآمال التي كانت تراود نفوس المسلمين. والشواهد الشعرية على ذلك كثيرة. وقد اجتزأت أبياتاً متفرقة من الديوان يصور كل جزء منها لسان حال المسلمين حيال نور الدين زنكي، ويصف مشاعرهم، فأكدوا الولاء والانتماء، لملك كرس ملكه ومملكته لخدمة دين الله، وطرد الصليبيين من ديارنا، يقول:

عَقَلَ الحَقُّ أَلسُنَ المُدَّعِينَا أَنْتَ خَيرُ المُلوكِ دُنيَا ودِينَا

---

(١) انظر النقد الأدبي وأصوله ومناهجه: ص ٣٢.

(٢) الديوان: ص ١٠٦.

(٣) نفسه: ص ١٢٧.

وأَسَـــدُ الأَنَـــامِ قَـــولًا وَأَفْعَـــا لًا وَنـفْســـاً، ونِـيَّـــةً وَيَقِينَـــا[1]

***

يـا مَـنْ إِذَا عَصَفَـتْ زَعـازِعُ بَـأْسِـه خَمَـدَتْ جَحِيـمُ الشِّـركِ فَهِـيَ رَمَـادُ
مَلـكٌ يُـقَـيِّـدُ خَـوْفُـهُ وَرَجَـاؤُهُ وَلَـقَلَّمَـا تَـتَـضَـافَـرُ الأَضْـدَادُ[2]

***

لَا نُـــؤَدِّي لأَنْـعُـــمِ اللَّـــهِ شُـكـــرَاً بِـــكَ يَـا أَعظَـم البَـرِيَّـةِ قَـدْرَا[3]

وقد كان شاعرنا صادقا في تصوير موقفه من بعض الحكام المتخاذلين عن الجهاد، الذين مدوا يد الخيانة ليصافحوا الغزاة من الفرنج، فعرّض بهم، وحثّ على قتالهم وهو في هذا لا يُعبر عن إحساسه ومشاعره وحسب، بل يعبر عن مواقف المسلمين من أولئك الحكام، كما كان صادقا في تصوير مشاعره وإحساساته إزاء فقدان بطل من أبطال المسلمين، سيف الدين غازي بن زنكي، صاحب الموصل أخي نور الدين الأكبر، سنة ٥٤٤هـ، فكان صادقاً في تصويره ذاك صدقاً واقعياً، وصدقاً فنياً.

وصور قوة الجيش المسلم، وعظمته وهو ينتقل من نصر إلى نصر، كما ألمس صدقه وهو يصور الأعداء والمصير الذي آلو إليه، بعد أن مُنوا بحاكم مسلم مثل: عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين وهم لا قِبل لهم به، فجاء تصويره للمشاهد مطابقاً للواقع إلى حد ملموس، وجاء التعبير موافقاً لمقتضى الحال.

وخلاصة القول أن التجربة الشعرية لدى ابن منير ذات ميسم واقعي، وصدق فني، وجاءت صورها في مستوى الحدث، وكان شاعرنا أميناً في تجربته، إذ عبر عن مشاعر الأمة وأحاسيسها بكل أمانة وصدق.

---

(١) الديوان: ص ١٩٣.
(٢) نفسه: ص ٢٦٣.
(٣) نفسه: ص ٢٦٧.

بـنـاء القصيدة:

يقصد ببناء القصيدة: أجزاؤها الرئيسة التي تنظمها، وهي ما يعبرون عنه بالابتداء والتخلص، والخواتيم، ثم ما يتصل بذلك من حديث عن وحدة البناء، ووحدة القصيدة. وقد درج الشعراء منذ الجاهلية على التمهيد لقصائدهم ببكاء الأطلال وذكر المرأة، وما يتعلق بها، وقد علل ذلك بعض النقاد، فقال: «إن الوقوف على الطلل، إنما لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لاستمالة القلوب، واستدعاء إصغاء الأسماع»[١]، وظل الأمر كذلك حتى جاء عصر صدر الإسلام، فأسقط شعر الفتح الإسلامي هذه المقدمات، لأن طبيعة موضوع الجهاد، تختلف عن كل الموضوعات الأخرى[٢].

ثم تبع الشعراء ما ورثوه عن أسلافهم فيما يخص شكل القصيدة ونهجها، حتى ظهر شعراء الجهاد في زمن الحروب الصليبية، فتارة يثبتون المقدمات وتارة يسقطونها.

ولعل أهم مقومات بناء القصيدة تتمثل في مقدمتها ومطلعها واستهلالها وموضوعها، وخاتمتها[٣].

واهتم النقاد بمطالع القصائد، فقال ابن رشيق: «الشعر قفل أوله مفتاحه»[٤] وهو أول ما ينظم من القصيد، وقد ركز القدماء عليه كثيراً، وكانوا يعدونه أحسن شيء في صناعة الشعر، ويظهر ذلك من خلال حديث أبي هلال العسكري: «المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده، المتنزل من القصيدة منزلة الوجه

---

(١) انظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري. د. منصور عبد الرحمن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج١/، العمدة ج١/ ٣٩٧-٣٩٩.

(٣) انظر بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية: ٢٣٥.

(٤) العمدة ج١/ ٣٨٩.

والغرة»[1] لذلك، وجب أن يكون المطلع مناسباً ومتمشياً مع موضوع القصيدة، وفق القاعدة البلاغية «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[2] ويرى ابن الأثير أن يحسن الشاعر اختيار المطلع لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام[3].

والمقياس العام للمطالع عند النقاد أن يكون المطلع جيداً من حيث الأسلوب والمعنى، ويندرج تحت جودة الأسلوب أن يكون فخماً جزلاً، حلواً، سهلاً، وأن يكون واضحاً، بعيداً عن التعقيد، وأن يكون مجرداً من الألفاظ التي تدل على الضعف والتكلان كابتدائهم بـ «ألا» و«خليلي» و«قد»[4].

ومن جودة المعنى مراعاة السامع والموضوع، وتحكيم الذوق في ذلك، فلا يكون فيها ما قد يتشاءم أو يتطير منه، أو يكون في عباراتها ما قد يثير في ذهن السامع ما لا يريد الشاعر أن يتجه إليه الذهن[5]. فلا بد من الانسجام بين المطلع وموضوع القصيدة، وهذا ما نتلمسه عند ابن منير، فمن ذلك ما قاله في «عماد الدين زنكي» مهنئاً بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ.

بِعِمادِ الدِّينِ أَضْحَتْ عُرْوَةُ الدّ ... ينِ مَعْصُوباً بِها الْفَتْحُ المُبينْ[6]

وما قال في «نور الدين زنكي» بُعيد وقعة «بصرى»[7] سنة ٥٤٢هـ:

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والنثر: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص ٤٣٥.

(٢) انظر: بناء القصيدة العربية د. يوسف بكار، دار الثقافة القاهرة، ١٩٧٩. الثفحات ٢٦٧-٢٦٩.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، ت ٦٣٧هـ، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢ م، ج٣/ ٩٨.

(٤) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ت ٤٥٦هـ، تحقيق د. محمد قرقزان، دار املعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، ج٢/ ٣٨٩.

(٥) انظر: اتجاهات النقد الأدبي ٢٦٨.

(٦) الديوان: ص ١٩٩.

(٧) بصرى: من أعما دمشق وهي قصبة كورة حوران. انظر معجم البلدان مادة «بصر».

مَلِـكٌ مَـا أَذَلَّ بِـالفَتْـحِ أَرْضَـاً قَـطُّ إِلَّا أَعَـزَّهَـا إِغْـلاَقُـه[1]

ومن أمثلة المطالع التي تنسجم وموضوع القصيدة، قول ابن منير في قصيدة يمدح فيها نور الدين، ويذكر ظفره «بالبرنس» صاحب أنطاكية سنة ٥٤٤هـ، فقد استهل المطلع بالمقابلة بين حال الصليب وأهله، وحال المسلمين، ولما كان موضوع القصيدة انتصاراً عسكرياً، فقد بدأ بمطلع يوحي بالشدة والفخامة. يقول:

أَقْـوَى الضَّـلاَلُ وَأَقْفَـرَتْ عَـرَصَـاتُـهُ وَعَـلاَ الهُـدَى وَتَبَلَّجَـتْ قَسَمَـاتُـهُ[2]

وأما في حالة السلم والمصالحة، بعيداً عن المعارك وما يصاحبها من قوةوعنف، فإن المطلع يوحي بالهدوء والاستقرار، وعذوبة الألفاظ وخلوها من الغرابة والتعقيد. فمن ذلك أن ابن منير مدح نور الدين زنكي بعد مصالحة صاحب حماة[3] يقول:

غَـدَا الـدِّيـنُ بـاسْمِـكَ سَـامِي العَلَـمْ أَمِيـنَ العِمَـادِ مَـكِيـنَ القَـدَمْ[4]

وفي غزلياته، تميزت المطالع بعذوبة الألفاظ، وجرس العبارة، وحسن التأليف ووضوح المعنى، خالياً من الغرابة والتعقيد، حاملاً صوراً تجتذب السامع، وتثير فيه الانفعال الذي يريده الشاعر. يقول:

عَـاتَبْتُـهُ فَـاسْتَطَـالاَ وَصَـدَّ عَنِّـي دَلاَلاَ[5]

***

(١) الديوان: ص ٢٠٤.

(٢) نفسه: ص ٢٠٨.

(٣) هو صلاح الدين محمد بن أيوب الياغبساني أحد أصحاب زنكي، صاحب حماة، قال صاحب الروضتين وصلاح الدين هذا ليس هو يوسف بن أيوب المشهور، فإن ذلك لم يكن حينئذ ملكاً يقود الجيوش. انظر الروضتين ج١/ق١/ ٢٣٧.

(٤) الديوان: ص ٢٥٨.

(٥) نفسه: ص ٨٧.

أَحْلَى الهَوَى مَا تَحِلُّهُ التُّهَمُ بَاحَ بِهِ العَاشِقُونَ أَو كَتَمُوا[1]

***

عَذَّبْتَ طَرْفِي بِالسَّهَرْ وَأَذَبْتَ قَلْبِي بِالْفِكَر[2]

وقد لجأ الشاعر إلى بعض الأساليب الإنشائية، والتقريرية، والخطابية في مطالعه لإثارة انتباه المتلقي واهتمامه، وتهيئته لاستماع القول. وسأتعرض لذلك عند الحديث عن اللغة والأسلوب.

ومما تقدم نلاحظ أن الانسجام بين المطالع وغرض القصيدة جليّ واضح عند ابن منير، زد على ذلك امتياز المطالع بالجودة والبراعة والوضوح، والصدق في التعبير.

وبعد استقراء للقصائد التي نظمها ابن منير مما وصل إلينا من شعره، التي بلغت قرابة سبعين قصيدة، تبين لدي أنه تحرر في معظمها من المقدمات التقليدية بخاصة القصائد الحماسية المرتبطة بأحداث الصراع ارتباطاً مباشراً، ولعل ذلك عائد إلى أن الوقوف على الطلل، وذكر المرأة، لا يتناسبان مع الجو العام في ظل الحرب، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: «إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث، كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه ينبغي ألا يبدأ بالغزل، لأن هذا يدل على ضعف قريحة الشاعر، وقصوره عن الغاية، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه، ولأن الأسماع تكون منطلقة إلى ما يقال في تلك الحوادث..»[3]، لذا فقد كان ابن منير يهجم على الغرض مباشرة، ويدخل في جو القصيدة، وجوهرها مع أول بيت، والأمثلة في شعر ابن منير كثيرة لا مجال لاستقصائها وحصرها، وأُورِدُ منها ما قاله في مدح نور الدين بعد وقعة «الجولان»[4] وغيرها في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٦هـ:

(١) الديوان: ص ٩٥.
(٢) نفسه: ص ١٦٠.
(٣) المثل السائر: ج٣/ ٩٧.
(٤) الجولان: جبل من نواحي دمشق. انظر معجم البلدان مادة «جولان».

مَـا بَـرِقَـتْ بَيضُـكَ فِـي غَمَـامِهـا إِلَّا وغَيـثُ الـدِّيـنِ لابْتِسَـامِهـا

مَحمـودٌ المَحْمُـودُ جَـدَّاً وَجِـدَا أَرْخَـصَ جِلـدِ الأَرضِ حكـمَ عَـامِهـا

مَلِـكٌ أَزَال الـرُّومَ عَـنْ صُلبَـانِهـا ودِفَـاعُـهُ وَكَـب مِـن أَصْنَـامِهـا

جَـالَ عَلـى «الجَـوْلانِ» أَمـس جَـولَـةً صَفَّـرَت الأَدْحِي[1] مِـن نَعمَـاهـا[2]

ومثال آخر: قال ابن منير يمدح نور الدين، ويهنئه بالعود من غزاة «حارم»[3] سنة ٥٤٣هـ.

مَـا فَـوقَ شَـأْوِكَ فِـي العُـلاَ مَـزْدَادُ فَعَـلام يُقلِـقُ عَـزمَـكَ الإِجْهَـادُ

هِمـمٌ ضَـربـنَ عَلـى السَّمـاءِ سُـرادِقـاً فَـالشُّهُـبِ أَطنـابٌ لَهـا وعِمـادُ

أَنـتَ الـذِي خَطَبـتْ لَـهُ حُسَّـادُهُ وَالفَضْـلُ مـا اعتـرَفَـتْ بِـهِ الحُسَّادُ[4]

وأما ما تبقى من شعره الذي نظمه في الغزل والوصف وفي جزء من المديح، فقد أبقى فيه على المقدمات التقليدية، ولا يصل في مجموعه إلى أكثر من خمس قصائد، جاءت المقدمات فيها بسيطة، واضحة ملونة ببعض الصور في سرعة، وخفّة دون تعقيد أو بُعدٍ في الخيال، كما جاءت مترابطة مع أجزاء القصيدة، متينة، أما عن ألفاظها فجاءت مستعذبة، قوية جزلة، تتناسب مع غرض القصيدة.

***

وأما عن التخلص أو «الخروج»[5]: فالتخلص عند النقاد يدل على حذق الشاعر

(١) الأدحي: المكان الذي يأوي إليه النعام ويبيت. انظر اللسان مادة «دحا».

(٢) الديوان: ص ٢٣٤.

(٣) حصن حارم: حصن وكورة تجاه أنطاكية، صارت أيام ياقوت من أعمال حلب. وفيها أشجار ومياه كثيرة. انظر معجم البلدان مادة «حارم».

(٤) الديوان: ص٢٦٢.

(٥) انظر: سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، ت ٤٦٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص ٢٦٨.

وقوة تصرفه، وقدرته وطول باعه[1] ويقصدون به الانتقال من مقدمة القصيدة إلى الغرض الأصلي الذي قيلت من أجله. وقد دعا النقاد في معرض حديثهم عن التخلص إلى أن يكون الكلام «بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع.. كأنما أفرغ إفراغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه»[2].

وأشير إلى أن ابن منير لم يكن محتاجاً إلى التخلص في قصائده الحماسية، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة وجوها العام، فجاءت المطالع عنده معبرة عن موضوع القصيدة، ومتوافقة معها.

وما تبقى من شعره الذي اشتمل على مقدمات تقليدية، جاء حسن التخلص عنده علامة على حذقه وقوة تصرفه، فمن حسن التخلص عنده، قصيدته في مدح الوزير «أثير الدين بهاء الملك، فخر المعالي بن صدقة»[3] يقول في مطلعها:

أَهُتُوفُ أَيْكٍ فِي سَرَارِ الوَادِي هَلْ كُنْتَ مِن بَيْنٍ عَلَى مِيعَادِ[4]

فبعد مقدمة غزلية استوعبت اثني عشر بيتاً، صور فيها الشاعر رقة محبوبه وشغفه به وحرقته ووجده، يتخلص الشاعر من ذلك تخلصاً لطيفاً في بيت واحد، وهو المستحب عند النقاد، قال أسامة بن منقذ: «ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد، وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين»[5] وقد جاء الخروج على النحو التالي:

أَمَعَاهِدَ الأَحْبَابِ هَلْ عَهدُ الهَوَى عَادٍ بِقَصْرِ يَدِ الزَّمَانِ العَادِي

(١) انظر: بناء القصيدة العربية: ٢٩١.
(٢) المثل السائر: ج٣/ ١٢١.
(٣) سبقت ترجمته.
(٤) الديوان: ص ١٣٥.
(٥) البديع في نقد الشعر. أسلمة بن منقذ تحقيق د. أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٠، ص ٢٨٨.

كَعُقودِ مَجْدِ أَبِي الرَّجاءِ تَبَسَّمَتْ عَنْها رِياضُ قَصائِدِ القُصَّادِ[1]

ومن قصيدة أخرى يمدح بها تاج الملوك «بوري بن طغتكين» حاكم دمشق ومطلعها:

حَيِّ الدِّيارَ عَلَى عَلْيَاءِ «جَيْرُونَ» مَهْوَى الْهَوَى ومَغَانِي الْخُرَّدِ الْعِينِ[2]

بعد مقدمة في وصف متنزهات دمشق، وذكر المنازل، يصور دمشق فتاةً جميلة يتغزل بها، وتخلص الشاعر إلى المدح في شطر بيت تخلصاً سهلاً، اختلسه اختلاساً لم يشعر المتلقي بالانتقال لشدة الممازجة والالتئام، والانسجام. يقول:

أَبْدَتْ دِمَشْقُ رَبِيعاً جَلَّ صَانِعُهُ يَأْتِيكَ فِي كُلِّ حِينٍ غَيْرَ مَكْنُونِ
سُودُ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدودِ عَلَى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ
آيَاتُ حُسْنٍ غَنِيَّاتٍ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الأَدِلَّةِ فِيهَا والبَرَاهِينِ
كَأَنَّ أَلْطَافَهَا تَجْلُو لأَعْيُنِنَا آثَارَ أَلْطَافِ فَخْرِ الدِّينِ بالدِّينِ
عَرِيقُ مَجْدٍ يَرى سَاسَانَ مَنْصِبَهُ مِنَ المَوارِنِ فِيهَا والعَرانِينِ[3]

هذا جل ما أمكننا التوصل إليه من شعر ابن منير في المديح، قبل أن يلحق شاعرنا بممدوحَيْه عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، الذي قصر شعره على مدحهما.

***

وفيما يتعلق بالخاتمة، فقد عدها النقاد قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى في الأسماع فسبيله أن يكون محكماً لا يُمكن الزيادة عليه، «وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له،

(١) الديوان: ص ١٣٥، ١٣٦.
(٢) نفسه: ص ١٧٢.
(٣) نفسه: ص ١٧٥، ١٧٦.

وجب أن يكون آخره قفلاً عليه»[1]، ويجب أن يكون «ما وقع فيها من الكلام أحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفرد للنفس عما قصدت إمالتها إليه... وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام، وخاتمته، فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس، ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو»[2].

وقد رأى النقاد أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، سارا في المديح والتهنئة، وحزينا في الرثاء والتعازي، وأن يكون اللفظ والتأليف جزلاً، وأن يكون أجود الاختتام أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر، وأن يتضمن حكمة أو مثلاً سائراً، وأن يتضمن معنى تاماً يؤذن بالنهاية[3].

ولدى العودة لشعر ابن منير، نجد كثيراً من النهايات والخواتيم يحقق ما ذهب إليه النقاد فمن ذلك قوله في ختام قصيدة عزى بها نور الدين زنكي بوفاة شقيقه الأكبر سيف الدين غازي صاحب الموصل سنة ٥٤٤هـ. يقول:

وَلَـوْ أَنْصَـفَ المَجْـدُ مَـوتَـاكُـمُ لَخَـطَّ لَهُـمْ فِـي السَّمـاءِ قُبُـورَا
حَيَـاتُـكَ أَحْيَـتْ رَمِيـمَ الـرَّجَـاءِ وَأَمْطَـتْ مِـنَ الجُـودِ ظُهْـراً ظَهِيـرَاً[4]

فهذه الخاتمة متعلقة بالجو العام للأبيات وهي مناسبة لغرض الشاعر، ولعل البيت الأخير اشتمل على عذوبة اللفظ وجزالته، كما جاء معبراً عن عواطف الشاعر وإحساساته وملخصاً لما قصده الشاعر فيما سبق من الأبيات.

وقد يلجأ الشاعر إلى الدعاء للممدوح في الخاتمة ليساعد على تحقيق أهدافه،

---

(١) العمدة: ج١/ ٤٨٥.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني ت ٦٨٤هـ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦، ص ٢٨٥.

(٣) انظر: منهاج البلغاء ص ٢٨٥.

(٤) الديوان: ص ٢١٩.

والوصول إلى غاياته[1]، وهذا ما عرض له ابن منير في غير موضع، فمن ذلك قوله في ختام قصيدة مدح بها عما الدين زنكي، وهنأه بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ، يقول:

أَبْقَاكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ تَحوطهَما مَنْ لَمْ يُتَوِّجْكَ هَذَا التَّاج إِلَّا هُو[2]

ومن قصيدة أخرى يهنىء عماد الدين بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله سنة ٥٤٠هـ فختم ببيت امتاز بسهولة التركيب، ووضوح المعنى، وتناسبه مع جو القصيدة وغرضها. يقول:

لا سَلَبَتْ مِنْكَ اللَّيَالِي مَا كَسَتْ وَلَا عَرَتْ جِدَّتُكَ الإِخْلاَقْ[3]

وقليل من الخواتيم جاء مستكرها مغايراً لما تعارفه النقاد في الخاتمة إذ لم يوفق ابن منير فيها، حيث تتوقف الأبيات والنفس متطلعة إلى ما يقال، وترجو المزيد، كما أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله: «من العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً لأنه لم يتعمد جعله خاتمة»[4] فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها وزير الموصل «جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور»[5]، التي مطلعها:

كَسَا الحَرَمَيْنِ لُبْسَةَ عَبدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ غُرَّتْي نَسْلُ الخَلِيلِ[6]

فبعد أن بدأ قصيدته بالهجوم على الموضوع مباشرة دون تقديم، أخذ يعدد مناقب ممدوحه ويذكر صفاته الحميدة، ومآثره الباقية حتى وصل إلى أخر القصيدة على النحو التالي:

مآثِرُ بَاقِيَاتٍ يَوْمَ يَجنِي الـ ـمَقَالُ وَيَجْتَنِي طِيبُ المَقِيلِ

(١) انظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ٢٨١.
(٢) الديوان: ص ١٩٧.
(٣) نفسه: ص ٢٠٣.
(٤) العمدة: ج١/ ٤١٧.
(٥) سبقت ترجمته.
(٦) الديوان: ص٢٦٩.

وَكَـمْ لِلْمُـوصِـلِ الحَـدْبَـاءِ مِمَّـا تُنِيـلُ يَـدَاهُ مِـنْ رِيـفٍ وَنِيـلِ
بَـرُودُ الصَّفْـحِ مُلْتَهَـبُ الحَـوَاشِـي مَهِيـبُ البَطْـشِ فَـرَّاسُ الـدَّخُـولِ[1]

ومن الملاحظ أن الأبيات تعدد صفات الممدوح، وهي استمرار لسياق الأبيات التي قبلها، ولا يشعر المتلقي بنهاية، وإنما توقفت عند البيت الأخير والنفس بها متعلقة.

ومن النهايات الجميلة عند ابن منير، تلك التي تأتي متدرجة، حيث يهيىء الشاعر المتلقي لاستقبال خاتمة القصيدة، فتأتي تلك الخاتمة نهاية طبيعية، والأمثلة على ذلك وفيرة، منها قصيدته «التترية» التي تعددت موضوعاتها لتخدم هدفاً وغرضاً واحداً، هو الطلب من الشريف المرتضى إعادة المملوك «تتر» للشاعر، فبعد أن يقف الشاعر في محطات متعددة من غزل وهجاء، وشعر مذهبي، يسترسل في النظم حتى يصل إلى مئة بيت ونيف «١٠٤» أبيات، أخذ الشاعر يهيىء ذهن المتلقي بتوقع نهاية القصيدة فاستدرجه متأنياً. يقول:

وَأَقُـولُ فِـي يَـومٍ تَحَـا رُ لَـهُ البَصِيـرةُ والبَصَـرْ
والصُّحـفُ يُنشَـرُ حِلُّهَـا والنَّـارُ تَـرْمِـي بِـالشَّـرَرْ
هَـذا الشَّـرِيـفُ أَضَلَّنِـي بَعْـدَ الهِـدايَـةِ وَالنَّظَـرْ
مَـالِـي مُضِـلٌّ فِـي الـوَرَى إِلّا الشَّـرِيـفُ أَبُـو مُضَـرْ
فَيَقـالُ خُـذْ بِيـدِ الشَّـرِيـ ـفِ فَمستقـرُ كَمـا سَقَـرْ
لَـوَّاحَـةٌ تَسطُـو فَمَـا تُبْقِـي عَليـهِ وَلَا تَـذَرْ[2]

ثم يشعر القارىء أن القصيدة أخذت تتجه نحو النهاية ابتداء من البيت الثالث والتسعين حيث يقول:

---

(١) الديوان: ص ٢٦٩.
(٢) الديوان: ص ١٦٨.

فَـــاخـــشَ الإِلَـــه بِســـوءِ فِعـ ـلِـــكَ واحـــذَرَنْ كُـــلَّ الحَـــذَرْ
وَاللَّـــــهُ يَغْفِـــــرُ للمُسِـــــي ـءِ إِذَا تَنَصَّـــــل واعتَـــــذَرْ

ثم يقول:

وإِلَـــى الشَّـــرِيـــفِ بَعَثْتُهَـــا لَمَّـــا قَـــرَاهـــا فـــانْبَهَـــرْ
رَدَّ الغُـــــلاَمَ ومَـــــا استَمَـ ـــرّ علَـــى الجُحـــودِ ولَا أَصَـــرْ
وَأَثَـــابَنَـــي وَجَـــزَيْتُـــهُ شُكـــراً وقَـــالَ لَـقَـــد صَبَـــرْ
وَظفـــرتُ مِنـــهُ بـــالمُنَـــى والصَّبْـــرُ عُقْبَـــاهُ الظَّفَـــرْ[1]

فالأبيات كلها تعود إلى البيت الأخير، وتؤدي إليه، لذا يشعر المتلقي عند سماعه البيت الأخير أن القصيدة قد انتهت.

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن منير في ختام قصيدة مدح بها نور الدين وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ يحرضه على قتال صاحبها «مجير الدين» بسبب موالاته للفرنج. يقول:

دِمَشْـقٌ دِمَشْـقٌ إِنَّمـا القُـدْسُ سَـرحَـة وَمَـركِـزهَـا صَـرْحٌ عَلَيْهَـا مُمَـرَّدُ
مَتَـى أَنَـا رَاءٍ طَـائِـرَ الفَتْـحِ صَـادِحَـاً يُـرَفْـرِفُ فِـي أَرْجَـائِهَـا ويُغَـرِّدُ؟[2]

نلاحظ أن الخاتمة جاءت متعلقة بالجو العام للأبيات، ومناسبة لغرض القصيدة، فالشاعر يبين أهمية دمشق وفتحها وتحريرها، فهي بمنزلة الطريق لفتح القدس ويتطلع بشوق لذلك اليوم الذي يرى فيه طائر الفتح يرفرف في أرجاء القدس.

ومن النهايات الحسنة، والخواتيم المنسجمة مع غرض القصيدة الملائمة لجو القصيدة، قول ابن منير في مدح نور الدين والتغني ببطولاته، وما فتح الله على يديه من حصون ومواقع، يذكر عدداً منها ثم يختم بقوله:

---

(١) الديوان: ص ١٦٩.
(٢) نفسه: ص ٢٣٣.

وَصَبَّحَ فِي «عَزاز»[1] بِها عَزَازُ فَأمسَى وهو وعَثٌ[2] أَو خَبارُ[3]

يَشُقُّ بِها دُجَى الغَمراتِ عَسفاً[4] جَوادٌ لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارُ[5]

ومن الموافقة والانسجام بين الخاتمة والقصيدة، أن جو القصيدة مفعم بالمدح والإطراء، وذكر المناقب التي تفرد بها عن غيره من الملوك، فجاء المقطع أو الخاتمة، يؤكد هذه المعاني، ويتضمن مثلاً «جواد لا يشق له غبار» وفي ذلك تهيئة لذهن المتلقي لاستقبال نهاية القصيدة.

***

واهتم النقاد بالوحدة في العمل الأدبي اهتماماً تمثل في الحديث عن الابتداءات والمطالع، والتخلص والخاتمة. وقد قامت القصيدة العربية على وحدة البيت، هذا ما عبر عنه ابن رشيق، إذ يرى أن البيت في القصيدة ينبغي أن يكون وحدة مستقلة بمعناها، فإذا احتاج البيت في فهم معناه إلى ما بعده، كان ذلك عيباً من عيوب الشعر. يقول: «وأنا أستحسن كل بيت قائماً بنفسه، لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي يقصر إلا في مواضع معروفة مثل: الحكايات وما شاكلها»[6].

وقد اشترط النقاد في بناء القصيدة أن يكون فيها رابط قوي بين أجزائها، حتى تستوي عملا فنياً متكاملاً مرتبط العناصر متناسق الأجزاء، فيرى الخفاجي: أن بناء القصيدة لا بد فيه من تلاحم أجزائها، واتصال بعضها ببعض حتى ينشأ عن هذا

(١) عزاز: العزاز الأرض الصلبة، وهي بليدة فيها قلعة، ولها رستاق شمالي حلب. انظر معجم البلدان مادة عزاز.

(٢) الوعث: هو المكان تغيب فيه الأقدام، ويعسر فيه المشيء. انظر اللسان مادة وعث.

(٣) الخبار: ما لان من الأرض واسترخى. انظر اللسان مادة خبر.

(٤) عسفا: عسف فلان أخذه بالعنف والقوة. انظر اللسان مادة عسف.

(٥) الديوان: ص ٢٥٢.

(٦) العمدة: ج١/ ٢٦١، ٢٦٢.

وحدة القصيدة. ثم يقول «ومن الصحة صحة النسق والنظم، وهو أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه، حتى يكون متعلقاً بالأول، وغير منقطع عنه، ومن هذا الباب، خروج الشعراء من النسيب إلى المديح، فإن المحدثين أجادوا التخلص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقاً بكلامهم في المدح لا ينقطع عنه»[١].

ومما له صلة بالحديث عن وحدة القصيدة، الحديث عن الوحدة الموضوعية، والوحدة المنطقية، والوحدة العضوية في القصيدة، فأما الوحدة الموضوعية، فهي التي يدور الكلام فيها حول موضوع واحد معين، أيا كان نوعه، إنساناً أم غيره[٢].

وأما الوحدة المنطقية، فهي التي يكون فيها أجزاء الكلام ملتئماً لا تناقض فيه[٣]، ولعل ذلك ما عناه ابن الأثير عندما سمّاه «حسن الترتيب»، وقصد به أن تأتي أبيات الشعر أو ألفاظ النثر متتاليات، متلاحمات، تلاحماً سليماً[٤].

وأما عن الوحدة العضوية، فهي التي يكون بين موضوعاتها انسجام في العاطفة المسيطرة، وفي الاتجاه المركزي، نحو حقائق الكون، وتجارب الحياة، وقد ذكر الدكتور «يوسف بكار»: أن الشاعر يحقق هذه الوحدة في بنائه لقصيدته بأن يرتب موضوعاتها ترتيباً يقوم على النحو المطرد، بحيث ينشأ أحدها عن سابقه نشوءاً عضوياً مقنعاً، ويقود إلى لاحقه بنفس الطريقة، وبحيث تتكامل أجزاء القصيدة في توضيح عاطفتها المسيطرة، واتجاهها المركزي، حتى إذا قرأنا القصيدة ازددنا دخولاً في عاطفتها، وبصرا باتجاهها فتركت علينا في النهاية أثراً فنياً موحداً متكاملاً، لم نشعر فيه بخلل أو تناقض أو انتكاس من الشاعر عن اتجاهه الذي كان يتخذه»[٥].

---

(١) سر الفصاحة ٣١٥، انظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة ج١/ ٩٠، وعيار الشعر، ابن طباطبا، ١٢٤-١٢٨.

(٢) انظر بناء القصيدة العربية ٣٦٧.

(٣) نفسه: ص ٣٦٧.

(٤) انظر المثل السائر ج٣/ ١٥٣-١٥٨.

(٥) بناء القصيدة العربية ٢٧٣.

ولدى تطبيق ذلك على شعر ابن منير، الذي نظمه قبل التحاقه بركب الجهاد مع عماد الدين زنكي ونور الدين، نلاحظ أنه أكثر الحديث عن موضوعات متعددة في القصيدة الواحدة، بحيث تصبح القصيدة عنده شتيتاً من الموضوعات التي تفسد الربط بين أجزائها، فمن ذلك، قصيدته التي قالها في شيزر بينما كان مقيماً عند بني منقذ. ومطلعها:

أَخْلَى فَصَدَّ عَنِ الحَمِيمِ ومَا اخْتَلاَ وَرَأَى الحِمَامَ يَعُضُّهُ فَتَوَسَّلاَ[1]

وهي من القصائد الطوال، بلغ عدد أبياتها ستة وستين بيتاً، وتعددت أغراضها، فقد بدأ الشاعر بأبيات متضمنة شعر الحكمة، تدور حول النصح لسلوك الشخص الكريم على نفسه في الحياة، ثم انتقل إلى الهجاء، فهجا الزمان وأهله، ويصب جام غضبه على المجتمع الذي يصفه بالنفاق ولؤم الطباع، وينتقل إلى الفخر بالنفس، فيعد نفسه صاحب تجربة ورأي، وهمة عالية لا تخور، ويصل إلى الممدوح، فيمدحه وذلك بذكر مناقبه وصفاته، ويبث من خلال مديحه شكواه، فيشكو الوشاة، والحاسدين، وما من شك أن كل موضوع في القصيدة نشأ عن سابقه نشوءاً عضوياً يقود إلى لاحقه.

ومن الأمثلة على الوحدة العضوية أيضاً: القصيدة التي أرسلها رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[2] وقد بلغ عدد أبياتها تسعة وتسعين بيتاً[3]، وتعددت موضوعاتها، إذ استهلها بالمديح، مركزاً على صفة الوفاء في الممدوح، وإنصاف المظلوم، لأن ذلك هو محور القصيدة وغرضها الرئيسي، ثم يعرج على الشكوى، فيشكو أعداءه وحساده الذين أشاعوا نبأ وفاته، ودخلوا داره، وأثبتوا ما فيها، وختموا عليها، ليكون ذلك مسوغاً له في هجائهم، فيخصص نصف القصيدة أو ما

(١) الديوان: ص ١٠٢.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) الديوان: ص ١٥٣.

يزيد لهجائهم، وشتمهم، ولا يتورع عن أن يصفهم بأقذع الصفات، ثم يفخر الشاعر بنفسه وشاعريته. وتستمر القصيدة في ثلثها الأخير بين مديح وهجاء، وفخر، ويختم بالمديح كما بدأ، فيمجد العدل في الممدوح، ويستنهض شهامته ورجولته في نصرة المظلومين.

ونلاحظ أن القصيدة بالرغم من تشتت موضوعاتها حققت وحدة منطقية، فلا نجد تناقضاً بين أجزائها، فكل غرض فرعي في القصيدة قدم للغرض الأصيل بطريقة أو بأخرى، وانساق مع العاطفة المسيطرة على القصيدة، وبذلك، يكون الشاعر قد حقق الوحدة العضوية إلى حد كبير.

وأما عن القصائد الحماسية التي نظمها ابن منير في الجهاد، فقد جاءت موضوعاتها متناسقة، مترابطة في سياقها، منتظمة في معانيها، متصلة أفكارها، وإن بدا للناظر للوهلة الأولى أن القصيدة ذات محاور متعددة، إلا أن الترابط والانسجام بين محاورها لا يدعان مجالاً للشك في وحدة القصيدة. فالحديث عن الفتح هو حديث عن الفاتح في الوقت نفسه، وبصورة أدق، الحديث عن صورة البطل، وصورة العدو، وصورة المعركة في القصيدة الواحدة، يصب في معين الغرض العام، ويحقق الوحدة الموضوعية، كما تتحقق الوحدة المنطقية القائمة على التئام أجزاء الكلام، وعدم تناقضه، وفي الوقت نفسه، فهو حقق الوحدة العضوية بسبب انسجام العاطفة المسيطرة في الاتجاه المركزي لكل محور من محاور القصيدة لتجتمع معاً في بناء العاطفة الكلية للقصيدة.

***

ومن العناوين التي طرقها النقاد ضمن بناء القصيدة، المطولات، والمقطعات الشعرية، وأما عن المطولات عند ابن منير، فثمة ملحوظة تظهر لقارىء شعر ابن منير، ويمكن أن تعد سمة من سمات شعره،وهي الإطالة، فقد كان ابن منير ذا نفس شعري طويل، ولعل مرد ذلك إعجابه بممدوحيه عماد الدين زنكي، ونور الدين

زنكي، ثم تأتي أهمية الحدث الذي يدفع الشاعر إلى أن يطيل في شعره، وكذلك قدرة الشاعر، وتملكه لناصية اللغة والبيان[١].

وقد عدّ بعض النقاد القصائد الطويلة أكثر أثراً في نفوس سامعيها، ومنهم ابن رشيق الذي يقول: «المطولات أكثر إثارة في النفوس، والمطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن جاد»[٢]. وقد أكثر ابن منير مدائح نور الدين وأطال فيها، قال عنه أبو شامة المقدسي: «وقصائد ابن منير من مدائح نور الدين كثيرة ونفسه فيها طويل»[٣]. فقد كانت الفتوحات، والانتصارات التي حققها عماد الدين وابنه نور الدين جديرة بان يقف ابن منير عندها وقفة طويلة، وأن يخلد ذكرها شعراً.

ولا غرو أن يطيل ابن منير في الحديث عن الفتح وآثاره، والفاتح والمعركة والعدو، وما آل إليه من مصير، وتتراوح القصائد الحماسية التي قالها ابن منير في الجهاد بين عشرين بيتاً وستين بيتاً، وتغلب عليها القصائد التي تزيد على ثلاثين بيتاً، وأما ما قاله ابن منير من شعر في الموضوعات الأخرى عدا شعر الجهاد، فقد تراوحت بين خمسة عشر بيتاً ومئة وأربعة وعشرين بيتاً، ومن أشهر قصائده وأطولها، قصيدته التي يصف القاضي الأعز اللبان وعمامته، تصل إلى مئة وأربعة وعشرين بيتاً، ثم تليها القصيدة التترية، وتصل إلى مئة وأربعة أبيات، ثم قصيدته الزائية التي يهجو فيها القاضي الأعز وتصل إلى تسعة وتسعين بيتاً، ولعل رغبة الشاعر في استقصاء معاني الهجاء أدت به إلى التطويل.

***

والمقطعات الشعرية هي التي تدور حول حادثة واحدة، وموضوع واحد. قيل بعضها ارتجالاً، وقد تستوعب عشرة أبيات، تقل قليلاً أو تكثر قليلاً، ولم تقتصر

(١) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ٢٥٢.
(٢) العمدة: ج١/ ١٦٣. انظر منهاج البلغاء ٢٨٨.
(٣) كتاب الروضتين ج١ ق١/ ٢٣٥.

على موضوع بعينه، فقد قيلت في موضوعات عامة منها المديح والوصف، والرثاء والهجاء وغيرها، وهي أشبه بالخاطرة في سرعتها، وإيجازها، وإثارتها، وبالدفقة الشعورية الحارة، وهي ومضات سريعة تحمل سرعة الانفعال، وسرعة العرض وتتميز بالسهولة والوضوح.

ويمكن أن نفرق بين القصيدة والمقطوعة، فالأولى أطول من الثانية، لذا، قد يتراوح الإنفعال فيها بين القوة والضمور، في حين أن المقطوعة تنبثق عن انفعال شديد، يصاغ في أبيات قليلة، فلا تخدمها الذبذبة الشعرية التي قد تخدمها في القصيدة الطويلة[1]. وإخال أن كثرة المقطوعات الشعرية لدى الشاعر دليل على قصر النفس الشعري لديه[2]، وقد تنوعت المقطعات الشعرية حسب نوع الانفعال المضمن فيها وقد تطرق ابن منير في مقطوعاته إلى الموضوعات العامة، من غزل ووصف وهجاء وعتاب وشكوى.

ومن الغزل قوله:

أَلِفَ الصُّدودَ وحِينَ أَسرفَ أَسعَفا ... فَازْوَرَّ عَتباً ثُمَّ زَارَ تَعَطُّفَا

لَبِسَ الدُّجَى فِي لَيْلَةٍ هُو بَدْرُهَا ... وَالبَدرُ أَشْهَرُ مَا يَكونُ إِذَا اخْتَفَى

طَلَعَ الهِلالُ وَقَدْ بَدا مُتَلَثِّمَا ... حَتى إِذَا حَسرَ اللِّثَامَ تَنَصَّفَا

يَا طَرفَهُ مَالِي أَرَاكَ خُلقتَ لِي ... دَاءً فَهَلاَّ كُنتَ لِي مِنْهُ شِفَا

وَاهِي مَنَاطَ الخَصْرِ سُنَّةُ عَيْنِه ... تَقْتَصُّ فِي قَتْلِ النُّفُوسِ وَتَقْتَفِي

يَبدُو فَتَقْرَأُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ ... مِن مَشْقِ أَقْلامِ المِلاَحَةِ أَحْرُفَا

ذُو وَجْنَةٍ نُفِشَتْ بِنُقْطَةِ خَالِهِ ... ونبات عَارِضِهِ فَخيلتْ مُصْحَفا[3]

(١) انظر: صورة الصليبيين في الأدب العربي، عبد القادر شريف عبد الله. رسالة ماجستير. إشراف الدكتور محمود إبراهيم ١٩٧٨، الجامعة الأردنية، ص ٤١٩.

(٢) انظر: أبو فراس الحمداني، حياته وشعره، ٣٦١.

(٣) الديوان: ص ٩١.

والقارىء لهذه المقطوعة يلاحظ أنها نفثة شعرية تتوقد وجداً.

ومن المقطوعات ما كان في العتاب والشكوى[1]، وقد جاءت مليئة بالحرقة والألم والتحسر على صديق مخلص، فقد عبر الشاعر بلفظ موجز ملتهب يشعر القارىء بأنها تنبعث من نفس حزينة.

ومن المقطوعات ما جاء هجاء ساخراً، لاذعاً، هجا فيه ابن منير بخيلاً، فأفرط في تصوير رغيفه بالصغر[2]، والقارىء للأبيات يحس بمقدرة الشاعر وبراعته في رسم صورة البخيل المثقلة بالتهكم والاستهزاء المقصود من الشاعر، ومن المقطوعات ما جاء استعراضاً للمقدرة اللغوية، والبراعة في تصوير حدث بسيط في قالب شعري جزل، أقرب للألغاز منه إلى الإفصاح. يقول ابن منير:

وَصَاحِبٍ لَمْ أَمَلَّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشْقَى لِنَفْعِي وأجني ضره بيدي

أدنى إلى القلبِ من سمعي ومن بصري ... ومن تلادي ومن مالي ومن ولدي

أَخْلُو بِبَثِّي مِنْ خَالٍ بِوَجْنَتِهِ ... مَدَادُهُ زَايِدُ التَّقْصِيرِ لِلْمَدَدِ

لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا ... لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ[3]

فيحس القارىء لهذه الأبيات بعذوبة الألفاظ، وسهولتها ووضوحها، وقرب المعاني وخلوها من التعقيد الذي قد يذهب بحرارة القول، وتلاحق الصور مع قليل من التكلف وتلك هي مزايا المقطعات الشعرية لدى ابن منير.

***

(١) انظر المقطوعة ٣٤ صفحة ١٢٧ من الديوان.

(٢) جرة الإشارة إليها في صفحات سابقة. انظر الديوان: ص ٩٥.

(٣) الديوان: ص ٢٧٢.

اللغَة والأسلُوب

هنالك صلة بين الأسلوب وأغراض القصيدة، فلكل فن شعري أسلوب خاص به، ملائم له. فأسلوب المديح يختلف عنه في الهجاء، وأسلوب الفخر والحماسة يختلف عن أسلوب الغزل أو الرثاء، قال الدكتور عبد الجليل: «الفنون الشعرية لا تجري مجرى واحداً في أساليبها، فالألفاظ تقسم على رتب المعاني، ولا يكون أسلوب الفخر، ولا أسلوب المديح مثل أسلوب الوعيد، فيلطف الشاعر إذا تغزل، ويفخم إذا افتخر أو مدح أو وصف الحرب والسلام»(١).

وكما تتباين أساليب الفنون الشعرية تتباين لغتها، فإذا كان الفن الشعري حماسة أو فخراً جاءت لغته جزلة، وإن كان رثاء أو غزلاً جاءت لغته رقيقة، هذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: «ينبغي على الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشارة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية، وإذا تغزل أن يكون نسيبه حلو الألفاظ وسبغها قريب المعاني سهلها، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى بين الأبيات»(٢).

وفي ذلك يقول ابن الأثير: «الألفاظ تقسم على رتب المعاني وأقدارها، وتأتي مشاكلة لها، متلائمة معها، فالألفاظ الجزلة تستخدم في وصف الحروب، والتهديد وما أشبه ذلك، والألفاظ الجزلة الرقيقة تستخدم في الغزل ووصف الأشواق، والاستعطاف، وما إلى ذلك»(٣).

وبالعودة إلى الموضوعات الشعرية لدى ابن منير التي جرت الإشارة إليها في الفصل الثاني، يمكن القول بأن أسلوب ابن منير في المديح: اتسم بالسهولة

---

(١) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ٢٥٤.

(٢) العمدة: ج٢/ ٧٧١.

(٣) المثل السائر ج١/ ٢٤٠.

والوضوح، ومتانة التركيب، وتناسب الألفاظ مع منزلة الممدوح، وفي الغزل، اتسم بالرقة والعذوبة والسهولة، ووضوح المعاني وفي التهنئة والجهاد، اتسم بالقوة والفخامة والجزالة، وفي الرثاء والتعزية، اتسم بالسهولة والوضوح مع رقة الألفاظ وعذوبتها، وفي الهجاء، اتسم بالتهكم والسخرية.

وتتسم قصيدة الجهاد عنده بأنها ذات لغة قوية جزلة، كما تبدو المشاكلة بين الألفاظ والمعاني جليّة أيضاً. وقد جرت الإشارة لذلك في الفصل الثاني وقد أجاد ابن منير في اختيار الأساليب التعبيرية التي استخدمها في شعره، ولم يقتصر على أسلوب بعينه، بل تنوعت الأساليب وتعددت تبعاً لتعدد الأغراض. ويمكن أن نجمل السمات الأسلوبية المستخدمة عند ابن منير ضمن العناوين التالية: الأسلوب الإنشائي، والأسلوب التقريري، والأسلوب الخطابي، وأساليب أخرى.

الأسلوب الإنشائي:

اعتمد ابن منير في بعض مطالع قصائده، على الأساليب الإنشائية، لتنبيه المتلقي وإثارة اهتمامه، وتهيئته لاستماع القول، فمن ذلك أسلوب الاستفهام كما في قوله:

أَتُرى يَثْنِيهِ عَنْ قَسْوَتِهِ ... خَدُّهُ الذَّائِبُ مِنْ رِقَّتِهِ[1]

***

أينَ مِني الصَّبرُ عَنْ وَجهِكَ أَين ... بَيْنَ قَلبِي وسُلّوي عَنْكَ بَيْن[2]

وأُسلوب التنبيه والنداء يقول:

أَيا نُورَ دِينٍ خَبا نُورُهُ ... ومُذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ[3]

***

(١) الديوان: ص ٨٦.
(٢) نفسه: ص ٨٩.
(٣) نفسه: ص ١٨٨.

يَـا بَـدرُ لَا أَفَـلُ وَلَا مَحَـاقْ ولَا يَـرمِ مَشْـرِقَـكِ الإِشْـرَاقْ[1]

***

يَـا غَـرِيـبَ الحُسـنِ مَـا أَغْنَـاكَ عَـن ظُلَـمِ الحَبِيـبْ[2]

وأسلوب الدعاء. يقول:

يَـا رَبِّ خُـذْ لِـي مِـن الـوُشَـاةِ إِذَا قَـامُـوا وَقُمنَـا لَـدَيْـكَ نَحْتَكِـمُ[3]

***

جعـلَ اللَّـهَ مَـا اسْتَهَـلَّ مِـنَ الأَشْـ ـهرِ يَنهـلُ فِـي مَغَـازِيـكَ نَصْـرَا[4]

وأسلوب القسم. يقول:

وَأُقْسِـمُ مَـا غَـابَ سَيْـفٌ سَقَـتْ مَغَـارِسُـهُ عَيْـن هَـذِي الشِّيَـمْ[5]

***

أُقْسِـمُ لَـو كَلَّفْتَهُـم أَنْ يَسْمَعُـوا حَـدِيـثَ أَيَـامِـكَ مَـا أَطَـاقُـوا[6]

وأسلوب الأمر: يقول:

قِـفْ قَلِيـلاً لأَسْـأَلَـكْ مَـنْ مِـنَ الأُفْـقِ أَنْـزَلَـكْ[7]

***

أَلْقِ العَصَا فِيمَـنْ أَطَاعَ ومَنْ عَصَى مِنْهُـم وَدَمِّـرْ أَرْضُهـمْ تَـدْمِيـرَا[8]

(١) الديوان: ص ١٨٩.
(٢) الديوان: ص ١١٤.
(٣) نفسه: ص ٩٦.
(٤) نفسه: ص ٢٦٧.
(٥) نفسه: ص ٢٥٩.
(٦) نفسه: ص ٢٠٢.
(٧) نفسه: ص ٩١.
(٨) نفسه: ص ٢٤٦.

وأسلوب النهي والنفي يقول:

لَا تَحسبـــنَّ ذَهـــابَ نَفسِـــكَ مِيتـــةً مَـا المَـوتُ إلَا أنْ تَعِيـشَ مُـذَلَـلاَ[1]

***

لا مُلْـكَ إلَّا مُلـكُ مَحمـودِ الَّـذِي تَخِـذَ الكِتـابَ مُظَـاهِـراً وَوَزِيـرَا[2]

وغني عن البيان أن التنويع في الأساليب الإنشائية يدل على الانفعال ويكسب الشعر قوة وجزالة وفخامة.

الأسلوب التقريري:

يعمد الشاعر إلى هذا الأسلوب ليؤكد معنى من المعاني، يشكل لدى الشاعر قيمة ذات شأن عظيم، أو محور يتمركز حوله ليطرح أفكاره ومبادئه، أو لتعزيز مفهوم أو خلق حسن غدا غريباً في واقع الناس، فمن ذلك:

- استخدام كم الخبرية يقول مخاطباً نور الدين:

كَـــمْ سِيَـــرة أَحْيـيتَهَـــا عُمَـــرِيَّـــةً رُفِـعَـتْ لَهـا فِـي الخَـافِـقَيْـنِ مَنَـارُ[3]

***

وَكَـــم حِمـــى للشِّـــركِ لَا يَهتَـدي الـ ـــوَهْـــمُ لَـــه غَـــادَرْتَـــهُ مَجْـــزِرا[4]

ويفيد هذا الأسلوب التكثير والتضخيم، وهو كثير الشيوع في شعره.

- استخدام أسلوب التكرار، ويكون في الألفاظ والمعاني، ولعل شيوع هذا الأسلوب مرده إلى أن الممدوح عند الشاعر ثابت لا يتغير، وهو إما عماد الدين زنكي أو نور الدين زنكي، لذا، نجد أن الحديث عن البطل ومواقفه ومآثره،

(١) الديوان: ص ١٠٣.
(٢) نفسه: ص ٢٤٦.
(٣) نفسه: ص ١٩٢.
(٤) نفسه: ص ٢٠٧.

والحديث عن صورة العدو الصليبي، والإشادة بالفتح والفاتح، لها صور ومعان تتكرر، فمن تكرار الألفاظ:

يَـا نُـورَ دِيـنِ اللَّـهِ وابـنَ عِمـادِهِ وَالكَوْثَر ابْنُ الكَوثَرِ ابنِ الكَوثرِ[1]

ومن تكرار الألفاظ أنه كرر لفظة «كأن» خمس مرات في بداية كل بيت كما في قوله:

كَـأَنَّ مَـا اصْفَـرَّ والمُحْمَـرَّ يَـرقُبُـهُ فِـي مَحْفِـلِ النُّـورِ مَحـزونٌ ومَسـرُور

كَـأَن أَكْمَـامَـهُ مِـن تَحـتِ زَاهِـرِه فِـي الـدَّوْحِ ضِـدانِ: مَهتـوكٌ ومَستـورُ

كَـأَنَّ نَـوْارَهُ والـرِّيـحُ تَقْـذِفُـهُ في الماء جيشان: مخذول ومنصور

كَـأَنَّ أَظْـلاَلَـهُ والشَّمـسُ يَنْسِخُهـا عَنـهَ رِداءآنِ: مَطـوِيٌّ ومَنْشُـورُ

كَـأَنَّ يـانِعَـهُ مِـنْ بَعـدِ مُـورِقِـهِ فِيـهِ حَـدِيثَـانِ: مَعْـلُـولٌ ومَـأْثُـورُ[2]

وما من شك في أن جمال هذه الأبيات، وقوة تأثيرها في المتلقي، لا يكمن في التكرار وحسب، بل إن الطباق الذي ختم به كل بيت، يزيد الأبيات بهاء.

- أما تكرار المعاني، فظاهرة بارزة في شعره، وقد تكرر كثير من الصور المتعلقة بالمعركة ولوازمها، من سلاح وجيوش، فمن المعاني المتكررة، وصفه لـ «نور الدين» بأنه منصف عادل، أحيا العدل في الأمة بعد أن نعوه. يقول:

يَـا مُحْيِـيَ العَـدْلِ وَيَـا مُنْشِـرَهُ مِـنْ بَيْـنِ أَطْبَـاقِ البلَـى وَقَـدْ هَمَـد[3]

ويذكر نفس المعنى في البيت التالي:

يَـا مُحيِـيَ العَـدْلِ الَّـذِي فِـي ظِلِّـهِ تَسَـرْبلَـتْ زِينتهَـا الآفَـاقْ[4]

(١) الديوان: ص ٢٢٩.
(٢) نفسه: ص ١٤٩/ ١٥٠.
(٣) نفسه: ص ١٨٧.
(٤) نفسه: ص ٢٠٢.

ومثال آخر فقد كرر الشاعر صورة نور الدين، وهو غضبان للإسلام، يقاتل حمية للدين، وصوناً لحرمات المسلمين. يقول:

غَضْبَانَ لِلإِسْلامِ مَالَ عَمُودُهُ فَلِنُورِهِ مِمَّا عَرَاهُ نَوَارُ[1]

ويكرر المعنى في قوله:

غَضْبَان لِلإِسْلَامِ لَا يَغْيُظُهُ إِسْـ ـتِسْلامَها لِلقَسَّرِ مِنْ إِسْلَامِها[2]

ويتكرر أيضاً في قوله:

غَضَبْاً لِدينِ اللَّهِ خَصَّ جَنَاحَهُ بَغْيَاً وأَدْمَى صَفْحَتَيْهِ لِدَامَها[3]

والأمثلة كثيرة لا مجال لاستقصائها. ولعل من بديه القول أن التكرار مقترن بالأسلوب التقرير ليرسخ فكرة قصد إليها أو معنى يطلبه.

- استخدام ضمير الشأن فمن ذلك قوله:

هِيَ الخَيْلُ خَيرُ عَتَادِ الكَرِيـ ـمِ يَحْضُرُ لِلْهَمِّ إِحْضَارَهَا[4]

***

هُوَ الفَتْحُ أَنْسَى كُلَّ فَتْحٍ حَدِيثُه وَتَوَّجَ مَسْطُورَ الرِّوَايَةِ والنَّقْلِ[5]

- الواقعية، ويقصد بها الاستمداد من الواقع الذي يتحدث عنه الشاعر، فقد تحدث عن المعارك، وصور طبيعة الصراع بين المسلمين والصليبيين، وصور هزائم الفرنج، ومصرع قادتهم، كل ذلك كان مستمداً من الواقع، كما تأثر بروح عصره الحربية، فأورد في شعره أسماء أدوات القتال، وبعض مصطلحات الحرب مثل الكر والفر، الضرب والطعن والرمي، والنصر والهزيمة، والفتح، والمحافل

(١) الديوان: ص ١٩١.
(٢) نفسه: ص ٢٣٥.
(٣) نفسه: ص ٢٥٥.
(٤) نفسه: ص ٢٢٦.
(٥) نفسه: ص ١٩٧.

والكتائب، والجنود، والرباطات، وحرق، وزلزل. . . وقد جرت الإشارة إليها سابقاً.

ومما يرتبط بالواقع ذكر المواقع الجغرافية، فقد أكثر ابن منير من ذلك، بحيث يستطيع القارىء أن يستخرج من ديوانه معجماً جغرافياً خاصاً بأسماء الأماكن والبلدان والقرى، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده الجهادية من ذكر لأسماء المواقع والبلدان، والقرى والحصون، وإخال أن استقصاءها في شعر ابن منير ليس بالهين، وقد تعرضت لعدد غير قليل منها في معرض استشهادي، فقد أثرت هذه الألفاظ في الصياغة الشعرية، وظهر التكلف فيها جلياً، فمن ذلك قوله:

يَـرْكـزِنَ فِـي حَلـبٍ ومِـن أَفْنَـانِهـا تَجنِـي فَـواكِـه أَمْنِهـا بَغْـدادُ[1]

***

وفي وصف متنزهات دمشق عرض لذكر عدد غير قليل من قرى دمشق، فيقول:

و«القَصرُ» و«المَرج» فـ «المَيْدان» فـ الشَّرف الـ

الأعلى» فـ «سَطرا» و«جرَمانا» فـ «قُلبين»[2]

الأسلوب الخطابي:

وينتقل الشاعر إلى الأسلوب الخطابي، ليكسب شعره قوة ووضوحا، وليقرب المسافة بينه وبين ممدوحه، وليحدث في نفسه أثراً كبيراً. يقول:

فَـدَتْـكَ الْمُلُـوكُ وَأَيَّـامُهـا وَدَامَ لِنَقْضِـكَ إِبْـرَامَهَـا

وَزَلَّـتْ لِعَيْنِـكَ أَقْـدَامُهـا وَزَالَ لِبَطْشِـكَ إِقْـدَامُهَـا[3]

***

(١) الديوان: ص ٢٦٣.

(٢) الديوان: ص ١٧٤، القصر، المرج، الميدان، الشرف الأعلى، سطرا، جرمانا، قلبين. كلها قرى من قرى دمشق. انظر الديوان: ص ١٧٤.

(٣) الديوان: ص ١٩٤، ١٩٥.

ويقول:

وأَنْـتَ السَّيْـفُ لَـمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ وَلَا شَحَـذَتْ مَضَـارِبَـهُ القُيُـونْ

وَأنـتَ أَقَمْـتَ لِلْجَـدوَى مَنـاراً يَبِيـنُ لشَـائِميـهِ ولَا يَبِيـنْ[1]

أساليب أخرى:

- ومن السمات الأسلوبية استخدام ألفاظ ومصطلحات إسلامية تعكس الأثر الديني في شعر الشاعر، فمن ذلك: ذكر الله، ويوم الحساب، والنار، والكفر، ودين الله، وقبة الإسلام. يقول:

لِسَـانٌ بِـذِكْـرِ اللَّـهِ يَكْسُـو نَهَـارَهُ بَهاءً وَحَتَّى فِي الدُّجَى لَيْسَ يَرْقُدُ[2]

***

العَـارُ فِـي الـدُّنْيَـا شُقُـوا بِلِبَـاسِـهِ وَلِبَـاسُـهُـمْ يَـوْمَ الحِسَـابِ النَّـارُ[3]

وَجَـادَ لَنَـا بِـكَ رَبُّ بَـرا كَ لِلْكُـفْـرِ نَـاراً ولِلـدِّيـن نُـورَا[4]

***

وَطَـاوَلْـتَ قُبَّـةَ الإِسـلَامِ حَتّـى إِسْـتَـوَتْ بَيـنَ الفَـوارِس والنَّعَـامْ[5]

***

- وقد تأثر أسلوبه بالقرآن الكريم، ويبدو ذلك جلياً واضحاً في معانيه وألفاظه وتعبيراته، فمن ذلك قوله:

---

(١) الديوان: ص ٢٣٦.

(٢) نفسه: ص ١٨٩.

(٣) نفسه: ص ١٩٢.

(٤) نفسه: ص ١٩٣.

(٥) نفسه: ص ٢٦٥، البيت منكسر الوزن.

قُلْتُ لِقَوْمٍ كُوُوا بِنَارِهِمُ مِثْلِي وَصَارُوا طَرائِقَ قِدَدَا
طِيرُوا مَعِي تُسعَدُوا وَلَا تَقْعُوا قُومُوا فإنَّ الشَّقِيَّ مَنْ قَعَدَا
قَالُوا عَجِزْنَا عَنْ أن نُفَارِقَهُمْ قُلْتُ فَلَن تُفْلِحُوا إذَا أَبَدا[1]

ففي البيت الأول ينظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن١١].

وفي البيت الثالث ينظر إلى قوله:

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

ويقول الشاعر:

وَقَالُوا قَفَا الشَّيْخ (إنَّ المُلو كَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)[2]

ينظر إلى قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر يلجأ للاقتباس تزيينا للكلام، وتفخيماً لشأنه[3].

- ومن السمات الأسلوبية أن ابن منير كان ينحو في بعض أشعاره إلى استخدام الحوار، لأن ذلك يوجد روحاً ثانية في الشعر، ويضفي عليه شيئاً من الحيوية، والجاذبية، ويدخل في أذن السامع تقبلاً وتلاؤماً. فمن ذلك قوله:

قُلْتُ مَولَاي أَحَقٌّ مَا أَرَى؟ بعدَمَا حَكَّمتَ فِي رُوحي التَّلَفْ

(١) الديوان: ص ٩٩.

(٢) الديوان: ص ١٣٨.

(٣) انظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. تأليف فخر الدين الرازي «محمد بن عمر» ت ٦٠٦هـ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات أبو علي. دار الفكر، ١٩٨٥، ص ١٤٧.

قَـالَ: مِـنْ أَحمـدِ شَـيءٍ فِـي الهَـوَى عُقَـبُ الصَّبـرِ، وَتـأمِيـلُ الخَلَـفْ[1]

وقوله:

قـالـوا: الخِضَـمَّ أَتـى بـأنفـس دُرَّةٍ قَدراً فَقُلتُ: بَلْ الغَضَـنْفَـرُ أَشْبلا[2]

***

- ومن الأساليب التي استخدمها ابن منير، اللجوء إلى الاستهزاء، والتهكم، لازدراء العدو وتصغير شأنه. قال ابن منير في أحد قادة الفرنج، يصف المصير الذي آل إليه بجو مفعم بالسخرية والازدراء. يقول:

وَسَقَـى البِـرَنْـسَ وَقَـدْ تَـبَـرْنَـسَ ذِلَّـةً بِـالـرَّوْحِ مُمْـقِـرٌ مَـا جَنَـتْ غَـدَرَاتُـهُ

فَـانْقَـادَ فِـي خَطْـمِ المَنِيَّـةِ أَنْـفُـهُ يَـوْمَ الخَطِيـمِ وَأَقْصَـرَتْ نَـزَوَاتُـهُ[3]

ويصور ابن منير ملوك الفرنج الذين كانوا جبابرة وقد صاروا أذلة بعد هزيمتهم، فعرض لنا هذه الصورة التهكمية الساخرة التي تعبر عن الانتقام ممن كثر غدره واعتداؤه على المسلمين، فيصوره وهو يتجرع الموت الذليل، وقد انقاد من أنفه كما يقاد الجمل إلى نحره.

وقد أكثر ابن منير صور السخرية والاستهزاء في الهجاء، بل إن الهجاء عنده يقوم على هذا النهج، ولا أدل على ذلك من قصيدته الطويلة في هجاء القاضي الأعز ووصف عمامته، فيستدعي الشاعر صور الاستهزاء والتهكم، ولا يدع صورة للسخرية إلا ويلصقها به وبعمامته، وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني.

- كما استخدم الدخيل من الألفاظ الفارسية والأعجمية، وهي أسماء قادة الفرنج مثل «البرنس، جوسلين» فمن ذلك:

---

(١) الديوان: ص ٩٠، البيت منكسر الوزن.

(٢) نفسه: ص ١٠٧.

(٣) نفسه: ص ٢١٢.

صبَحوا مُحَلَّقَةَ البِرنْسِ بحِالقٍ حَرَشَ الضَّبَابُ[1] مِنَ القُلوبِ ضَبَابُه[2]

وقوله:

وَأَتَتْهُ تَجْلُبُ «جُوسَلين» جَنَائِبٌ هَبَّتْ فَقَلَّ إِلَى القِتَالِ هِبَابُهُ[3]

ومن الألفاظ الأعجمية «القوامص» وردت في قوله:

حَطَّ القَوامِصَ[4] فِيهِ قِمَاصُها ضَرْبٌ يُصَلصِلُ فِي الطُّلى صَعَقَاتُهُ[5]

ولم يقف الأمر عند استخدام هذه الألفاظ الدخيلة، بل إن ابن منير أخذ يشتق منها أفعالاً من أجل المجانسة، وهذا ما يعرف بالمجانسة عن طريق الاشتقاق، بدافع استعراض المقدرة اللغوية، فمن ذلك:

بَرْنَسْتَ رَأْسَ «بِرَنْسٍ» ذِلَّةً بَعدَما جَاستْ حَوَايَا «جُوسَلِين»[6]

كما كان يشتق من أسماء البلدان أفعالاً بهدف المجانسة. فمن ذلك:

سَمَطْتُ أَمْسِ «سُمَيْسَاط»[7] بِها نَظْمَ جَيْشٍ مُبهجٍ للنَّاظِرين[8]

---

(١) الضباب: من الضب وهو الحقد والغضب. انظر اللسان مادة ضبب.

(٢) ضبابه: من الضبة: حديدة عريضة يضبب بها الباب، والخشب والجمع ضباب، وقيل حدي السيف، الضباب: الحد. انظر اللسان مادة «ضبب».
الديوان: ص ٢٤٧.

(٣) نفسه: ص ٢٤٧.

(٤) القوامص: مفردها قمص وهو كبراء الملة النصرانية. انظر نفح الطيب ج١/ ٣٦٦-٣٧٠، وفي مفرج الكروب، كلمة لاتينية (comes) ومعناها الأمير والرفيق ج١/ ٧٣.

(٥) الديوان: ص ٢٠٩.

(٦) الديوان: ص ٢٠٠، وانظر الديوان: ص ٢١٢، ٢٢١، ٢٣٧، لاحظ أن ابن منير اشتق من الاسم «برنس» فعل تبرنس: لبس البرنس، والبرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به. انظر اللسان مادة «برنس» كما اشتق من الاسم «جوسلين» جاس: مكان جأس وعر، جاس: تردد للطلب باستقصاء. انظر اللسان مادة «جاس».

(٧) سميساط: بلدة غرب الفرات على شاطئه في طرف بلاد الروم، ولها قلعة في شق منها، يسكنها الأرمن. انظر معجم البلدان مادة «سمياط».

(٨) الديوان: ص ٢٠٠.

وَهَبَّ فِي «هَاب»[1] لَهُ عَوَاصِفٌ تَجهَمتْهَا الهِفُّ[2] مِنْ جِهَامِهَا[3]

***

وإنْ دَالكْتَهُم[4] «دُلُوك»[5] فَقَدْ شَدَدْتَ فَصَدَّقَتْ أَخْبَارَهَا[6]

- استخدام الألفاظ الغريبة والمهجورة: وتلك سمة من سمات أسلوب ابن منير، حتى غدت معلماً بارزاً في شعره، ولعله قصد الهدف اللغوي، فبدا وكأنه يستعرض مقدرته اللغوية في حشد عدد كبير من الألفاظ الجزلة الضخمة والغريبة، ولا يستطيع القارىء أن يفهم مراد الشاعر دون الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم، وبخاصة في الشعر الجهادي، والأمثلة كثيرة، أورد منها:

بِعَرَمْرَمٍ صَلَمَتْ وَعَاوِعهُ عُرَى أَسْمَاعِ «جَيْحُونَ» وسَيْف البَرْبَرِ[7]

***

وَغَداً نَلْتَقِي وَيَنْجَحِرُ السَّرْ حُ إِذَا شَمَّ بِنَّةَ السَّرْحَانِ[8]

(١) هاب: قلعة عظيمة على الحدود الرومية الإسلامية. انظر معجم البلدان مادة «هاب».

(٢) الهفّ: السحاب لا ماء فيه. انظر اللسان مادة «هفف».

(٣) الديوان: ص ٢٣٤.

(٤) دالك: صابر، ماطل، انظر اللسان مادة «دلك».

(٥) دلوك: بلدة من نواحي حلب. انظر معجم البلدان مادة «دلوك».

(٦) الديوان: ص ٢٢٨.

(٧) الديوان: ص ٢٠، العرمرم: جيش عرمرم: كثير وقيل الكثير من كل شيء، والعرمرم الشديد، انظر اللسان مادة «عرم».

صلمت: صلم: صلم الشيء صلما قطعه من أصله. انظر اللسان مادة «صلم».

وعاوعه: الوعواع: أول ما يغيث من المقاتلة، وقيل الوعواع الجماعة من الناس. انظر اللسان مادة «وعع».

جيحون: بالفتح يسمى نهر بلخ مجازاً لأنه يمر بأعمالها وعموده نهر يعرف بجرياب. انظر معجم البلدان مادة «جيحون».

(٨) الديوان: ص ١٥٦.

أَنْجَحَرَ يَنْجَحر: يدخل الجُحْر. السِّرْحْ: الماشيه. السرحان: الذئب. البِنّةَ: مكان الإقامة. =

وَالصَّـافِنَـاتُ وَلُبْسُ الضَّـافِيَـاتِ وَشُـرْ بُ الصَّـافِيَـاتِ وَإِطْـرَابُ الأَغَـانِـيّ[1]

***

يُـغْـــرَى بِحَثْحَثَـــةِ اليَـــرَاعِ بَـنَـــانُـــهُ إِنْ لَـذَّ حَثْحَثَـةَ الكُـؤُوسِ لِـدَاتُـهُ[2]

والأمثلة كثيرة جداً[3]، ونلاحظ أن الشاعر قد أغرق في انتقاء الغريب من الألفاظ مثل «عرمرم، صملت وعاوعه، ينجحر، الصافنات، الضافيات، الصافيات، حثحثه».

وإن هذا الإغراق في تناول الغريب من الألفاظ هو بسبب التكلف الذي يدفع للمجانسة وموافقة القافية.

- ومن السمات الأسلوبية استخدام ألفاظ ومصطلحات لغوية وعروضية، ربما لإظهار المقدرة اللغوية والشعرية، والثقافة الواسعة، وربما لموافقة القافية وتحقيق المجانسة. يقول:

إِذَا مَـا الْفِعْـلُ عُـلَّ تَـلاهُ حَـذْفٌ يُـتَـاحُ لِمُـنْـتَـهَـاهُ أَو سُـكُـوْن[4]

***

لِهَـذَا اليَـوم تُـنْـتَـخَـبُ القَـوافِـي وَيَـذْخَـرُ نَـفْسَـهُ الـدُّرُ المَصُـوْن[5]

(١) الديوان: ص ١٨١.

الصافنات: الصفنة: هي السفرة التي تجمع بالخيط ومنه يقال صفن ثيابه في سرجه إذا جمعها. انظر اللسان مادة «صفن».

الصافيات: صفا: الصفو، والصفاء ممدود نقيض الكدر، صفا الشيء والشراب وصفوة كل شيء خالصيه. انظر اللسان مادة «صفا».

(٢) الديوان: ص ٢٠٩.

حثحثه: حثه تحثيثا وحثحثة بمعنى حض: انظر اللسان مادة «حثث».

(٣) انظر الديوان: ص ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٥.

(٤) نفسه: ص ٢٣٧.

(٥) نفسه: ص ٢٣٨.

مَـا تُعـانِـي مِـنَ الصَّنَـائِـعِ قُـلـتُ: النَّـحْـوَ وَالشِّعْـرَ والتَّـرسُّـلَ خُبْـزِي[1]

***

- وقد استخدم ابن منير ألفاظاً مستوحاة من العلوم المختلفة مثل الزراعة، فالكلمات «راع، الكلا، غرس، فارتوى جرجير البقول، الفواكه، الخضر، مرعى» هي كلمات أخذت من عالم الزراعة. يقول:

وَاعٍ طَـابَ الخَطْـبِ وَهـوَ مُجَمْـجِـمٌ رَاعٍ أَكَـلَّ العِيسِ مِـنْ عَـدَمْ الكَـلاَ[2]

***

أَنَـا غَـرْسَ أَنْـعُمِـكَ الَّـذِي غَـذَّيْتَـهُ خَطَراتِ عَطْفِكَ فَارْتَوَى وَتَـهَـلَّلاَ[3]

***

وأَكلـــتُ جَـــرجِيـــرَ البُقُـــو لِ بلَحْـــمِ جَـــريّ البَحْـــرُ

وَجَعْـلْـتُـهَـــا خَيْـــرَ المـــآ كِـــل والفَـــواكِـــه والخُضَـــر[4]

***

تَـوَهَّـم أَنَّ الشَّـامَ مَـرعَـى ومَـا دَرَى بأَنَّـكَ أَمْضَى مِنْهُ فِي الشَّزْر والسَّجْلِ[5]

***

إن الكلمات ترسم لنا صوراً زراعية، أكثر الشاعر منها، لأنه نشأ في بلد زراعي.

- قد تكون الألفاظ مستوحاة من المعجم الطبي، كقوله:

---

(١) الديوان: ص ١٤٧.

(٢) نفسه: ص ١٠٤.

(٣) نفسه: ص ١٠٦.

(٤) نفسه: ص ١٦٦.

(٥) نفسه: ص ١٩٨، الشزر: الشد والصعوبة في الأمر، تشزر الرجل تهيأ للقتال. انظر اللسان مادة «شزر»، السجل: ساجل الرجل: باراه، المساجلة: المفاخرة. انظر اللسان مادة «سجل».

جَـرَحْـتَ يَـداً خُلِقَـتْ لِلنَّـدى وَبـذْلِ الهِبـاتِ وضَـرْبِ الـرِّقَـابِ[1]

***

فَـقُلْـتُ يَـا مُمَـرِضِـي بِـوَجْـه أَظُـنُّ دَائِـي سَـرَى إِلَيْـه
هَـيْهَـاتَ لا تجحـدن قَتْلـي هـذا دَمِـي شَـاهِـدٌ عَلَيْـهِ[2]

***

محَـدّثُ تَحَـدَّثَ أَمْـراضَنـا أَجْفَـانَـهُ الفَـاتِـنَـةُ الفَـاتِـرْة[3]

***

جَـرحَتْـكَ جُـرْحَـا لَا يُـخَيَّـط بـالخِيُـوطِ ولا الإِبَـرْ[4]

***

فالكلمات «جرحت، ممرضي، دائي، دم، أمراضنا، جرحتك، الخيوط، الإبر» من الكلمات المستخدمة في المجال الطبي، وترسم لنا صوراً طيبة تساهم في تلوني الصورة عند ابن منير.

- ومن الألفاظ ما كان من علم الفلك، فيقول:

قِـفْ قَلِيـلاً لأَسْـأَلَـكْ مَـنْ مِـنَ الأُفْـقِ أَنْـزَلَـكْ
صِـرْتَ فِـي الأَرْضِ مَـاشِيـاً بَعـدَ مَـا كُـنْـتَ فِـي الفَلَـكْ[5]

***

وَأَنْـزَلَ الـنَّيِّـرَ الأَعْلَـى إِلَـى فَلَـكٍ مَـدَارُهُ فِـي القِبَـاءِ الخُسـرَوَانِـيّ[6]

---

(١) الديوان: ص ١٢٤.
(٢) نفسه: ص ١٣١.
(٣) نفسه: ص ١٤٠.
(٤) نفسه: ص ١٦١.
(٥) نفسه: ص ٩١.
(٦) نفسه: ص ١٧٩.

ضَـاءَتْ نُـجُـومـكَ فَـوقَهـا وَلَـرُبمَـا بَـاتَـتْ تُـنَـافِثُـهـا الـنُّجـومُ سَـرِارَهـا
أَمْسَتْ مَعَ الشِّعرَى العَـبُور وأَصْبَحَت شَعرَاءَ تَـسْـتَـقلِي الـفُحُولَ شَوَارَها[1]

***

(١) الديوان: ص ٢١٦.

الفنون البديعيّة

شاع في هذا العصر استخدام المحسنات البديعية إلى حد الإسراف، فصرف معظم الشعراء جلّ اهتمامهم وعنايتهم إلى هذه الظاهرة الأدبية، إلى أن غدت هي مقياس الجودة الذي يقاس به الأدب عند كثير من أدباء العصر ونقاده[1]، وقد استخدم ابن منير عدداً من الفنون البديعية في شعره مثل: الطباق، والمقابلة، والجناس، والتقسيم، ورد الأعجاز على الصدور.

وغلب على ابن منير الميل إلى المطابقة، وبالغ في إكثارها، حتى أصبحت معلماً ودلالة على ثقافة شاعرنا، فمن ذلك قوله:

أُعْـــذُرَا إنْ أَرَدْتُمـــا أَوْ فَلُـــومَـــا ... فِـي بَـدِيـع حَسْبـي عـذراُه عُـذْرَا[2]

مَلِـكٌ تَـنَـامُ عَـنِ الفَحْشَـاءِ هِمَّتُـهُ ... تُـقَىً وَتَـسْـهَرُ لِلْمَعْرُوفِ عَـيْـنَاهُ[3]

أَخُـو عَـزَمَـاتٍ كَـالْـعُقـودِ تَـنَـاسَـقَـتْ ... تَحِـلُّ بـأجيـاد الجيـاد وتَـعْـقِـدُ[4]

ولعل لجوء الشاعر إلى الإكثار من الطباق، ناتج عن تأثره الحياة والبيئة اللتين يعيشهما الناس من حوله آنذاك، فقد جمعوا بين الشيء وضده، من صدق وإخلاص وغيرة على هذا الدين، تمثلت في نور الدين زنكي ومن معه، ومن الغدر والخيانة، وموالاة الكفار، المتمثلة في بعض الحكام المسلمين الذين أعطوا الدنية في دينهم، فجاء هذا الأسلوب لدى الشاعر ليعبر عن واقع الناس.

المقابلة: ويقصد بها «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة

---

(١) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ص ٢٩٤.

(٢) الديوان: ص ٨٢، البيت منكسر الوزن.

(٣) نفسه: ص ١٩٥.

(٤) نفسه: ص ١٨٩.

الموافقة أو المخالفة»[1]. وقد قابل ابن منير بين الشطر الأول والشطر الثاني من البيت، وذلك حين أراد التعبير عن محاربة نور الدين للضلال، ونصرته للهدى والإيمان. يقول:

أَقْوَى الضَّلاَلُ وَأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ وَعَلاَ الهُدَى وَتَبَلَّجَتْ قَسَمَاتُهُ[2]

كما قابل بين الشطر الأول والشطر الثاني عندما أراد التعبير عن أسر مليك الفرنج ثم العفو عنه، يقول:

حَبَيْتَ مَلِيكَهُمُ فِي الصِّفَادِ وَعَفْوُكَ عَنْهُ أَعَمُّ الصَّفَدْ[3]

ويقول في مدح نور الدين، في صورة من المقابلة تضفي على الشعر سمة موسيقية ذات جرس خاص، تساهم في تجلية صورة الممدوح وهو عابدٌ وقائمٌ وزاهدٌ يقول:

أَمَّا نَهَارُكَ فَهْوَ لَيْلُ مُجَاهِدٍ وَاللَّيْلُ مِنْ طُولِ القِيَامِ نَهَارُ[4]

ويقول أيضاً في مدح نور الدين:

فَيَدٌ تَحسُمُ النَّوائِبَ عَنَّا وَيَدٌ تَقسمُ الرَّغائِبَ فِينَا[5]

والمقابلة لدى الشاعر تمثل الصراع بين الحق والباطل، والمسلمين والفرنج، فيقابل بين جيش الضلال، وجيش الهدى، ويقابل بين ملك المسلمين «نور الدين زنكي» وملك الفرنج، كما يمثل الحق المتمثل في نور الدين، والباطل المتمثل في حكام المسلمين.

وأكثر ابن منير استخدام الجناس في شعره وكان مولعاً به، ومن أمثلته على ذلك:

---

(١) «كتاب» الصناعتين: ٣٣٧.
(٢) الديوان: ص ٢٠٨.
(٣) نفسه: ص ١٨٨.
(٤) نفسه: ص ١٨٨.
(٥) نفسه: ص ١٩٣.

أدْعـوكَ دَعـوةَ واحـدٍ لَا واجـدٍ بَـدلًا إذْا الكلـفُ المَشُـوق تَبَـدّلا[1]

***

بَـــدْرٌ إذَا البَـــدْرُ سَـــرَى فِيـــهِ المَحَـــاقُ كَمُـــلاَ
شَـمْـــسٌ إذَا الشَّمْـــسُ خَبَـــتْ تَحْـــتَ الكُسُـــوفِ اشْـتَعَـــلاَ
فَهـــوَ الَّـــذِي قَلَّـــبَ قَلْبِـــي فِـــي قَـــوالِيـــبِ البَـــلاَ
يَـــا سَـــائِلِـــي عَـــنِ الهَـــوى وَطعمـــهِ سَـــلْ مَـــنْ سَـــلاَ[2]

***

ولَكُـم لَكُـمْ فِـي أَرْضِهـم مِـن مَشْهـدٍ قَـامَـتْ بـهِ لِظُبـاكُـمُ الأَشْهـادُ[3]

***

وَمَضَـى يُـؤَنِّـبُ تَحْـتَ «إنّـبَ» هِمَّـةً أَمْسَـت زَوَافِـرَ غَيّهـا زَفَـرَاتُـهُ[4]

***

إذِ الهَـوَى والهَـوَاءُ الطَّلـقُ مُعْـتَـدِلٌ هَـــذَا وهَـــذَا رَبِيعـــيٌّ طَبِيعِـــيٌ[5]

***

رَأَيْنـا المُلـوكَ وَقَـدْ سَـاجَلـوكَ تَمَنَّـوا مُنـونَـاً وغُـرّوا غُـرورَا[6]

لقد كان ابن منير يعتمد على المجانسة لتحقيق إيقاع موسيقي خاص، ينسجم مع جو القصيدة، يعيش فيها المتلقي أجواء القصيدة بكل معانيها، كما استخدم الجناس

(١) الديوان: ص ١٠٦.
(٢) نفسه: ص ٨٥.
(٣) نفسه: ص ٢٦٣.
(٤) نفسه: ص ٢١٢.
(٥) نفسه: ص ١٤٠.
(٦) نفسه: ص ١٩٢.

في بناء قوافي قصائده حتى ليحس القارىء أن تلك القوافي تنبثق انبثاقاً تلقائياً من الكلمات السابقة لها في صنعة خفية.

فيصور لنا نور الدين بالقائد العابد، المجاهد الزاهد الحاني على رعيته.

- **التقسيم**: وهو أن يكون البيت مجزءاً ثلاثة أجزاء أو أربعة في تناسق موسيقي دقيق، فيبدو البيت ذا شكل متساوي الأركان[1]، وقد يكون هذا التقسيم ثنائياً، فتقسم الشطرة إلى قسمين يقابلهما قسمان آخران في الشطرة الثانية، كما في قول ابن منير:

طَـرْفُ رَنَـا أَمْ قَـرِابٌ سُـلَّ صَـارِمُـهُ وَأَغْـيَـدُ مَاسَ أَمْ أَعْـطَافُ خَطِّي؟[2]

وقوله:

مَـرامٌ سَـائِـيٌّ، وَحْـزمٌ مُسَـدّدُ ورَأْيٌ شِهـابِـيٌّ وعَـزْمٌ مُـؤيَّـدُ[3]

وقد يكون التقسيم متداخلاً حين يقسم البيت إلى ثلاثة أقسام، فنجد قسماً وبعض قسم في شطره، والباقي مساوٍ له في الشطرة المقابلة، كما في قوله:

صَفـا ورْدُ الصَّفَـاء، وَرقَّ رُوحُ الـ وَفَـاءِ، وَأَيـنَـعَـتْ ثُـمُـرُ التَّـدانِـي[4]

وقوله:

أَرْسَـى قَـواعِـدَهُ، وَمَـدَّ عِمَـادَهُ صَعـداً، وَشَيَّـد سُـورَهُ سَـوراتُـه[5]

ونلاحظ أن هذا التقسيم أضفى على الشعر موسيقى عذبة جميلة، ساهمت في المحافظة على جودة التقابل والتناظر بين مفردات كل قسم.

---

(١) انظر: البديع في نقد الشعر ٦٣.
(٢) الديوان: ص ١٧٩.
(٣) نفسه: ص ١٨٩.
(٤) نفسه: ص ١١٩.
(٥) نفسه: ص ٢٠٨.

- **رد الأعجاز على الصدور**: وهو التصدير، وقد سماه ابن المعتز «رد أعجاز الكلام على ما تقدمها»[١]. وينقسم أقساماً، منها ما يوافق آخر كلمة في البيت، وآخر كلمة في النصف الأول[٢]. مثال ذلك قول ابن منير:

مَشَوْا مُتَسانِدِينَ إلَى صَليبٍ يُبَرْقُعُ هَبْوَةَ الصُّمِّ الصّلابِ[٣]

فَكَمْ أنْتَجَتَ مِن أَمَلٍ عَقيمٍ بِها وحَسَمْتَ مِنْ داءٍ عُقَامِ[٤]

ومنه ما يوافق أول كلمة منها آخر كلمة في النصف الأخير، أي رد آخر العجز على بداية الصدر. يقول:

سَلَبَتْهُ دُرَّةُ تاجِهِ يَدُ ضَيْغَمٍ لَمْ تُنْجِهِ مِن بَأْسِه أَسْلابُه[٥]

ومنه ما يكون في حشو الكلام. وذلك برد آخر عجزه على حشو الصدر، كقول ابن منير:

يَقْظانَ يَنْشُر عَدْلَهُ في دَوْلَةٍ جاءَت لِمَطْويِّ السّماحِ نُشُوراً[٦]

ومن الفنون البديعية الجميلة التي تسهم في موسيقى الشعر «التصريع»: وهو أن يأتي العروض مقفاة تقفية الضرب، وقد استخدمه ابن منير بكثرة، فمن ذلك:

فَدَتْكَ القُلُوبُ بَالبَابِها وَسَاحُ المُلوكِ بَأْربَابِها[٧]

وقوله:

لعلائِكَ التَأييدُ والتَّأْمِيلَ ولملِكِكَ التَّأْبِيدُ والتَّكْمِيلُ[٨]

---

(١) البديع -لابن المعتز ٤٧.
(٢) «كتاب» الصناعتين ٣٨٥.
(٣) الديوان: ص ٢٥٣.
(٤) نفسه: ص ٢٦٥.
(٥) نفسه: ص ٢٤٧
(٦) نفسه: ص ٢٤٦.
(٧) نفسه: ص ٢٢١.
(٨) نفسه: ص ٢٣٨.

وقوله:

يَـا شَمـسُ لا كَسـفٌ وَلَا تِكْـدَارُ وَلَا خَلـتْ مِـن نُـورِكَ الأَنـوارُ[1]

وجدير بالقول إن الجناس، والتقسيم، ود الأعجاز على الصدور، والتصريع من العوامل التي تشكل إيقاعاً موسيقياً يضفي على القصيدة سمة من الجمال.

ونلاحظ أن ابن منير تأثر بمقاييس العصر الأدبية، فاستخدم البديع، ولقي استحساناً عنده، فكان يعنى كل العناية بالتصنع البديعي، وكان أميناً على مذهب التطبيق والتجنيس. فبدت تراكيبه جزلة عبثت بها الزخارف، فكثرت حيناً، وتضاءلت حيناً آخر، وهو بين هذين الاتجاهين يقترب تارةً من الطبع السليم، وينأى عنه تارةً أخرى[2]، يضاف إلى ذلك أنه كان يكثر الزخارف البديعية، ويعبث بأسماء الأعلام الأعجمية التي كان يوردها في وصف الأحداث الكبرى ويشققها، ويشتق منها أفعالاً سعياً وراء المجانسة، وغرضه في ذلك محاكاة من سبقه في هذا السبيل.

---

(١) نفسه: ص ٢٦٦.

(٢) انظر الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأمويين والمماليك: ٢٢٦.

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية «هي أساس الشعر وروحه، وهو قائم عليها، وهي جزء من مبنى القصيدة، وهي وسيلة الشاعر لتجسيد إحساسه، وتعبيره عن حالة نفسية معينة، يعاني منها إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة»[١]. وتعد من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية، كما تستعمل للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وهي وسيلة الشاعر والأديب في «نقل فكرته، وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه»[٢].

ويقاس نجاح الصورة في مدى قدرتها على تأدية هذه المهمة، وكلما حققت الصورة التناسب بين حالة الفنان وما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، ينبض بروح الأديب وقلبه، كان حكمنا عليها أكثر دقة وجمالاً[٣].

كما أن الخيال عنصر مهم من العناصر التي يقوم عليها الشعر، وهو مصدر «توليد الصور الشعرية التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسية، والأدبية»[٤]. وهو «الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوها من إحساسات سابقة، لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها»[٥].

وقد اتخذ ابن منير من الصورة الشعرية وسيلة للتعبير الفني عن أفكاره ومشاعره واعتمد في تصويره على التشخيص، والتجسيم، والوصف، وضروب علم البيان، مثل: التشبيه والاستعارة.

---

(١) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ص ٣١١.

(٢) انظر: أصول النقد العربي -أحمد الشايب- الطبعة الثامنة، ١٩٧٣، مكتبة النهضة المصرية، ص٢٤٢.

(٣) نفسه: ص ٢٤٩.

(٤) النقد الأدبي الحديث ص ١٦٢.

(٥) في النقد الأدبي -شوقي ضيف. دار المعارف، مصر. ص ١٦٧.

وتعددت الصورة الشعرية عند ابن منير، بين صور جزئية تقوم على البيان بأنواعه وصور كلية ترسم لوحة متكاملة لمشهد ما، والأمثلة على الصور الجزئية كثيرة، فهي تقوم على التماس وجه شبه ظاهري بين حدّي الصورة، وغالباً ما تكون الصورة تقليدية.

واستخدم ابن منير التشخيص في صوره، فالفتوح عنده عرائس مهرها الجهاد والتضحية. يقول:

فَبَقِيتَ تَسْتَجلي الفُتوحَ عَرائِساً مُتَمليّاً صدَر العُلا وصِدَارُهَا[1]

ويصور الرّها بعروس همّ «قسطنطين» أن يفرعها «يفض بكارتها» ولكنها أبت، وتمنعت ولم تطاوعه إلى أن جاء عماد الدين فكان أهلاً لها، يقول:

هَمَ قُسْطَنْطِينُ أَن يَفَرَعَهَا وَمَضَى لَمْ يَحْوِ مِنْهَا قسط طِينْ
وَلَكَمْ مِنَ مَلكٍ حَاوَلَهَا فَتَحَلّى الحَيْنُ وَسْماً فِي الجَبِينْ
مُنِيَتْ مِنْهُ بِلَيْثٍ قَائِدٍ بِعَرَانِ الذُّلِّ آسَادِ العَرِينِ[2]

ويصور دمشق بفتاة هيفاء غيداء، فيتغزل بها، يقول:

أَبْدَتْ دِمَشْقُ رَبِيعاً جَلَّ صَانِعُهُ يَأْتِيكَ فِي كُلِّ حِينٍ غَيْرَ مَكنُونِ
سُودُ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدودِ عَلَى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ[3]

واستمد ابن منير كثيراً من صوره الشعرية من الواقع الحربي الذي كان المسلمون يعيشون في صراعهم مع العدو الصليبي، فنرى صورة البطل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي، وصورة المعركة، وصورة العدو الفرنجي المهزوم، وهي صور توضحت معالمها فيما تقدم، وتمور بالحركة، مما يكسبها حيوية وجمالاً، وهي

---

(١) الديوان: ص ٢١٨.
(٢) نفسه: ص ١٩٩.
(٣) نفسه: ص ١٧٥، ١٧٦.

حركة سريعة تناسب جو المعارك، وهي كذلك صور تنبع من الحدث، لذا، فهي تتّسم بالواقعية، ومن ذلك ما يبدو في تصوير المصير الذي آل إليه الأعداء، وتصوير المعركة وما بها من سلاح وأدوات قتالٍ، كما صور بطله بصور تراثية تمثل الشجاعة والجود والرفعة، وصوّر ملوك الفرنج الذين كانوا جبابرة، وقد صاروا أذلة، بعد هزيمتهم، ولا أجد نفسي مضطراً لذكر الشواهد تجنباً للوقوع في التكرار.

والصورة عند ابن منير حركية تعتمد على الحواس، فمما يعتمد على حاسة الشم قوله:

يَـؤُمُّ كَـافُـور حَصْبَـاءِ العُيـونِ بِـهِ عَنْ طَلّ عَنبرِ أَصْدَاغِ الرَّيَاحِينِ(١)

***

أَمَـا وَذَوائِـبُ مِسْـكٍ مِـنْ ذَوَائِبِـهِ عَلَى أَعَالِي القَضِيبِ الخَيْزُرَانِيّ(٢)

ومن الصور ما كان يعتمد على حاسة الذوق كقوله:

وَدَعَـا بـالطَّعَـامِ فَـامتَـرْتُ مِـنْ حُلـوٍ ومِـن حَـامِـضِ المـذَاقِ ومَـزِّ(٣)

ومن الصور ما كان يعتمد على حاسة السمع. يقول:

كَـم أَحمـر أَنْشَـدَتْ فِيـه الحَمَـائِـمُ إِذْ مُعَصفـرٌ غَـرّدَتْ فِيـهِ العصـافِيـرُ(٤)

***

زَأَر الهِـزَبـرُ فَقَيَّـدَتْ عَـانَـاتُهـا عَصْـر الضَّـلاَلِ وَاسْلَمَـتْ أَعْيَـارَهَـا(٥)

ومنها ما كان يعتمد على حاسة الإبصار، وذلك من خلال إبراز الألوان، فالصورة متعددة الألوان، ومن ذلك:

---

(١) الديوان: ص ١٧٥.
(٢) نفسه: ص ١٧٩.
(٣) نفسه: ص ١٤٦.
(٤) نفسه: ص ١٥٠.
(٥) نفسه: ص ٢١٦.

أَسْـــودُ كَـــالْكُفْـــرِ فِـــي أَبَيَـــضَ مِثْـــل الهُـــدَى[1]

فَهُنَـاكَ تَلْقَـى العَيْـشَ أَخْضَـرَ نَـاضِـراً والعِـزَّ أَقعَـسَ والحَيَـاءُ مُكَمِّـلا[2]

رَنَـــا وَفِـــي طَـــرْفِـــه احْمِـــرَارٌ يَـغُـضُّ مِـن سِحـرِ مُـقْـلَـتَيْـهِ[3]

ومن الصور الحركية أنه كان يصبغ الجمادات بصبغة حسيّة، فيضعها في قالب مفعم بالحيوية والنشاط. ويبدو ذلك في قوله:

ضَحِكَـتْ لَـكَ الأيّـامُ واكتَـأَبَ العِـدا قَلَـقَـاً فَجِئْـتَ مُبشّـراً وَنـذِيـرَا[4]

فقد شبه الأيام بإنسان يسرّ ويضحك.

ونلاحظ أن الصورة عند ابن منير لم تكن قالباً جامداً، بل تنوعت طرق تشكيلها بين التشخيص والحركة، وأطياف الألوان، ومن الصور الحركية ما سبقت الإشارة إليه في الحديث عن الشهر الجهادي الذي صوّر حركة الجيوش، وحركة الخيل وهي تكر، وتفر، وانطلاق السهام، وضرب الطعان، ولمع السيوف، وهزيمة الأعداء، فكلها صور تموج بالحركة، فتضفي على القصيدة جواً من الرشاقة والحيوية.

والصورة عنده تعتمد على علم البيان، مثل الاستعارة كقوله:

تُحَـرِّقُ مَـنْ عَصَـاكَ وَأَنْـتَ مَـاءٌ وَتُـغْـرِقُ مَـنْ رَحَـاكَ وَأَنْـتَ نَـارُ[5]

يَـا شَمْـسُ لا كَسـفٌ وَلَا تِكْـدَارُ وَلَا خَلَـتْ مِـن نُـورِكَ الأَنْـوَارُ[6]

ومن الصور ما هو مستمد من عالم الحيوان، وهي كثيرة منها:

---

(١) الديوان: ص ٩٣.
(٢) نفسه: ص ١٠٦.
(٣) نفسه: ص ١٣١.
(٤) نفسه: ص ٢٤٦.
(٥) نفسه: ص ٢٥١.
(٦) نفسه: ص ٢٦٦.

فَقَـالَ لِـي القِـطُّ وَيْـكَ انْتَبِـهْ أليـسَ القِطَـاةُ عُـداةُ الكِـلاَبِ؟[1]

***

بقَـرٌ تَـرى بِحَلِيمِـهِـمْ طَيْـشَ الظَّلِيـمِ إِذَا نَفَـرْ[2]

***

ويَـوْمَ العَـرِيمَـةِ أَقْبَلْتَهُـمْ عُـرَامَـاً تَثَعْلَـبَ مِنْـهُ الأَسَـدْ[3]

***

ويقول في مدح نور الدين:

أَسَـدٌ فَـرائِسُـهُ الفَـوَارِسُ والظُّبَـا أَظْفَـارُهُ والسَّمْهَـريـةُ غَـابُـهُ[4]

---

(١) الديوان: ص ١٢٥.

(٢) نفسه: ص ١٦٧.

(٣) نفسه: ص ١٨٨.

(٤) نفسه: ص ٢٤٧.

الموسيقى الشعرية

من عوامل التأثير في الشعر، العنصر الموسيقي المرتبط بالبحر والقافية، والموسيقى الداخلية.

فأما الموسيقى الداخلية، فهي التي تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما يناسبها من تلاؤم في الحروف والكلمات، ومدى انسجام ذلك مع جود القصيدة، ومن الموسيقى الداخلية حسن التقسيم الذي سبقت الإشارة إليه في صفحات ماضية، وجدير بالقول أنّ للفنون البديعية مثل الجناس والتقسيم والتصريع ورد الأعجاز على الصدور أثراً في تشكيل الموسيقى الشعرية، وأما البحر والقافية، فقد كان لهما أهمية كبرى في إضفاء النغم الإيقاعي على شعره، وقد تطرق ابن منير إلى أبواب كثيرة من الشعر، فلا بد أنه ارتاد بحوراً، وأوزاناً متنوعة تتناسب مع أغراضه الشعرية.

ومن خلال استقراء شعر ابن منير، نلاحظ أنه استخدم في المديح وشعر الجهاد بحوراً ذات أوزان طويلة مثل: الطويل، والمديد، والكامل، والبسيط، وهذا يتناسب مع الفخامة والشدة والصرامة، وتلك صفات كان ابن منير يركز عليها في ممدوحَيْه، كما استخدم بعض البحور الخفيفة مثل: الهزج، والرجز، والسريع، والمتقارب. وهذه البحور تتناسب مع الحركة، والحيوية، والخفة. وهذه صفات مكملة لصورة الممدوح.

وأما في الغزل والوصف، فقد استخدم البحور القصيرة، والأوزان الخفيفة مثل: الهزج، والرمل، والخفيف، والرجز، والمجتث وهي بحور تتناسب مع الانفعال العاطفي.

وأمّا في التهنئة، فقد اعتمد بحر الرجز لسهولة مقاطعة، وخفة تفعيلاته التي تفيض بالمرح والبهجة.

أما القوافي، فقد اختار ابن منير مجموعة من القوافي تناسب غرض القصيدة، فاختار القوافي القوية المتينة ذات الأصوات المحدودة المجهورة الصاخبة في شعر الجهاد، والمديح، والهجاء السياسي، فالهاء المشبعة بألف ترمز إلى العظمة والمفاخرة التي تحلى بها ممدوحاه. كما في قوله:

«أربابها، أنيابها، نظامها، أذنابها، بابها».

وفي الغزل، جاءت القوافي ليّنة خفيفة سلسة، مطاوعة، سهلة المخارج والحروف، وتعمل على إثارة العواطف والأحاسيس في النفس البشرية. وقد قمت بإحصاء القوافي للمقطوعات والقصائد التي قيلت في الغزل، فوجدت الهاء المكسورة أكثرها، إذ بلغ عددها سبع عشرة مقطوعة وقصيدة، وهي تثير التأوه والشكوى مثل «أحبابه، بكذابه، نيابه، إليه، عليه».

وفي الوصف، كانت أكثر قوافيه سريعة خفيفة، تفيض بالحيوية والحركة، كما استخدم قافية الرّوي الساكن التي تسهم في عنف الإيقاع، وقوته، وتعبر عن الحماسة التي تختلج النفوس.

وقد استخدم الشاعر حروف المد استخداماً بارعاً يوحي بالامتداد في المعنى والصوت، ويعطي القارىء والسامع راحة في النفس، وبقراءة أولية للجدول المبين تالياً، الذي يبين عدد مرات استخدام حرف الروي في القصائد الشعرية دون المقطعات. أخلص إلى القول: بأن حرف الهاء قد تكرر في ست عشرة قصيدة، ثم يأتي حرف الراء في المرتبة الثانية، إذ جاء في ثلاث عشرة قصيدة، ثم حرف الميم في ثماني قصائد، فحرف الدال في سبع قصائد، ويليه الباء واللام في ست قصائد، ثم النون في خمس قصائد.

ولعل هذه الأحرف تمثل أصواتاً تتناسب في وقعها على الأذن مع أجواء القصيدة، لا سيما أنها من الحروف التي كثر استعمالها في قوافي القصائد العربية.

«جدول عدد أحرف الروي المستخدمة في قصائد ابن منير»

حرف الروي	الهاء	الراء	الميم	الدال	الياء	اللام	النون	الباء	القاف	الهمزة	الزاي
العدد	١٦	١٣	٨	٧	٦	٦	٥	٣	٢	١	١

مما تقدم، نلاحظ أن القافية تلعب دوراً كبيراً في إضفاء النغمة الموسيقية على القصيدة، وتحدث مع الوزن وحدة موسيقية شاملة تُعرف بها القصيدة.

ثناء العلماء عليه

تحدث الأدباء والشعراء، والمؤرخون عن ابن منير، وصوّروه بما يليق بمكانته العالية في عالم الشعر والأدب، فأثنوا على ما رأو فيه من فضائل، وأقروا له بالعلم، ولولا سلاطة لسانه، وسخف هجائه، لكان في مصاف الفحول ممن سبقوه من أهل صنعته، ومن أقوال العلماء والأدباء والشعراء فيه:

قال ابن القلانسي ت (٥٥٥هـ): «كان أديباً شاعراً عارفاً بفنون اللغة، وأوزان العروض»[١].

وقال عنه السمعاني ت «٥٦٢هـ»: «أبو الحسين أحمد بن منير . . شاعر مفلق، فاضل، مليح الشعر، حسن الطبع»[٢].

وقال عنه: «مجد العرب العامري»[٣] ت «٥٧٣هـ».

«ابن منير ذو خاطر منير، وله شعر جيد لطيف، لولا أنّه يمزجه بالهجو السخيف . . . شعره ككنيته حسن، ونظمه كلقبه مهذب، أرق من الماء الزلال، وأدق من السحر الحلال، وأطيب من نيل الأمنية، وأعذب من الأمان من المنية»[٤].

وقال عنه ابن العديم ت «٦٦٠هـ»: قرأت بخط مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن منقذ قال: «شرف الأدباء أبو الحسين بن منير الطرابلسي، أوحد عصره، ولسان دهره، تأخر زمانه وتقدم فضله وبيانه، فهو زهير الفصاحة، وابن حجاج الملح والطرافة، في أشعاره لطافة تستخف القلب، وتملك السمع، وكل فن من فنون

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٢.

(٢) الأنساب ج١/ ٣٠٢.

(٣) مجد العرب العامري: هو أبو فراس علي بن غالب العامري، شاعر جال ما بين العراق والشام مدح الملوك، والأكابر، توفي بالموصل سنة «٥٧٣هـ». انظر وفيات الأعيان ج٢/ ١٠١.

(٤) الخريدة ج١ ق١/ ٧٧-٧٩.

الشعر يقصده يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعونه»[1].

وقد أوافق هذه الأحكام إلى حد ما، ولكن من غير مبالغة، فلم يكن ابن منير أوحد عصره، ولسان دهره، بل إن هنالك من الشعراء ممن عاصروه من قد فاقوه في حسن النظم وجزالة اللفظ من أمثال ابن القيسراني وابن قسيم الحموي.

وقد أكثر العماد الأصفهاني ت «٥٩٧هـ» مدحه، فمن ذلك:

«كان شاعراً مجيداً ... مكثراً ... ومحاسن أبي الحسين بن منير، منيرة، وفضائله كثيرة»[2] وذكره أحد رواة شعره، زين الدين الواعظ بن نجا الدمشقي» فقال «ما كان أسمح بديهته، وأوضح طريقته، وأبدع بلاغته، وأبلغ براعته، ورأيته يستجيد نثره، ويستطيب ذكره، ويحفظ منه رسائل مطبوعة، ويتبع له في الإحسان طرائق متبوعة، ... كانت الجمهرة على حفظه، وحجة المعاني تتوارد من لفظه»[3].

وقال عنه ابن العديم ت «٦٦٠هـ» «كان ابن منير عارفاً باللغة»[4].

ووصفه أبو شامة المقدسي ت «٦٦٥هـ» هو وابن القيسراني بقوله: «هما شاعرا الشام في وقتهما»[5]، كما ذكره ابن خلكان ت «٦٨١هـ» بقوله: «كان شاعراً مشهوراً»[6].

ووصفه أبو عبد الرحمن الذهبي ت «٧٤٨هـ» يقوله: «الأديب البارع، والشاعر المحسن»[7].

---

(١) بغية الطلب ج٣/ ١١٥٨.
(٢) الخريدة ج١ ق١/ ٧٩.
(٣) نفسه: ص ج١ ق١/ ٧٩.
(٤) بغية الطلب ج٣/ ١١٥٤.
(٥) (كتاب) الروضتين ج١ ق١/ ٢٢٨.
(٦) وفيات الأعيان ج١/ ١٥٦.
(٧) تذكرة الحفاظ ج٣/ ١٠٤.

وأما ابن فضل الله العمري ت «٧٤٩هـ» فقد مدحه بقوله: «لو نازع البحر غصبه، فغاصه، ولو نازل الفلك لأراك اعتياصه، هذا يستلّ درّه، وهذا يسلب زهره، وهذا يفاضل مدّه، وهذا يفاضل سعده، وكلاهما دون ذهنه يقف، ومن صوب خاطره يكف، له قصائد موشحة بالسحب، ذات بيوت تقصر عن مطالتها الشهب، ولا تسكنها إلا الكواعب الأتراب، والخرّد العرب . . . أما شعره فعقود مفصلة الجمان، موصّلة النداء إلى أغلى الأثمان»[١].

وذكره ابن حجة الحموي ت «٨٣٧هـ» تحت عنوان باب الهزل الذي يراد به الجدّ.

مهذب الدين أحمد ابن منير الطرابلسي، قائد هذا العنان، وفارس هذا الميدان»[٢]. وقال عنه ابن تغري بردي ت «٨٧٤هـ»: «كان بارعاً في اللغة، والعربية والأدب»[٣] وقال عنه ابن العماد الحنبلي ت «١٠٨٩هـ»: «كان شيعياً هجاءً، فائق النظم»[٤].

وأما عن كُتّاب الشيعة وعلمائهم، فقد ذكروه وأثنوا عليه، وأكثروا مدحه منهم: الأميني النجفي الذي يقول عنه: «أحد أئمة أهل البيت، وفي الطبقة العليا من صناعة القريض، ولقد أكثر وأجاد، وله في أئمة أهل البيت عقود عسجدية، أبقت له الذكر الخالد، والفخر الطريف التالد[٥]، وقد أتقن اللغة والعلوم الأدبية كلها، أنجبت به طرابلس، فكان زهرة رياضها، ودواء أرباضها، ثم هبط دمشق فكان شاعرها المفلق، وأديبها المدره .. وجمع شعره بين الرقة والقوة، والجزالة، وازدهى

(١) مخطوط مسالك الأبصار. السفر ١٥/٥١٨، ٥١٩.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب -الشيخ تقي الدين أبي بكر، علي المعروف بابن حجة الحموي. دار القاموس الحديث، مكتبة لبنان، سوريا. ١٤٩.

(٣) النجوم الزاهرة ج٥/٢٩٨.

(٤) شذرات الذهب ج٤/١٤٦.

(٥) لم أعثر له على شعر في أئمة أهل البيت.

بالسلاسة والانسجام»[1].

ووصفه الحر العاملي «ت ١١٠٤هـ» بقوله:

«كان من فضلاء عصره، شاعراً، أديباً»، ومدحه محسن الأمين ت «١٣٧١هـ» بقوله: «كان فاضلاً أديباً لغوياً، ماهراً في اللغة، والأدب محترماً، مرعي الجانب، مقرباً عند الأمراء، ظريفاً في الغاية، شاعراً مطبوعاً، متقناً في أشعاره، تغلب على شعره الرقّة والسلاسة»[2].

ولست مع ما ذهب إليه الذين غالوا في الثناء عليه وعلى شعره، فصوّروه لنا نابغة زمانه، وفارس ميدانه وجعلوا شعره في مرتبة تقصر عن مطاولتها أشعار غيره، فهذه أحكام طفا بها كيل المبالغة، وإن كان شاعرنا على درجة من الإجادة والفضل.

---

(١) الغدير ج٤/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) أعيان الشيعة ج١٠/ ١٤٦، ١٤٧.

الخاتمة

لقد انطوى هذا الكتاب على دراسة لشاعر من شعراء الحروب الصليبية، وهو «أحمد بن منير الطرابلسي» الذي غمط حقه، فهو احد الأصوات البارزة في الشعر الجهادي الذي يعبر عن آمال الأمة وطموحاتها.

وقد ركزت على دراسة حياة الشاعر في مراحلها المختلفة، وعلى إنتاجه الشعري، فجاء الكتاب في ثلاثة فصول، درست في الفصل الأول حياة «ابن منير» فعرضت لسيرته، وتحدثت عن اسمه ونسبه، وكنيته وأسرته، وكشفت الدراسة عن أن الشاعر كان متزوجاً ولم يعقب، خلافاً لما ذهب إليه من ترجم له. وتحدثت عن مراحل حياته، فقد ولد في طرابلس، وعاش فيها طفولته، وصباه، وجزءاً من شبابه، حيث تفتحت موهبته الشعرية هناك، ثم ارتحل إلى دمشق فاتصل بأسرة «آل طغتكين» حكام دمشق، وكان له مع بعضهم علاقات ودٍ إلى أن انقلبوا عليه بكيد حساده وأعدائه، فنفي منها ثلاث مرات، وأخذ يتنقل من دمشق إلى بغداد، وحلب، وشيزر، والموصل، وحماة، وحمص، إلى أن استقر به المقام مع «نور الدين زنكي» فلازمه، وأصبح شاعره المفضل، حتى غدا أثيره، وخلّد بشعره سيرته ومجد فتوحات العظيمة، ثم عمل سفيراً له عند حاكم دمشق «معين الدين أنر».

وتناولت في هذا الفصل ثقافة ابن منير وذكرت عدداً من شيوخ وتلاميذه وتحدثت عن مذهبه الشيعي، وبيّنت من خلال الأمثلة مدى تأثر شعره بمذهبه، وقدمت الدراسة تعريفاً لعدد من الأدباء الذين كان لهم علاقات بابن منير وكشفت عن طبيعة هذه العلاقات.

وتحدثت في الفصل الثاني عن ديوان الشاعر، وأبنتُ للقارىء صورة واضحة عن طبعتي الديوان بسلبياتها وإيجابياتها، وتتبعت في هذا الفصل شعر الجهاد، فوجدته يمتد في أكثر من نصف الديوان.

وقد تعددت موضوعات شعر الجهاد لديه مثل: الدعوة إلى الجهاد والتحرير، والدعوة إلى الوحدة. وتبيان صورة البطل، وصورة الفرنج، وصورة المعركة.

وكشف البحث عن وجود شعر هجاء للشاعر، يصل إلى ضعف ما ذكرته المصادر التي ترجمت له، وبينت أن قدرة الشاعر على استدعاء معاني الهجاء وصوره، وطول نفسه فيه، يعودان إلى تملكه ناصية اللغة والأدب، ولثقافته الواسعة، وأشرت إلى أسلوبه في الهجاء الذي يقوم على السخرية والاستهزاء وتصوير المهجو بأقذع الصفات وأشنعها من خلال أسلوب فكاهي ساخر.

وقد لاحظنا أن بقية الأغراض الشعرية لديه كالغزل، والمديح، والوصف والرثاء، متفاوتة فيما بينها، وأن كل فن من فنون الشعر يقصده الشاعر يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعونه -كما وصفه أسامة بن منقذ-.

وأظهرت الدراسة مواكبة ابن منير في شعره لانتصارات عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين زنكي، وتسجيلها.

وفي الفصل الثالث، تناولت التقويم الفني، فتحدثت عن التجربة الشعرية لدى ابن منير ودورها في إغناء شعره من خلال عدد من الأمثلة، وخلصت إلى القول بأنه كان أميناً في تجربته، فقد عبر عن مشاعر الأمة وأحاسيسها بكل أمانة وصدق، ووفق في رسم كثير من الصور الشعرية في قصائده.

وفي بناء القصيدة، أظهر البحث تمسك ابن منير بالصورة الأصيلة للشعر العربي من الابتداء والتخلص، والخواتيم، وما يتصل بذلك من حديث عن وحدة البناء ووحدة القصيدة.

وعرض البحث للغة والأسلوب الشعري لدى ابن منير، وبيّن أن تعدد الأسباب الشعرية التي استخدمها الشاعر في التعبير عن تجربته، ونقل أحاسيسه، ومشاعره، لم تأت مصادفةً، إنما جاءت عن وعي، بقصد إضفاء الصورة الجمالية على شعره، وليلفت انتباه المتلقي، وليكون أدعى إلى طرد الملل والسأم عند القراء.

لقد اكسب ابن منير اللغة دلالات جديدة، نفسية وحسيّة، ووضعها في تراكيب ذات علاقات غير مألوفة، فأخذ يشقق من الأسماء الأعجمية، ومن أسماء البلدان أفعالاً ليوافق المجانسة.

ومن الظواهر اللافتة في شعره: الإكثار من الألفاظ الغريبة والمهجورة، مما يكلف القارىء جهد العودة إلى المعاجم اللغوية، ولعل مرد ذلك عائد إلى سعة ثقافته وإطلاعه وإلى نوع من استعراض المقدرة اللغوية أمام حساده ومنافسيه.

وفيما يتعلق بالمعجم الشعري الذي استخدمه الشاعر، لوحظ تسرب بعض الألفاظ الأعجمية، وعدد غير قليل من الألفاظ العامة، وما تبقى من ألفاظ جاءت ذات دلالات اجتماعية اقترنت ببيئته، ومجتمعه، وأحداث عصره.

وتحدثت عن الصورة الشعرية عند ابن منير، وتبين من خلال الدراسة، أن الصورة لم تكن قالباً جامداً، بل تنوعت طرائق تشكيلها بين التشخيص، والحركة، وأطياف الألوان، إضافة إلى اعتمادها على البديع والبيان، وبدا بوضوح تأثر ابن منير في صوره بالقرآن الكريم وضوحاً لافتاً للنظر، وذلك لأن الصراع بين المسلمين والفرنج صراع عقدي، فلا غرو أن يرتد الشاعر إلى تراثه الإسلامي ليستمد منه القوة لمجابهة العدو.

وعرضت في نهاية الفصل الثالث لأقوال العلماء في ابن منير، وأتيت على ما يقرب من عشرين عالماً بين أديب، وشاعر، وناقد، ومؤرخ، وقد بيّنت هذه الأقوال المكانة المرموقة التي احتلها شاعرنا بين شعراء عصره، وذلك لما امتاز به شعره من دقة ومتانة، وخفّة، وطرافة، مما جعل معظم الأدباء والشعراء والنقاد والمؤرخين يثنون عليه، ويجعلونه في مقدمة شعراء الشام في ذلك العصر، وقد أكثر العماد الأصفهاني مدحه، والثناء عليه، وذكر ثناء مجد العرب العامري عليه بقوله:

«شعره ككنيته حسن، ونظمه كلقبه مهذّب، أدق من الماء الزلال، وأدق من السحر الحلال».

وفي النهاية، أعقبت الدراسة بإضافة غير مسبوقة لمجموعة من أشعار الشاعر، خلت منها طبعتا الديوان، وبلغت عدة هذه الأشعار قرابة مئتي بيت، وهي في الحقيقة إضافة جديرة بالتنويه والذكر، إذا ما ذكرنا أن مجموع أشعار الشاعر في الديوان ألف وثمانماية بيت.

ويأمل الباحث أن يكون قد استطاع بهذه الدراسة تجلية جوانب هذا الشاعر، وأن يعرفه ويلقي الضوء على شعره الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث تاريخية جسام، فكان كلا الطرفين يعرف بالآخر، أعني: فهذه الأحداث تعرف الشاعر، وهو بشعره يؤرخ لهذه الأحداث ويخلد ذكرها.

ملحق

ما لم يرد في طبعتي الديوان من أشعار ابن منير

وقال يذكر دخول القيسراني إلى دمشق في إثر الحريق والنهب[1]:

١. يَا طُوَيْسَ الشُّؤْمِ هَذي الحَرَكَهْ ... أَلْحَقَتْ جِلَّقَ بِالْمُؤتَفِكَه

٢. جِئْتَها تُذْكِرُهَا عَهْداً مَضَى ... مِنْ تَوالِي الفِتَنِ المُشْتَبِكَهْ

٣. مَا صَحَتْ بَعْدُ مِنَ الكَأسِ الَّتي ... جُمْعِسَتْ مِنْكَ بِفَوْحِ المَتْنَكَهْ

٤. يَا رَسُولَ القَدْرِ الحَتْمَ إِلَى ... كُلِّ مَنْ سَدَّ عَلَيْهَا مَسْلَكَهْ

٥. جِئْتَ والدَّبَّابُ فَالطَّيَّارُ قَدْ ... حَرَّدَ النِّيلَ لِهَا مِنْ أَرَكَهْ

٦. حَصَدَ القَائِمَ حَتَّى جَعَلا البـ ... ـطنَ والمَتنَ كَمتْنِ المَسْلَكَهْ

٧. فَغَدَتْ رَفْعَاءَ كَالْفَقْعَاءِ مِن ... بَعدِ مَا كَانَتْ كَشَوْكِ الحَسَكَهْ

٨. يَا أَبَا الكَعْبِ الَّذي مَا حَطَّ فِي ... بُقْعَةٍ إِلّا أَطَارَ البَرَكَهْ

٩. لَكَ رِجْلٌ قُطِعَتْ لَو جُمِعَتْ ... تَحتَ كِيوانٍ لَهَدَّتْ فَلَكَهْ

١٠. شُؤْمُها أَسْرَى مِنَ السُّمِّ فَمَا ... رَبَّ لِلملسُوعِ إِلَا أَهْلَكَهْ

١١. لَفَحَتْ غُلَّةُ بُصْرَى لَفْحَةً ... لَمْ تَدَعْ فِي رَأسِ عُودٍ حَسَكَهْ

١٢. وَدَهَتْ سَرْحَكَ مِنهَا صَرخَةٌ ... فَرَطَ الأَغْضَفِ مِنهَا سَككَهْ

١٣. وَمَضَى البلخِيُّ مُذ أَسعَطَا ... نَادِباً حُرمَتَهُ المُنتَهِكَهْ

١٤. فَارقَ الدِّكَةَ والبِرْكَةَ والـ ... ـفُرشَ تُحْشَى بالقِفَاحِ المُودِكَهْ[2]

١٥. وثَعابِينُ الظُّهُورِ ارْتَعَضَتْ ... مِنْ حَوادِيبِ البُطُونِ العَلِكَهْ

١٦. أَيُّ صَيّادٍ تَصَدَّيْتَ لَهُ ... فَجَفَا الشَّصَّ وَشَقَّ الشَّبَكَهْ

---

(١) هذه الأشعار الواردة في الملحق، تفضل بإهدائها إليّ الدكتور «شفيق الرقب» المدرس بجامعة مؤتة، «وهي جزء من مخطوط شعر ابن منير الموجود في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا». فأسدى لي جميلاً كريماً لا أنساه جزاه الله خيراً.

(٢) منكسر الوزن من الأصل.

١٧ . وَطَوَى الذَّيْلَ على تَلْتَلِهِ ... بَعْدَها إلَا اسْتدخَلْتَها سَمَكَهْ[1]

١٨ . فَاحِشُ القَحْلَةِ سَاوَى عِنْدَهُ ... مُجْعِرُ المَهْرِ مُبَالِ الرَّمَكَهْ

١٩ . لَا يُبَالِي أَيُّ دَرْبٍ حَلَّهُ ... بَعْدَ أَنْ حَلَّ إِلَيْهِ تَكَكَهْ

٢٠ . شَرَّدَتْهُ طَلَعَةٌ إِنْ صَبَّحَتْ ... أَرْضَ قَوْمٍ عَبَقَتْهَا الدَّكْدَكَهْ

٢١ . لَمْ يُمِلْ وَجْهاً إِلَى مَالٍ ثَرٍ ... قَطُّ إِلَا تَرَكَتْهُ تَرِكَهْ

٢٢ . لَا ولَا طَرَّ لَهَا شِدْقٌ عَلَى ... مَأْمَنٍ إِلّا وَأَمْسَى مَعْرَكَهْ

٢٣ . يَا «مُجيرَ الدِّين» مَنْ دَلَّ على ... رَبْعِكَ المَأْهُولَ هَذِي الهَلَكَهْ

٢٤ . مَنْ مِنَ الحُسَّادِ مَا حَوَّلَكَ اللَّـ ... ـهُ أَهْدَى لَكَ هَذِي الشَّبَكَهْ

٢٥ . مَنْ رَمَى مَغْنَاكَ لَا رِيعَ بِمَنْ ... كُلّ مَنْجَاةٍ نَحَاهَا مَهْلَكَهْ

٢٦ . مَنْ إِذا لاحَقَ شَمْلاً بَتَّهُ ... وإِذَا عَنّ لِوَصْلٍ بَتَّكَهْ

٢٧ . أَيُّ دَارٍ أَمَّهَا مَا غَمَّهَا ... أَيُّ سَتْرٍ ضَمَّةُ مَا هَتَكَهْ

٢٨ . أَيُّ سَمْعٍ حَجَّةُ مَا حَجَّةُ ... أَيُ سِرْمٍ حَكَّهُ مَا حَتَّكَهْ

وقال:

١ . لَسْتُ مِمَّنْ يَقْشَعِرُّ ... فَأَقَلُّوا أَوْ أَكْثِرُوا

٢ . لِي نَفْسٌ مِنْ مُطْعِمِ الـ ... ـعَذْلِ فِي العَذْلِ تَنْفِرُ

٣ . وهِيَ مِنْ خَوْدَةٍ أَمَـ ... ـلُّ وآبَى وأَنْفَرُ

٤ . أَنَا أَطْوِي سِرّي وَيَجْـ ... ـرَحُ صَدْرِي فَأَنْشُرُ

٥ . كَمْ أُدَارِي كَمْ أَدَّرِي ... كَم أُدَاجِي كَم استُرُ

٦ . رَقّ دِينِي مِنَ العَلُو ... قِ وطَابَ التنصُّرُ

(١) منكسر الوزن من الأصل.

٧. مَـــنْ إذَا مِـــنْ دُيُـــونِـــهِ ... مِـــنْ مَخَـــازِيـــهِ نِيـــلَ قَـــدْرُ

٨. زَاهِـــدٌ بِـــالنَّهَـــارِ يَتْـ ... ـلُـــو وَبِـــاللَّيْـــلِ يَمْخُـــرُ

٩. فَهُـــوَ بِـــاللَّيْـــلِ عَبْلَـــةٌ ... ومَـــعَ الصُّبْـــحِ عَنْتَـــرْ

١٠. وَفَقِيْـــــــــهُ إذَا تَصَـ ... ـــــدَّرَ خَيْـــرٌ مُكَـــرَّرُ

١١. سُـــرْمُـــهُ كَـــالمِـــدَادِ والـ ... وَجْـــهُ كَـــالَـــورَسِ أَصْفَـــرُ

١٢. وَعَلَيْـــهِ مِـــنَ الثَّـــآ ... لِيـــلِ قَـــرْحٌ مُبَشَّـــرُ

١٣. فَتَـــرَاهُ كَـــأَنَّـــهُ ... جَعْـــسُ دَخْـــرٍ مُكَـــزْبَـــرُ

١٤. عِنْـــدَهُ مَـــاءٌ مَـــنْ عَـــلاَ ... هُ مِـــنَ المَـــاءِ أَطْهَـــرُ

١٥. عَـــالِـــمٌ عَـــالَـــم بِسـ ... ـــرِّ المخَـــاصِـــي مُبَحْتَـــرُ

١٦. وَجْـــدُهُ نِصْـــفُ نُسْخَـــةٍ ... وَوَطَـــــــاءٌ وَدَفْتَـــــــرُ

١٧. جِئْتُـــهُ وَهُـــوَ فِـــي الصَّـــلا ... ةِ وملـــسِ[1] مُـــزَيَّـــرُ

١٨. قُلْـــتُ يَـــا سَيِّـــدِي مَتَـــى ... قَـــالَ: اللَّـــهُ أَكْبَـــرُ

١٩. قُلْـــتُ: خَفِّـــفْ فَقَـــدْ تَكَـــرْ ... دَسَ فِـــي الـــدَّرْبِ عَسْكَـــرُ

٢٠. جَـــاءَ جَيْـــشُ البَـــرْبَـــرِيّ ... وَفِـــي أَوَّلِ القَـــوْمِ سَعْتَـــرُ

٢١. جَـــاءَ عُشَّـــاقُـــكَ اللَّـــذِيـ ... ـــنَ مِـــنَ النَّمْـــلِ أَكْثَـــرُ

٢٢. نَـــافِـــشُ الـــدَّقْـــنِ أَيْ تَـــأَبَّ[2] ... ـــى مِـــنَ البُـــنِّ أَعْطَـــرُ

٢٣. وَأَبُـــو بَكْـــرِ بـــنِ الخَطِيـ ... ـــبِ القَتِيـــلِ المُعَفَّـــرُ

٢٤. قَمَـــرٌ فِـــي سَـــوَادِهِ ... مِنْـــهُ حَـــشٌّ مُقَيَّـــرُ

٢٥. عَـــاشِـــقٌ مَـــنْ حَـــوَى هَـــوا ... كَ تَـــرَاهُ يُطَـــرْطِـــرُ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.

٢٦. وَزُعَيْـــطُ الحَـــدَّادُ تَعْـ ـمِيـــهِ صَفْعَـــاً فَيَشْكُـــرُ

٢٧. رَأْسُـــهُ سِنْـــدِ لَانَـــهٌ تَحْـــتَ نَعْلَيْـــكَ أَصْبَـــرُ

٢٨. وَالمُغَنِّـــي عَطَّـــافُ يَمْـ ـشِـــي عَشَيَّـــاً فَيَعْثُـــرُ

٢٩. ويغنـــي «عـــدِمْـــت صَبـ ـرِي وَمَـــاتَ التَّصَبُّـــرُ

٣٠. أَنَـــا واللَّـــهِ مَيِّـــتٌ فَـــأَطِيلُـــوا أَوْ أَقْصِـــرُوا

٣١. لَيْـسَ لِـي فِـي دِمَشْـقَ قَلْـ ـــبٌ رَحِيـــمٌ فَيَعْـــذُرُ

٣٢. وَعَتِيْـــقٌ لَـــهُ عَتِيـ ـــقٌ عَبِيـــدٌ مُحَـــرَّدُ

٣٣. كَـابْـنِ مَـوْلاهُ كُـلُّ يَـوْ مٍ نَضفَـــي[1] وَتَهْجُـــرُ

٣٤. وَكَـــذَا المَغْـــزَلُ المُخَبَّـ ـــلُ شَكْـــلٌ مُكَعْبَـــرُ

٣٥. قَـــدُّ عُـــوجٍ مِـــنْ قَـــدِّهِ السَّمْـــحِ الطّـــولِ أَقْصَـــرُ

٣٦. وَفَقِيـــرٌ لَـــهُ سِبَـــا لٌ مِـــنَ الطَّعْـــنِ أَغْبَـــرُ

وقال يصف القاضي الأعز اللبان وعمامته:

١. يَـا وَزِيْـرِ الشَّـامِ دَعْـوَةُ مَظْلُـو مٍ رَجَـا مِـنَ عُـلاَكَ كَشْـفَ الظُّـلاَمَـهْ

٢. مُسْتَجِيـراً بِمَجْلِـسٍ ثَبَّـتَ اللَّـ ـــهُ عَلَـى رَغْـمِ ضِـدِّهِ أَيَّـامَـهْ

٣. مِـن وَزِيـرٍ بِصُـورٍ قَـدْ كَـانَ مَنْشَـا هَ وَقَـدْ جَـاءَنَـا بِـزِيٍّ كُتَـامَـهْ

٤. هُـو قَـاضٍ كَمَـا يَقُـولُ ولَكِـنْ مَـا عَلَيْـهِ مِـنَ القَضَـاءِ عَـلاَمَـهْ

٥. عِمَّـةٌ تَمَـلأُ الفَضَـاءَ عَلـى وجْـ ـــهٍ ضَئِيـلٍ كَعُشْـرِ عُشْـرِ القُـلاَمَـهْ

٦. وَعَلَيْهَـا مِـنَ التَّصَـاوِيـرِ مَـا لَـمْ يَجْمَـعِ الـدِّقْـسَ بَعْضَـهُ أَو قُمَـامَـهْ

٧. لَـو تَخِـذْنَا البَحْـرَ المُحِيـطَ مِـدَاداً وَجَعَلْنَـا بَيْـتَ الـدُّنَـا أَقْـلاَمَـهْ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

٨. لَمْ تُمَثِّلْ مِعْشَارَ مَا صَوَّرَتْ بَيْـ ـــنَ شَوَابِيرِهَا يَدُ الرَّقَّامَهْ

٩. مِنْ وُحُوشٍ رَوَاتِعٍ وظِبَاءٍ رُتَّعٍ بَيْنَ أُثْلَةٍ وثُمَامَهْ

١٠. وَكِلَابٍ قَدْ أُضْرِيَتْ وبُزَاةٍ فَوْقَ مَا ثَوَرَّتْ لَهُ حَوَّامَهْ

١١. وَصُنُوفِ العُشَّاقِ مِنْ عَاهِرٍ تَشْـ ـكُو هَوَاهَا وقَحْبَةٍ مُسْتَهَامَهْ

١٢. مِثْلَ قَيْسٍ عَشِيقِ لِبْنَى وَعبَّا سٍ وفَوْزٍ والقَسُّ مَعَ سَلاَمَهْ

١٣. وَمُلُوكُ البِلاَدِ فِي الشَّرْقِ والْغَرْ بِ ونَجْدٍ ومَكَّةَ وتُهَامَهْ

١٤. والنَّبِيُّونَ كُلُ مَنْ أَظْهَرَ الحَـ ـقَّ وَأَوْدَى بِصِدْقِهِ أَعْلاَمَهْ

١٥. فَعَلَيْهَا أَبُو الخَلاَئِقِ قَدْ عَـ وَّضَ دَارَ الدُّنْيَا بِدَارِ المُقَامَهْ

١٦. وَعَلَيْهَا قَابِيلُ يَدْفِنُ هَابِيـ ل وفُزْنَا مِنْ بَعْدِه بالنَّدَامَهْ

١٧. وَعَلَيْهَا الغُرَابُ يَبْحَثُ فِي الأَرْ ضِ طَلُوباً يَحُثُّهُ الهَامَةَ إلهَامَهْ

١٨. وَعَلَيْهَا نُوحٌ وَقَدْ صَنَعَ الفُلْـ كَ وأَبْدَى فِي بَنِيهَا أَحْكَامَهْ

١٩. وَعَلَيْهَا الخَلِيلُ يَدْعُو إلى اللَّـ ـهِ إِيَّاهُ مُكَسِّراً أَصْنَامَهْ

٢٠. وَعَلَيْهَا مُوسَى يُنَاجِي مِنَ الطُّو رِ إِلَهُ السَّمَاءِ يَبْغِي كَلاَمَهْ

٢١. وَعَلَيْهَا شُعَيْبٌ إِذْ خَانَهُ النَّهْـ ـضُ وَمُوسَى يَرْعَى لَهُ أَغْنَامَهْ

٢٢. وَعَلَيْهَا يَعْقُوبُ يَشْكُو إِلَى اللَّـ ـهِ بَنِيهِ وبَثَّهُ وَغَرَامَهْ

٢٣. وَعَلَيْهَا المَسِيحُ يَمْسَحُ رَأسَ السُّـ ـمَيْنِ قَدْ رَدَّ رُوحَهُ فَأَقَامَهْ

٢٤. وَعَلَيْهَا ذُو النُّونِ قَدْ قَاءَهُ الحُو تُ صَدْلاً سَخْنَاً حَلِيفَ دَمَامَهْ

٢٥. وَعَلَيْهَا النَّبِيُّ فِي آخِرِ المَرْ ضَةِ يَبْغِي تَجْهِيزَ جَيْشِ أُسَامَهْ

٢٦. وَعَلَيْهَا الصِّدِّيقُ يُؤْنِسُهُ فِي الـ ـغَارِ وَالمُشْرِكُونَ يَبْغُونَ ذَامَهْ

٢٧. وَعَلَيْهَا الفَارُوقُ يُطْنِبُ فِي الشُّو رَى وصَحْبُ النَّبِي تُعْلِي خِصَامَهْ

٢٨. وَعَلَيْهَا الْمَحْصُورُ فِي الدَّارِ والجَيْـ ـــشُ يــرن[١] قَــذْفَــهُ واتِّهَــامَــهْ

٢٩. وَعَلَيْهَــا الــوَصِــيُّ .... [٢]

٣٠. وَعَلَيْهَا عَمْرُو يُـنَاجِي أَبَا مُو سَــى لأمْــرٍ أَلْقَــى إِلَيْــهِ زِمَــامَــهْ

٣١. وَعَلَيْهَــاالشَّهِيــدُ يُــذْبَــحُ بــالطَّـ ـــفِّ وَلَــمْ يَنْقَــعِ الفَــرَاتُ أَوَامَــهْ

٣٢. وَعَلَيْهَا الإِسْكَنـدرُ المَلِكُ الـروّ مِــيُّ يُــزْجِــي إِلَــى البِــلاَدِ لَهَــامَــهْ

٣٣. وَعَلَيْهَا كِسرَى «أبرُويز» و«بَهَرا م» وَقَــدْ رَاشَ لِلنِّضَــالِ سِهَــامَــهْ

٣٤. وَعَلَيْهَا سَيْفٌ عَلى رأسِ غُمْدا نَ وَقَــدْ شَــدَّ بــالصُّخُــورِ دِعَــامَــهْ

٣٥. وَعَلَيْهَــا الــزَّبَــاءُ قَــدْ غَــرّدَ القَيْـ ـــلُ فَقِيلَ أُنسى[٣] حناه[٤] حِمَامَهْ

٣٦. وَعَلَيْهَــا قَصِيــرٌ فَــوْقَ عَصَــاهُ جَــادِعــاً «مــوزدرهــا»[٥] وإِكَــامَــهْ

٣٧. وَعَلَيْهَــا ابْــنُ عَــادِيَــاءَ وَقَــدْ بَــا ءَ بتُكَــلَ وَلَــم يُضَيِّــعْ ذِمَــامَــهْ

٣٨. وَعَلَيْهَا المَلِكُ ابنُ حَجرٍ وَقَد سَا رَ إِلــى قَيْصَــرَ فَــلاَقَــى الكَــرَامَــهْ

٣٩. وَعَلَيْهَــا يَــأْجُــوجُ يَسْبِــقُ مَــأْجُــو جُ إِلــى السَّــدِّ أَو يَــرُومَ مَــرَامَــهْ

٤٠. وَعَلَيْهَا الحَجَّاجُ فِي القُبَّةِ الخَضْـ ـــرَاءِ قَــدْ سَــنَّ فِــي العِــرَاقِ انْتِقَــامَــهْ

٤١. وَعَلَيْهَا الصِّدِّيقُ يُوسُفُ والقِبْـ ـــطِيُّ فِــي السِّجْــنِ حَــاكِيــاً أَحْــلاَمَــهْ

٤٢. وَفَتَــاةُ العَــزِيــز قَــدْ قَــدَّتْ الثَّــوْ بَ عَلَيْــهِ وَقَــدْ أَجَــدّ انْهِــزَامَــهْ

٤٣. وَعَلَيْهَــا دَاوُدُ قَــدْ صَــكَّ جَــالُــو تَ لَــدَى مَشْــرَبٍ يُخْشَــى سِمَــامَــهْ

٤٤. وسُلَيْمَــانُ فَــوْقَ كُــرْسِيّــه والطَّيْـ ـــرَ والــوَحْــشَ فَــوْقَــهُ وأَمَــامَــهْ!

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) العجز مطموس في الأصل.

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٤) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٥) الكلمة مطموسة في الأصل.

٤٥. والشَّياطِينُ كُلُّ بَانٍ وَغَوّا ... صٍ يَخِرُّونَ سُجَّداً قُدّامَهْ

٤٦. وَعَلَيْهَا بَلْقِيسُ وَالْعَرشُ والصَّرْ ... حُ وَقَدْ سموت[1] تَخُوضُ حِمَامَهْ

٤٧. وَعَلَيْهَا أَيُّوب إِذْ مَسَّهُ الضُّـ ... رُّ وَقَدْ قَلَّ مشهد[2] أَسْقَامَهْ

٤٨. وَعَلَيْهَا عُزَيْرٌ قَدْ عَاشَ بَعْدَ الـ ... مَوْتِ والدَّهْرُ سَنَّه طَعَامَهْ

٤٩. وَعَلَيْهَا الحِمَارُ قَدْ لأَمَ اللَّـ ... ـهُ لَدَيْهِ أَوْصَالَهُ وعِظَامَهْ

٥٠. وَعَلَيْهَا جَيْشُ ابنِ مَاهَانَ إذ دَوَّ ... خَهُ طَاهِرٌ وقَلَّ اغْتِرَاقَهْ

٥١. وَعَلَيْهَا مُخَارِقٌ والشُّرَيْحَـ ... ـيّ واسْحَقَ يَسْتَحِثُّ رُنَامَهْ[3]

٥٢. وابْنُ أَوْسٍ وَالبُحْتُرِيُّ ومِهْيَا ... رُكَيْبَا يَبْكِي لِسُكَّانِ رَامَهْ

٥٣. وَضَرُوبُ النَّبَاتِ مِنْ يَافِعٍ غَـ ... ـضٍ وَمِنْ زَاهِرٍ تَفَرَّى كَمَامَهْ

٥٤. وَمِنَ الطَّيْرِ كُلُّ دَانٍ مُسِفٍ ... وبَعِيدٌ هَابَ المَرَامِي مَرَامَهْ

٥٥. مِنْ غُرَابٍ وتُدْرُجٍ وقَطَاةٍ ... وعُقَابٍ ولَقْلَقٍ وحَمَامَهْ

٥٦. كُلُّ خَلْقٍ فِي البَرِّ والبَحْرِ يَلْقَى ... مِثْلَهُ بَيْنَ طُرْزِ تِلْكَ العَمَامَهْ

٥٧. فَلَوْ أَنَّ الإِلَهَ يَنفخُ فِي الصُّو ... رِ لكَانَتْ مِنها تَقومُ القِيَامَهْ

٥٨. لَا تَقُولُوا كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ ثَبا ... تاً فَوقَ رأسٍ أَخَفُّ مِنْ دَوَّامَهْ

٥٩. غَيْرَ بَدْعٍ أَنْ تَحْمِلَ الأَرْضُ مِنْهَا ... ولَهَا مِنْ قَرنَيْهِ أَقْوَى دَعَامَهْ

٦٠. أَحْمَقٌ لَو يُقَالُ فِي بَلَدِ الصِّيـ ... ـنِ طِرَارٌ أَمْسَى بِأَرْضِ اليَمَامَهْ

٦١. كَانَ فِي بَانياسَ يَقْضِي فَلا يَنـ ... ـفِذُ فِي قَدْرِ بَعْرَةٍ أَحْكَامَهْ

٦٢. وَنَراهُ مَا بَيْنَنَا قَدْ تَحَلَّى ... حِلْيَةً مَالَهَا عَلَيْهِ وِسَامَهْ

٦٣. شَقْعُ طُرْزٍ وَنَقْشُ ذَقْنٍ وتَطْوِيـ ... ـلُ ثِيَابٍ لَهُ وَحَشْوُ عِمَامَهْ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

٦٤. ومَحَـلٌّ دُونَ السَّمَـاءِ وَقَـدْرٌ ... يَـأنِـفُ الحَشُّ أضـنْ يَكـوُنَ دِعَـامَـهْ

٦٥. مَكَّـنَ اللَّـهُ ذَرِّتِـي مِـنْ أَعَـالِـي ... سُفَّـل يَـدَّعُـونَ فِيـهِ الإِمَـامَـهْ

٦٦. كُـلُّ قَيْـلٍ إِذَا رآه تَـرَدَّى ... خَـاضِعَـاً رَاكِعَـاً ذَلِيـلاً أَمَـامَـهْ

٦٧. قَـائِـلاً يَـا عَـذِيـرَ حَـاتِـم الطَّـ ... ـائِي فِي مَا يُوَلِّي وَكَعبِ بنِ فَامَهْ[1]

٦٨. يَا جَمالَ القُضَاةِ يَا مِنْحَةَ الدُّنْـ ... ـيَا وَمَنْ فِي الشَّامَيْنِ أَصْبَحَ شَامَهْ

٦٩. يَـا مَلِيحَ الشَّبَـاب يَـا أَنْضَرَ النَّـا ... سِ ويَـا أَحْسَـن البَـرِيَّـة قَـامَـهْ

٧٠. كُلُّ هَذا نَصْبٌ عَلى الخَربِ البَيْـ ... ـتِ لِيفْنُـوا حُلْقَـانِـه وَطَعَـامَـهْ

٧١. وَهْـوَ إِذْ ذَاكَ لَا يُـرِيـدُ سِـوَى تِيـ ... ـهِ عَلَيْهِـم وسَطْـوَةٍ وَعَـرَامَـهْ

٧٢. يَصْطَفِي بَعْضَهُـمْ ويُبْعِـدُ بَعْضَـاً ... لِيُـرى ذَا إِهَـانَـةٍ وكَـرَامَـهْ

٧٣. وإِذَا مَـا حَيَّـاهُ رَدّ بِشَـابَـا ... شٍّ عَلَيكُـمْ سَـلامُ بِنَـامَـهْ

٧٤. وَلَـهُ مِـنْ أَخيـه أَو أُخْتِـهِ فَـرْ ... هُ حجـرٍ كَـأَنَّـهُ سَمِّـامَـهْ

٧٥. مِنْ بَقَايَا مَنْ كَانَ فِي صُور يَبْغِي ... رِزْقَـهُ مِـنَ حِيَـاكَـةٍ وحِجَـامَـهْ

٧٦. لَوْ تَرَاهُ إِذَا المُسْقِعُ فِي المَجْلِـ ... ـسِ والحَفْـلُ مُطَهِّـزاً أَعْظَـامَـهْ

٧٧. عَاقِداً دُسْتَ حَشْمِهِ لَا يُرى المأ ... مُـونُ فِيهَـا وَلَا الـرَّشِيـدُ غُـلامَـهْ

٧٨. وَلَـدَيْـهِ شِبْـهُ الخَلِيفَـةِ لَـوْلَا ... لَمْحَـةٌ مِـن دَلالٍ مِـنْ حَمَـاقَـهْ

٧٩. فَايِقٌ رَايِقٌ حَرِيصٌ عَلَى الخِدْ ... مَـةِ مِـنْ غَيْـرِ ضَجْـرَةٍ وَمَنَـامَـهْ

٨٠. حَاجِبٌ حَاجِبٌ وُجوهَ السَّعَادا ... تِ عَلَيْـهِ عِمَـامَـةٌ كَـالغَمَـامَـهْ

٨١. قِطْعَـةٌ مِـن هُـدَابِ سِتْرٍ قَـدِيـمٍ ... لَـمْ تُبَـقِّ الأَيَّـامُ إِلَا رِمَـامَـهْ

٨٢. كَـانَ لَمَّـا أَنْ التَقَـي فِيـهِ بِـالمَـا ... ءِ وَأَجْـرَى عَلَـى البِـلَادِ رِكَـامَـهْ

٨٣. وَضِـرَاطٌ مُصَهْـرِجٌ وَفُسِـيّ يَعْـ ... ـمِـي إِذَا جَـاضَـتِ الأُنُـوفُ قُـتَـامَـهْ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

٨٤. وَحُشَـاءٌ هُـوَ الخُـرَاةُ بِكَـافٍ شَبَّهُـوهُ وَلَا أُقِيـمَ مَقَـامَـهْ

٨٥. وَتَـرَى بَعْضَهُـم يُجَمِّـعُ دَرْسَيْـ ـهِ وَأَدْبَـالَـهُ وَيُخْفِـي انْضِمَـامَـهْ

٨٦. ثُـمَّ يَفْسُـو حَتَّى إِذَا اخْتَنَقَتْ يَنْـ ـقِـصُ فِـي وَسْـطِ ذَقْنِـهِ أَكَمَـامَـهْ

٨٧. غَضْبَـةٌ لَـوْ قَـفَـنْـدَرُ رَام بَـالبَـ ـقَـاءِ لَهَـا أَفْسَـدْت عَلَيْـهِ قَـرَامَـهْ

٨٨. هَجَرونِي وَكُنْتُ أَكْيَسُ مِن عُو شِـرَ فَـرداً لأُرَى قَلِيـلَ العَـرَاقَـهْ

٨٩. لَا سُعَالِي وَقْتَ الدَّبِيبِ لَهُ حَشْـ ـرَجَـةٌ تَمْنَـعُ القَمْـلَ قِيَـامَـهْ

٩٠. أَنْـوَمُ النَّـاسِ إِنْ سَمِعْـتَ بِحِـسٍّ وَنَـدىً إِنْ صَحَكَـتْ لِـي كَعَـامَـهْ

٩١. صَـادَفْتُـهُ دَاخَـلَ السَّفِينَـةِ فَـالتـ ـفَّ عَلَيْهَـا وَذَاكَ وَجْـهُ السَـلَامَـهْ

٩٢. وَهُوَ مِن مَا قَد كَانَ أَجْدَادُ إِدْرِيـ سَ أَعَـارُوا أَسْمَـاءَهُـم أَعـلَامَـهْ

٩٣. رقٌّ حَيَّ لو مُسَّ بالوَهْمِ لم تُـدْ رِكْـهُ حَتّـى يَـراجِـعَ اسْتِفْهَـامَـهْ

٩٤. وَغُـلامُ الفِـرَاش حَـدّ اسْمَـه يَكْـ ـسِـرُ مَـا بَيْـنَ مِنْخَـرِيْـهِ جُعَـامَـهْ

٩٥. وإِذَا أَزَلّ أَو تَشَـاقَـل عَـن شُغْـ ـلٍ وَلَـم يَلتَفِـتْ إِلَـى مَـا سَـامَـهْ

٩٦. صَاحَ لَا حَوْل يَا مراكو[1] بالعِـ ـتَـابِ مَـا مِلَّتَـانِ صَـحَّ لِـي مَقَـامَـهْ

٩٧. فَتُـوا فِـي وَصْفِـهِ رَيْعُـهُ القَـدْ رُ يُنَـافِـي مِـنَ العَضْـبِ قَـوَامَـهْ

٩٨. طِفْلَـةُ خَضّبَـتْ أَنَـامِلَهَـا العَشْـ ـرَ خِضَـابَاً أَقَامَ فِي الحِجْرِ عَـامَـهْ

٩٩. ثَقّبُـوهَـا وَمَـا تَفَلّـكِ شَفَـرَا هَـا لَـدَى مَـات أُستِهَـا تَمْتَـامَـهْ

١٠٠. وَلَهَـا نُـورُ كَلْبَـةٍ وشَخَـا بُـو مٍ وعَيْنَـا قِـردٍ وسَـاقـا نَعَـامَـهْ

١٠١. تَنْقُـلُ الحِبْـرَ والإِدَامَ وَقَـدْ زَا دَ فَمَـا سَـالَ مِـنْ يَـدَيْهَـا زُهَـامَـهْ

١٠٢. عِنْـدَهَـا نَسْـرَاتُ جَعْفَـرِ والأَ كْـلُ يُنسِـي أَذَانَـه والإِقَـامَـهْ

١٠٣. ويُنَـادِي والجُـوعَ قَـد هدّ حَنَيـ ـنَـهُ وَقَـدْ عَـرّ الطَّـوى هِنْـدَامَـهْ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

١٠٤ . رَبِّي احْرسُ بالكَهْفِ والصَّفِّ والأنـ ـعَامِ مَنْ نَحْنُ نَمْتَرِي أنْعَامَهْ

١٠٥ . ويُنَادِي عَبَّاسُ لَا مِتُّ حَتَّى أتمّلَى كُؤُسَهُ والعَلاَمَهْ

١٠٦ . فَيَفْدِي القَاضِي رَغِيفاً بِعَيْنِيْـ ـهِ ويُخْفِي مَصْلَتَه واستلامه

١٠٧ . ويُغَنِّي مَوْلَايَ هَذَا الَّذِي حَـ ـرَّ عَلَى آدَمَ الأَجِينَ رَامَهْ

١٠٨ . وَالَّذِي مَيَّزَ الخَلائِقَ شَطْرَيْـ ـنِ فَشَطْرٌ فَوزٌ وشَطْرٌ نَدَامَهْ

١٠٩ . وَالَّذِي قَدْ مَدَحْتُ فِي هَل أَتَى مُو قِسَ فَأَزْوَا إِذَ أَثَروا إطعَامَهْ

١١٠ . وَالَّذِي قَدْ جَعَلتُ هُجْرَانَهُ أَنَّهُ شَهْرٌ فُرِضَتْ فِينَا صِيَامَهْ

١١١ . وإِذَا مَا تَبَاذَلُوا فَقَضَائِي بَيْنَهُم يُؤْمَر الغَيْرَ خِصَامَهْ

١١٢ . مَنْ طَغَا نِكْتُهُ وَأَلْزَمَتْهُ الحَقَّ فَكُنْتُ الرَّاعِي وَكَانُوا سُوَاقَهْ

١١٣ . لَيْتَ شِعْرِي وللزَّمَانِ يَدٌ تَنْـ ـقُضُ مَا أَحْكَمَ الفَتَى إِبْرَامَهْ

١١٤ . أيُّ وَجْهٍ دهُيتُ مِنْهُ فَقَدْ عُدْ تُ إِلَى قَذْعِ حِرْفَتِي بالمَلاَمَهْ

١١٥ . وإِلَى مَنْ يَشْكُو مَعَاشِرُ قَوْمٍ دَفَنُوهُ وعَذَرُوهُ قَدّامَهْ

١١٦ . أَحْرَقَ الجُوعُ بَعدَ فُرْقَتِهِم كَبِدِي وَأَضْنَى جِسْمِي انْتِفَاخُ الحَمَامَهْ

١١٧ . فَتَرانِي مِثْلَ الحِمَارِ نُهَاقِي تَمْنَعُ الوَادِعَ الخَلِيَّ مَنَامَهْ

١١٨ . لَا صَدِيقَ «يبل فتعر غلة أنسرى ولا يمدد عراقهْ»[1]

١١٩ . سُوءُ حَظِّ الفَتَى الذَّكِيِّ لِمَصِّ السِّـ ـنِّ لا يَمْلِكُ السَّقِي الْتِقَامَهْ

١٢٠ . والزَّمَانُ الزَّمَانُ لَا صَوْلَةٌ تَمْنَـ ـعُ أَنْ يَحْتَوِي بِمَيْنِ حِطَامَهْ

١٢١ . يَا شِبَاعَ البُطُونِ لَا بُدَّ مِنْ جُو عٍ يَلِيكُ البَطِينَ مِنْكُمْ لِجَامَهْ

١٢٢ . لَا يَغُرَّنَّكُمْ مُهَادَنَةُ الدَّهْـ ـرِ فَمَا زَالَ مُسْهِراً مَنْ أَنَامَهْ

١٢٣ . كُلُّ شَيءٍ إِذَا مَا تَنَاهَى إِلى حَـ ـدّ تَمَامٍ فَالنَّقْضُ يَتْلُو تَمَامَهْ

---

(١) الكلمات مطموسة في الأصل.

وقال :

١. أَحبَـابَنـا أَيُّ دَار قَـوْم بَيْنَكُـمْ أَصَـارَ أَكْنَـافُ أَحْشَـائِـي لَـهُ كَنَفَـا
٢. وَأَيُّ كَلْمٍ نِكَأْتُم فِي الفُؤَادِ متَى دَاوَيْتُـهُ لِـوِي ذِكْـرَاكُـمُ قُـرفَـا
٣. خَلَّفْتُ عِنْدَكُمْ قَلْبِي وَلِي خَلَفٌ فِيـهِ وَهَيْهَـاتَ أَلْقَـى مِنْكُـمُ خَلَفَـا
٤. واعْتَضْتُ بَعْدَكُمْ لَيْلاً أُسَهِّدُهُ وَمَـدْمَعَـاً كُلَّمَـا نَهْنَهْتُـهُ ذَرَفَـا
٥. لَاذُقْتُ لَـذَّةَ قُـرْبِي مِنْكُـمُ أَبَـداً إِنْ كَـانِ قَلْبِي المُعنّى عَنْكُمُ انْحَرَفَا
٦. ولَا استبَدَّت بِأَطْرافِ اليَراعِ يَدِيْ إِنْ كَـان طَـرْفِي عَنْكُم سَاعـةً طَرَفَا

وقال :

١. لَيسَ اللَّمَا وحْدَهْ حنَى الأَلمَا لَـولَا فُتُـورُ الَّـذِي رَبَـا وَرَقَـى
٢. خُـذَا بِثَـارِي هَـذَا وذَا فَهُمَـا الَّـ ـلَـذَانِ دَلَّا الصِّبَـا عَلَـيَّ هُمَـا
٣. يَـا عَلَـمَ الحُسْـن إِنَّ هَجْـرَكَ لِي أَقَـامَ مِنّـي عَلَـى الأَسَـى عَلَمَـاَ
٤. يَـا قَلَمـاً قَلّمَـا يَحْبُـر فـي سَطْـرٍ ولَـمْ يُخْـفِ وصَفَـهُ القَلَمَـا
٥. ظَلَمَـكَ هَـذَا الَّـذي أَصَـرَّ علَـى ظُلْمِـي أَمَـا آنَ أَنْ يبـاَح أَمَـا
٦. مـا عَجَـبٌ أَنْ يَظَـلَّ فَتْـكُ دَمِـي صَبْـرا فَمَـنْ عَـزَّ عَـزَّكَ احْتَكَمَـا
٧. يـا بَـدْرُ مَـنْ قَـال إِنَّ بَـدْرَ دُجَـى مِثْلُـكَ فِـي حُسْنِـه فَقَـدْ ظَلَمَـا
٨. إِنَّ رَحِيقـاً بفِيـكَ أَنْطَقَنِـي فَنِـكْ بِحَـقٍ وَأَخْـرِسِ الخُصَمَـا

ملحق الخرائط

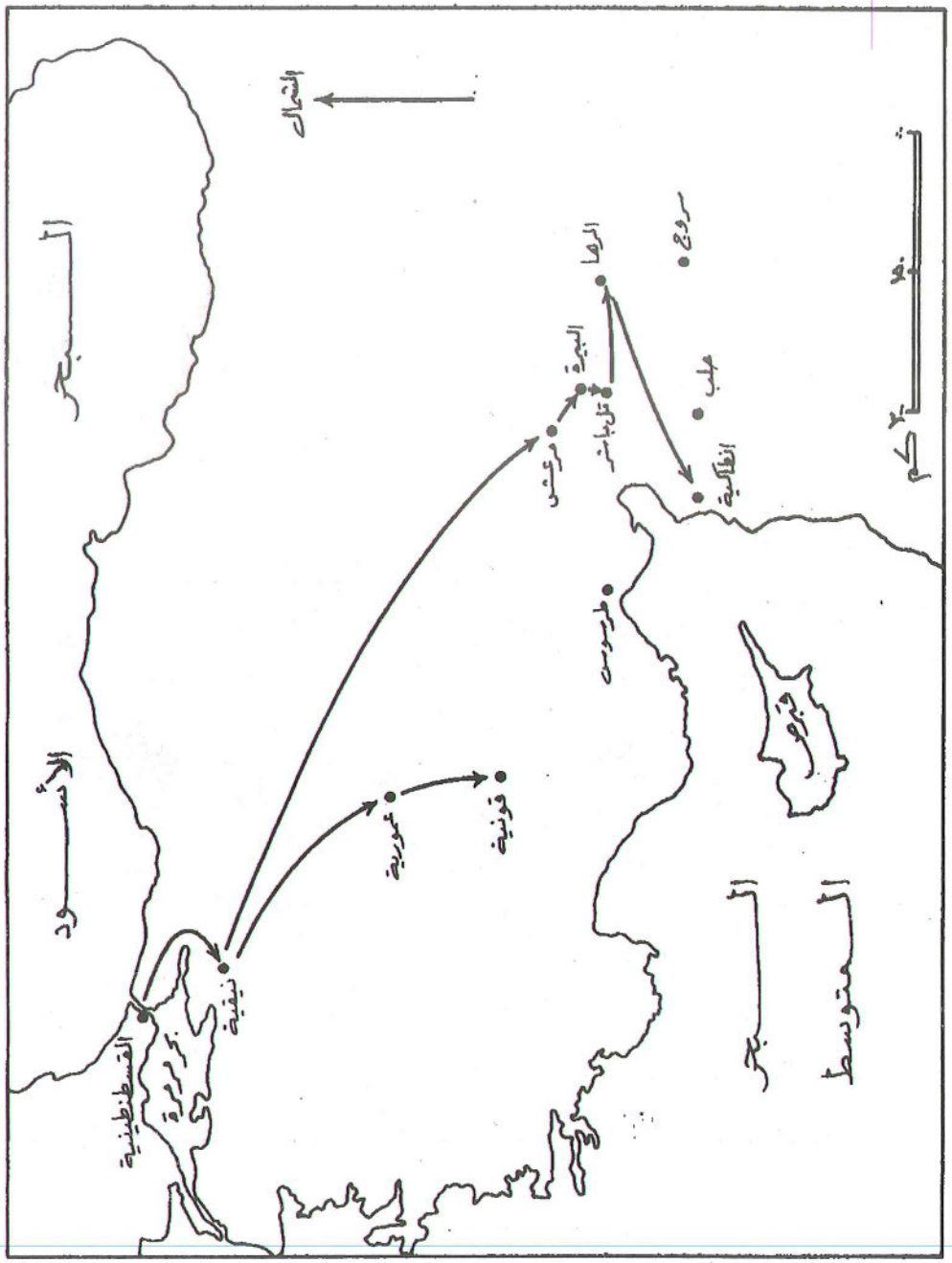

شكل (١)

التقدم الصليبي في آسيا الصغرى

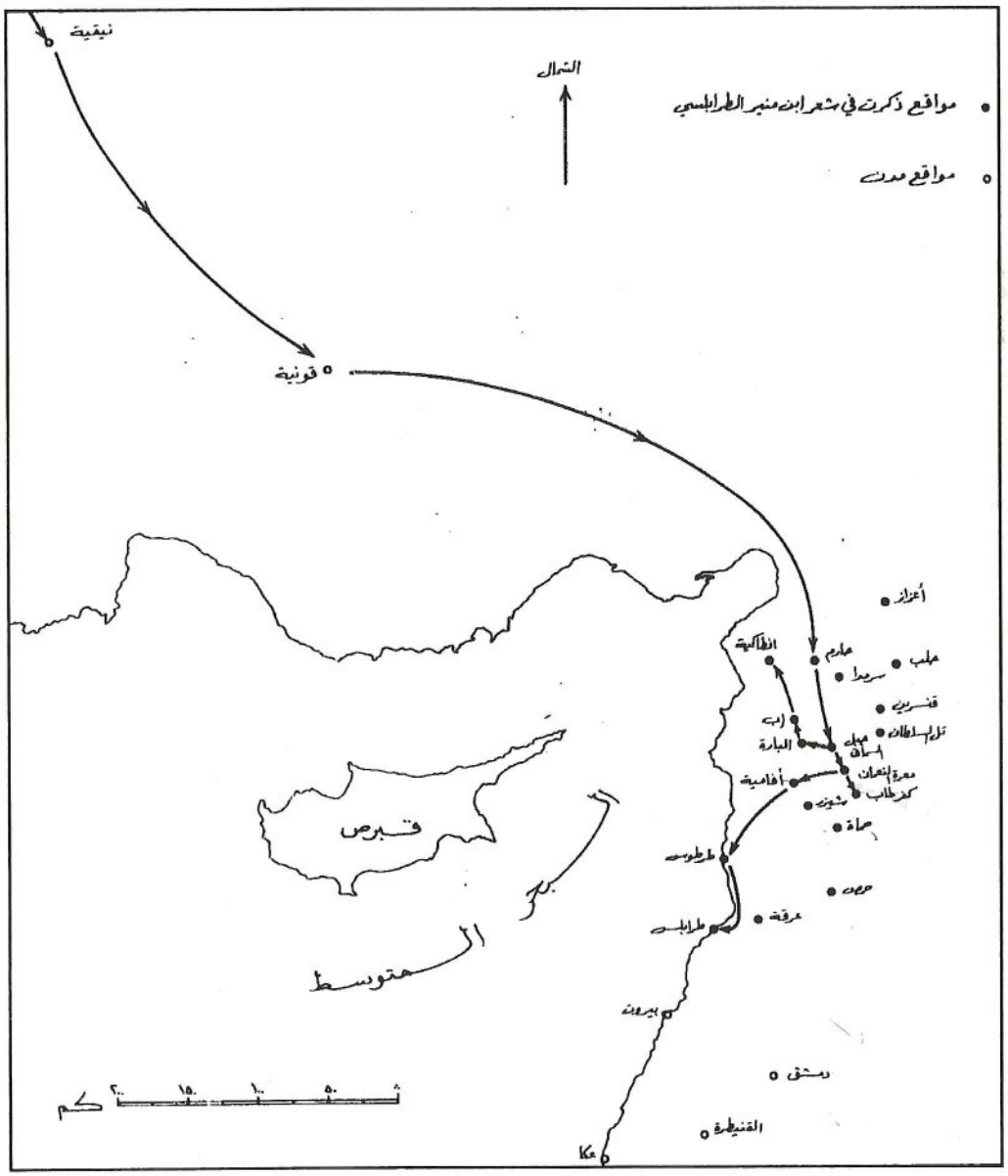

شكل (٢)

التقدم الصليبي في شمال بلاد الشام

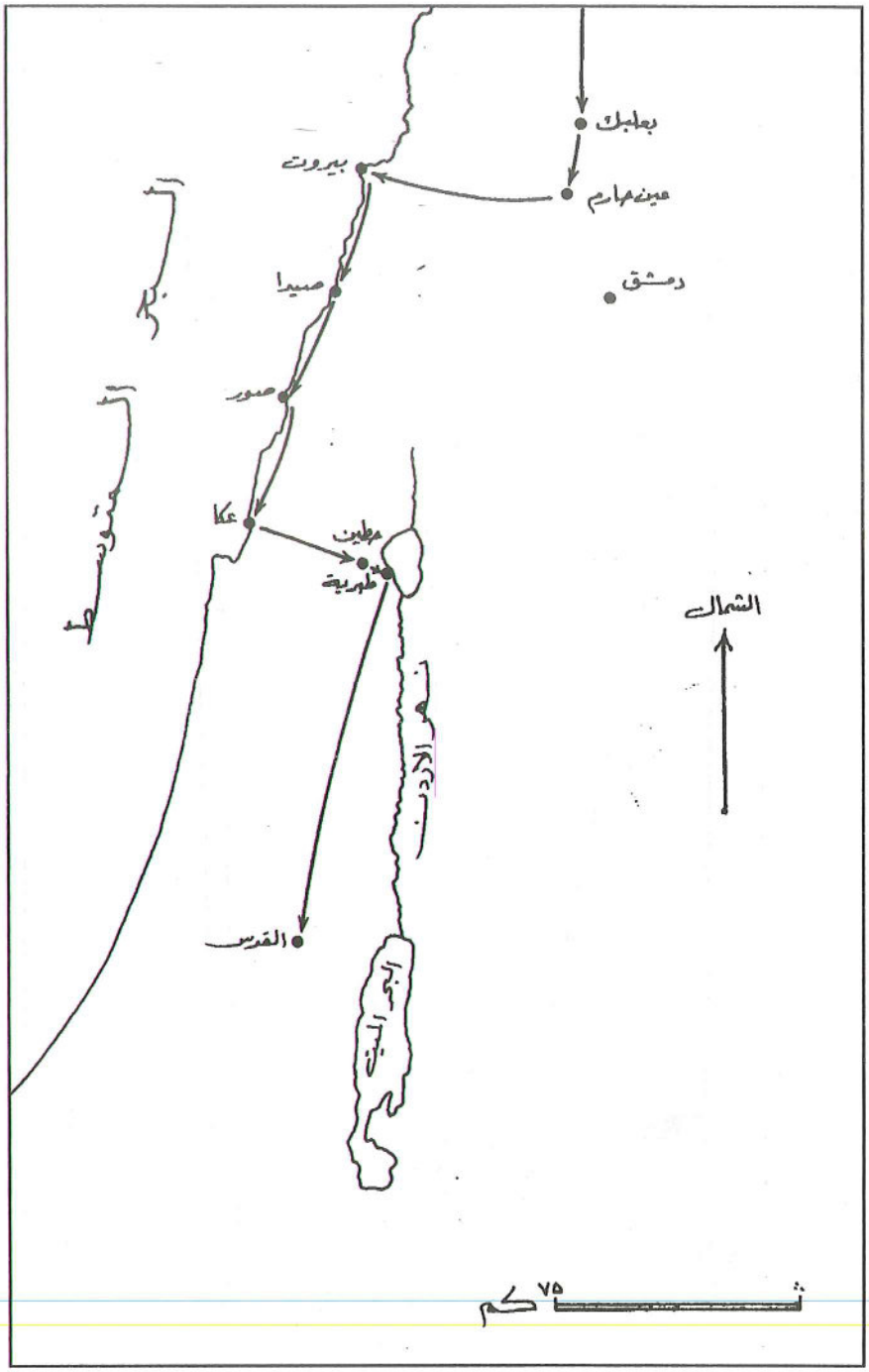

شكل (٣)

التقدم الصليبي في جنوب بلاد الشام

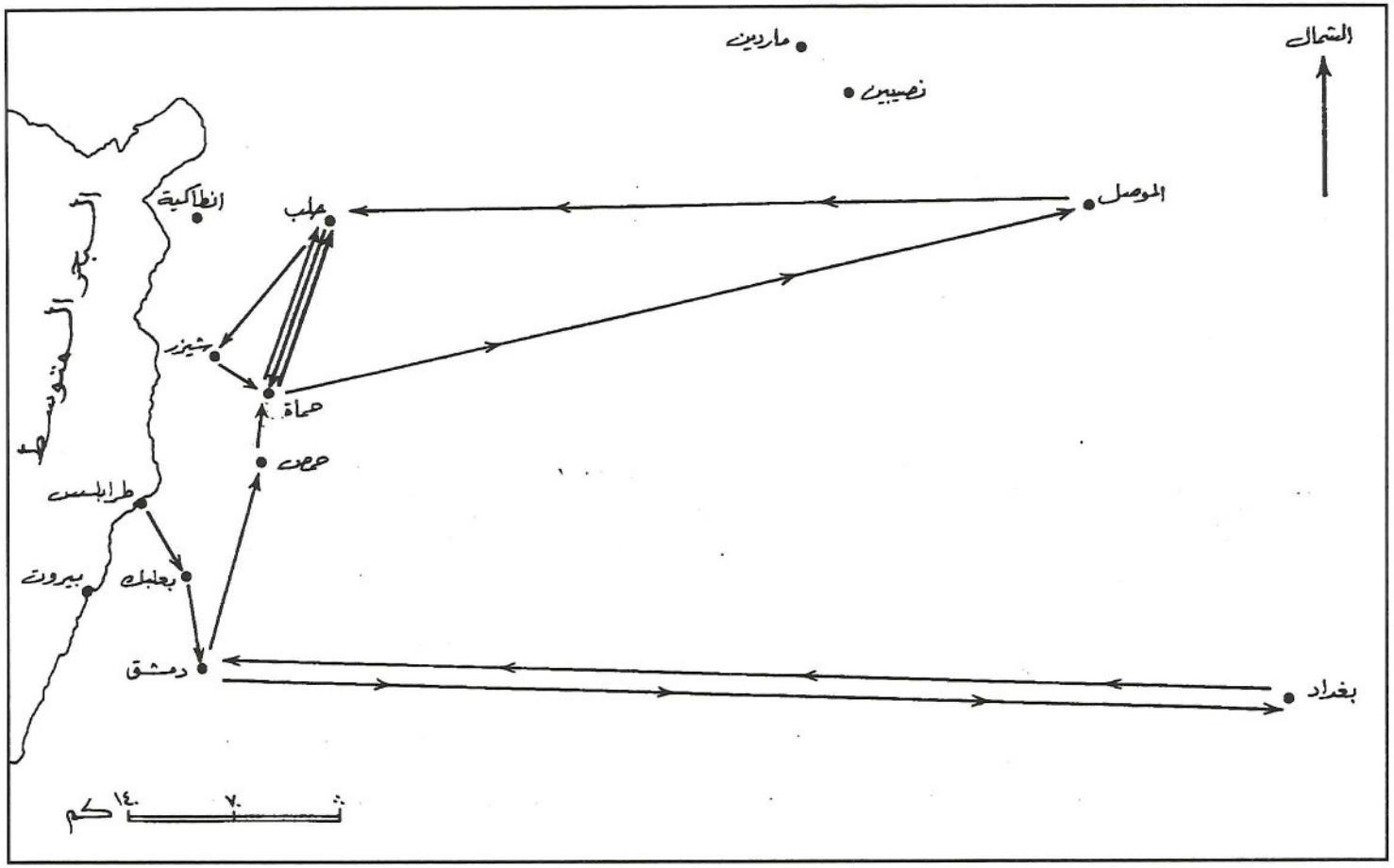

شكل (٤): حركة ابن منير الطرابلسي في تجواله

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

١- آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،- ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م .

٢- ابن الأثير: أبو الفتح أبو المكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الملقب ربـ «ضياء الدين» ت ٦٣٧هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. محمد أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠ م.

٣- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بـ«عز الدين»: (ت ٦٣٠هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٤- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بـ«عز الدين»: (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الجزري الملقب بـ «عز الدين» (ت: ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، عن النسخة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية، القاهرة، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ.

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ١٩٣٥ م.

٦- ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانبي الأندلسي (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير دار صادر ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩ م.

٧- أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩ م.

٨- أحمد الجندي، شعراء من بلاد الشام، الطبعة الأولى، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٤ م.

٩- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م.

١٠- أحمد أمين، ظهر الإسلام، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، - القاهرة ١٩٦٢م.

١١- ابن حجة الحموي: أبو بكر علي بن محمد بن حجه الحموي القادري الحنفي (ت: ٨٣٧هـ) ثمرات الأوراق في المحاضرات، تحقيق د. مفيد قميحه الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٢- ابن حجة الحموي: الشيخ تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر بيروت.

١٣- ابن خلدون: عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ)، كتاب ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر «تاريخ ابن خلدون» دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٤- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ) وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٠ م.

١٥- ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة بيروت.

١٦- ابن رسلان: مسلم بن محمود الشيرزي (ت: ٦٦٢هـ)، جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية (مخطوط).

١٧- ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق د. محمد قرقزان، الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.

١٨- أسامة بن منقذ الكناني (ن: ٥٨٤هـ)، البديع في نقد الشعر، تحقيق د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٠ م.

١٩- أسامة بن منقذ الكناني (ت: ٥٨٤هـ)، الاعتبار، حرره فيليب حتي، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٨١ م.

٢٠- ابن شداد: عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم دمشق، تحقيق د. سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

٢١- ابن شداد: عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم لبنان وفلسطين، والأردن. (دون تاريخ).

٢٢- ابن شداد: القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد يوسف بن رافع بن تميم (ت: ٦٣٢هـ) سيرة صلاح الدين المسماة «النوادر السلطانية في المحاسن

اليوسفية» مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣١٧هـ.

٢٣- أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت: ٦٦٥هـ) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجيل ١٩٥٦ م.

٢٤- أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت: ٦٦٥هـ) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦ م.

٢٥- ابن طباطبا محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية القاهرة ١٩٦٥ م.

٢٦- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت: ٧٠٩هـ)، تاريخ الدول الإسلامية «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية»، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠هـ ١٩٦٠ م.

٢٧- ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ)، بغية الطب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٨- ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق د. سامي الدهان، الطبعة الكاثوليكية، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.

٢٩- ابن عساكر: الإمام الحافظ «أبو القاسم» علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.

٣٠- ابن عساكر: الإمام الحافظ «أبو القاسم» علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) تهذيب تاريخ مدينة دمشق هذَّبه ورتبه عبدالقادر بدران، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣١- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩ م.

٣٢- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نسخة مصورة عن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت في ألمانيا الاتحادية، يصدره فؤاد سزكين ١٩٨٨م، (مخطوط).

٣٣- ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني الحنبلي (ت: ٧٢٣هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٦٥م.

٣٤- ابن قاضي شهبة: بدر الدين بن قاضي شهبة (ت: ٨٧٤هـ)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي» تحقيق محمود زايد الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١ م.

٣٥- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ)، تاريخ أبي حمزة بن القلانسي المعروف بـ «ذيل تاريخ دمشق» مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ م.

٣٦- ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٥٧هـ، ١٩٣٩ م.

٣٧- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية تحقيق د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ مهدي ناصر الدين والأستاذ علي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤ م.

٣٨- ابن المستوفي: شرف الدين أبي البركات بن أحمد اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفى، (ت: ٦٣٧هـ)، تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» تحقيق سامي السيد خماس الصقار، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ م.

٣٩- ابن المعتز: أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت: ٢٩٩هـ) البديع تحقيق وتقديم د. محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الجيل - بيروت ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٠- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

٤١- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم من منظور (ت: ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق رياض عبد المجيد مراد، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.

٤٢- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ) ديوان شعر ابن منير مكتبة الأمبروزيانا إيطاليا رقم ٢١٠ مخطوط.

٤٣- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ) شعر ابن منير الطرابلسي جمعه وحققه وقدم له د. سعود محمود عبد الجابر، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢ م.

٤٤- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ) ديوان ابن منير الطرابلسي جمعه وحققه وقدم له د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى دار الجيل، بيروت، ومكتبة السائح، طرابلسي ١٩٨٦ م.

٤٥- الأميني النجفي: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والآداب، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧ م.

٤٦- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت: ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مطبعة حامد فؤاد الأول، القاهرة، ج١، نشره د. جمال الدين الشيال.

٤٧- ابن الوردي: زين الدين عمر بن الوردي (ت: ٧٤٩هـ) تتمة المختصر في أخبار البشر «تاريخ: ابن الوردي» تحقيق أحمد رفعت البدراوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت.

٤٨- أبو العتاهية: إسحاق بن إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الغزي، المعروف بأبي العتاهية (ت: ٢١٠هـ) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية، عُني بطبعة الأب لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الرابعة، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩١٤ م.

٤٩- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: ٣٩٥)، «كتاب» الصناعتين الكتابة والنثر، تحقيق علي محمد البيجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦ م.

٥٠- الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت: ٥٠٧هـ)، ديوان الأبيوردي تحقيق د. عمر الأسعد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧ م.

٥١- أنتوني دبست: الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم نشر بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين «بغداد» نيويورك، مكتبة النبراس للنشر والتوزيع بغداد، ١٩٦٧م.

٥٢- البيروني: محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية دار صادر (دون تاريخ).

٥٣- د. جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر دمشق. ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م.

٥٤- حازم القرطاجي (ت: ٦٨٢هـ) منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية التونسية ١٩٦٦ م.

٥٥- حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي ١٩٥٠ م.

٥٦- الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، مكتبة الأندلس بغداد ١٣٨٥هـ.

٥٧- الحريري: محمد بن علي المغربي الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعيين على ديار المسلمين، تحقيق د. سهل زكار، مكتبة دار الملاح سوريا (١٤٠هـ، ١٩٨١ م).

٥٨- د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي، والاجتماعي، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٥ م.

٥٩- د. حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص منشورات وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٣٤ م.

٦٠- الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني (ت: ٦٢٢هـ)، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، الطبعة الأولى، دار اقرأ للنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٥هـ.

٦١- الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء «إرشاد ألأريب إلى معرفة الأديب» تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣ م.

٦٢- الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥ م.

٦٣- خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ٣٥٩ - ٥٦٧هـ - ٩٦٩ - ١١٧١ م. الطبعة الأولى، دار الحرية بغداد ١٩٧٥ م.

٦٤- الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ)، طراز المجالس تحقيق مصطفى وهبي بن محمد، مطبعة بولاق ١٢٨٤هـ.

٦٥- الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ) سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢ م.

٦٦- الخوانساري: الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات تحقيق: أسد الله إسماعيليان دار الكتاب العربي بيروت. (بدون تاريخ).

٦٧- داود بن عمر الأنطاكي المعروف بالأكمه (ت: ١٠٠٨)، تزيين الأشواق بتفصيل أشواق العشاق الطبعة الثالثة، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٨هـ.

٦٨- الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

٦٩- الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

٧٠- الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، منشورات وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية - الكويت ١٩٦٣ م.

٧١- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥ م.

٧٢- الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، ١٩٧٩ م.

٧٣- سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية عهد الجهاد المبكر الطبعة الأولى دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠ م.

٧٤- سبط بن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا وغلي التركي المشهور بسبط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١ م.

٧٥- سعيد عاشور الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٤٠٤هـ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٦٦ م.

٧٦- سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، الطبعة الرابعة، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦ م.

٧٧- السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) الأنساب، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن يحيى المعلي اليماني، الطبعة الثانية مؤسسة محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م.

٧٨- السيد محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٨٠هـ.

٧٩- السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ) أعيان الشيعة، الطبعة الثانية، دار الإنصاف، بيروت ١٩٦١ م.

٨٠- السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٢٩٩هـ، ١٩٧٩ م.

٨١- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الموسوعات، دار إحياء الكتب المصرية، ١٣٢١هـ.

٨٢- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، لب الألباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد عبد العزيز، أشرف محمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩١ م.

٨٣- الشريف الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية بيروت. (دون تاريخ).

٨٤- شفيق الرقب، اتجاهات الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري «رسالة دكتوراه» الجامعة الأردنية ١٩٨٩ م/ ١٩٩٠ م.

٨٥- د. شوقي ضيف: تاريخ الدب العربي، عصر الدول والإمارات، مصر والشام دار المعارف، مصر، ١٩٨٤.

٨٦- الصفدي: الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) الغيث المسجم في شرح لأمية العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥ م.

٨٧- الصفدي: الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، باعتناء محمد يوسف نجم دار صادر بيروت ١٣٩١هـ، ١٩٧١ م.

٨٨- عادل جابر شعر ابن القيسراني «جمع ودراسة وتحقيق» الطبعة الأولى، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ١٤١١هـ، ١٩٩١ م.

٨٩- عبد الله حبيب نوفل تراجم علماء طرابلس وأدبائها، مطبعة الحضارة الأندلس ١٩٢٩ م.

٩٠- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٧٧ م.

٩١- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ٤٩٢ - ٦٤٨هـ دار البشير ١٤٠٩، ١٩٨٩ م.

٩٢- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، دار البشير ١٤٠٩، ١٩٨٩ م.

٩٣- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى، عمان، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م.

٩٤- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية، مكتبة الأقصى، عمان ١٤٠١هـ، ١٩٨١ م.

٩٥- عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت: ٧٧٥هـ) الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨ م.

٩٦- علي بن الحسين، أبو فرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) الأغاني، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث - بيروت.

٩٧- العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل طبعة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥ م.

٩٨- العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى الدار التونسية للنشر ١٩٦٦ م.

٩٩- د. عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور وعصر الصراع العربي البيزنطي والحروب الصليبية، الطبعة الثانية، دار الإيمان، طرابلس، ١٩٨٤ م.

١٠٠- د. عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى من الفتح العربي حتى سقوط الإمارة الصليبية ٢٥ - ٦٨٨هـ - ٦٤٦ - ١٢٨٩م. الطبعة الأولى مؤسسة فلسطين للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٢م.

١٠١- د. عمر فروخ تاريخ الأدب العربي الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

١٠٢- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧ م.

١٠٣- فاروق أنيس جرار محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره، منشورات دائرة الثقافة والفنون الأردنية، عمان، ١٩٧٤ م.

١٠٤- قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ) نقد الشعر تحقيق د. كمال مصطفى، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨ م.

١٠٥- القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠ م.

١٠٦- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧ م.

١٠٧- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب دار المعارف، مصر، ١٩٧٥ م.

١٠٨- الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤هـ) عيون التواريخ، حققه فيصل السامرائي، منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧ م.

١٠٩- الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤هـ) فوات الوفيات، مكتبة النهضة المصرية «دون تاريخ».

١١٠- د. محمد التونجي، حول الأدب في العصر السلجوقي، الطبعة الأولى، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٧٤ م.

١١١- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت: ١٢٧٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥ م.

١١٢- محمد راغب الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد كمال، دار القلم، حلب، (دون تاريخ).

١١٣- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠ م.

١١٤- محمد سيد كيلاني. الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام، دار الكتب المصرية، ١٩٤٩ م.

١١٥- محمد بن العبدري الشيبي (ت: ٨٣٧هـ) تمثال الأمثال تحقيق د. أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت. (دون تاريخ).

١١٦- د. محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م.

١١٧- د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢ م.

١١٨- محمد كرد علي، خطط الشام، ج٤، ج٦، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٥هـ، ١٩٢٥م، ج٢ المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٥هـ، ١٩٢٥ م.

١١٩- محمد كرد علي، تحفة ذوي الألباب - للصفدي. مجلة المجتمع العلمي العربي، المجلد الخامس، ١٣٤٢هـ، ١٩٢٥ م. ص ٤٤٥ - ٤٤٩.

١٢٠- د. محمود إبراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق، مكتبة الأقصى، عمان، ١٣٩١هـ، ١٩٧١ م.

١٢١- محمود فايز إبراهيم السرطاوي، نور الدين في الأدب العربي، في عصر الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، دار البشر، ١٩٩٠ م.

١٢٢- المسعودي: أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٥هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق شاربلا، طبعة الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠م.

١٢٣- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣ م.

١٢٤- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى بغداد. (دون تاريخ).

١٢٥- المقري: التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق د. إحسان عباس، دار الفكر، ١٩٨٦ م.

١٢٦- المكي: العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسين الموسوي (ت:١١٤٨هـ) نزهة الجليس ومُنية الأديب الأنيس (ت: ١١٤٨هـ) المطبعة الحديثة النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧ م.

١٢٧- د. منصور عبد الرحمن اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧ م.

١٢٨- النابلسي: عبد الغني النابلسي (ت: بعد سنة ١٢٩٩هـ)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزريّة بالعقود الجوهرية، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.

١٢٩- د. ناظم رشيد، القدس في شعر القرن السادس الهجري مجلة المورد، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٨٢ م. ص ٣-٢٥.

١٣٠- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت: ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس، المؤسسة المصرية العامة وزارة الثقافة والإرشاد القومي. (دون تاريخ).

١٣١- اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي. (ت: ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠، ١٩٧٠م.

١٣٢- د. يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩ م.

١٣٣- د. يوسف اليوسف مقالات في الشعر الجاهلي، الطبعة الرابعة، دار الحقائق، بيروت، ١٩٨٥ م.

١٣٤- مؤلف مجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تحقيق د. حسن حبشي، مطبعة لجنة البيان العربي، دار الفكر العربي، ١٩٥٨ م.

الدكتور
محمد صبحي أبو حسين

- من مواليد مدينة عمان سنة ألف وتسعماية وتسع وخمسين للميلاد .
- نال إجازة الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اليرموك .
- تابع دراسته العليا في الجامعة الأردنية وحصل على الماجستير في الأدب والنقد " أدب العصور المتتابعة ".
- عاد إلى جامعة اليرموك مرة ثانية ليتوج دراسته العليا بشهادة الدكتوراه في الأدب والنقد " الأدب الأندلسي والمغربي ".
- عمل في التدريس والإدارة المدرسية وساهم في تأسيس عدد من المدارس الخاصة داخل الوطن وخارجه ، و يمتلك مدرسة خاصة في الزرقاء .
- اشتغل بالتدريس الجامعي وتسلم منصب مدير مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الزرقاء الأهلية .
- هو الآن عضو في الهيئة التدريسية لقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الزرقاء الأهلية .
- رب أسرة وأب لثلاثة أشبال وأربع زهرات .

ظل الشعراء يثيرون الحماس في النفوس و يمجدون القوة والوحدة الإسلامية ويشيدون بالأبطال ، و يحقرون شأن الأعداء المحتلين ، إلى أن بدد وهج الجهاد الإسلامي ظلام الإحتلال الصليبي الحالك ، فعادت البلاد التي بارك الله فيها طاهرة زكية آمنة وادعة ، وبذلك يكون الشعراء قد قاموا بواجبهم وأدوا دورهم ، ومن أولئك الشعراء الذين عاشوا في صميم ذلك الصراع ، وشاركوا في المعركة التي تخوضها أمتهم شاعرنا " أحمد بن منير الطرابلسي " الذي ساهم بما يزيد على ثلثي شعره الذي وصل إلينا في الجهاد محرضا ومستنهضاً الهمم و واصفاً القتال وأدواته ، ومفتخراً بالبطل ، ومبشراً بالفتح ومهنئاً بالنصر ، ومستهزئاً بالأعداء .

لمع شاعرنا أديباً ، وصرف معظم وقته في البلاط النوري حتى توفاه الله .

المؤلف

دار محمد دنديس للنشر والتوزيع
عمان - الأردن